حقيقة القدس

د. محمد حسين محاسنة



2004
منشورات أمانة عمان الكبرى

حقيقة القدس

٩٥٦,٤

محاسنة ، محمد

حقيقة القدس / محمد محاسنة . ـ عمان : المؤلف،

٢٠٠٤.

(٣٠٨) ص.

ر. إ. : ٢٩٤٨/١٢/٢٠٠٤.

الواصفات: / الفدس// تاريخ القدس// فلسطين /

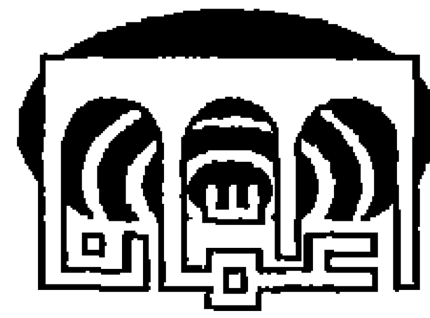
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر : ٢٩٠٩/ ١٢/ ٢٠٠٤.

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٩٤٨/ ١٢/ ٢٠٠٤)

حقيقة القدس

الدكتور محمد حسين محاسنة
أستاذ التاريخ الاسلامي في جامعة مؤتة



منشورات أمانة عمّان الكبرى

الإهداء

إلى من زرتها طفلاً فعشقتها

إلى روح الأمـــة ووجهـــا المشرق

إلى المكبَّلة بحديد الغاصبين

إلى من تشتاق ليوم النصر المبين

إلى زهرة المدائن

حبيبتي ... القدس

مع تحية الصمود

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المقدمة

لقد راودتني فكرة الكتابة عن مدينة القدس منذ زمن بعيد وذلك لأهمية مدينة القدس عند العرب والمسلمين وعند أصحاب الديانات غير الإسلامية، ولما أصاب القدس على أيدي الاحتلال الصهيوني البغيض، ولأن القدس لها مكانة في قلبي لا يعدلها إلاّ مكانة الحرمين في مكة والمدينة، وقد سبق لي زيارة القدس ومشاهدة الأماكن المقدسة فيها منذ كنت طفلاً وفي ربيع السنة التي سقطت فيها تحت الاحتلال الصهيوني، أي قبل سقوطها بزمن قصير.

وزاد من رغبتي في الكتابة عن مدينة القدس ما كنت أُلاحظ بين الحين والآخر حينما أقرأ عن مدينة القدس حتى لمن كتب يدافع عنها ويبيِّن مكانتها العربية والإسلامية، فإنهم يكتبون في كثير من الأحيان ويرددون بعض الأخبار أو المعلومات التي سجلها كتابنا الأقدمون الذين نشهد لكثير منهم بالدقة والأمانة، غير أنهم عندما كتبوا بعض المعلومات المتعلقة بالقدس وفلسطين وبني إسرائيل، عولوا كثيراً على الإسرائيليات وما وجدوه في التوراة خاصة إذا كان لا يمس عقيدة المسلمين دون أن يدققوا فيه، فجاءت كثير من المعلومات المتعلقة بهذه الأمور لا تعطي الحقيقة التي ينشدها المؤرخ الواعي الذي يرغب في الوصول إلى الحقيقة أو إلى أقرب شيء إليها.

من هنا وجدت لزاماً على أن أطرق موضوع القدس بشكل مختصر ودون إسهاب لإلقاء الضوء على كثير من الحقائق التي غابت عن بعض الكتاب والمؤرخين أو كشف الأخطاء التي وقعوا فيها من حيث لا يشعرون: مثل موضوع الهيكل وهل له وجود حقيقة... أم أنه وهم، وبني إسرائيل وإسرائيل ومن هم هؤلاء؟ وهل تنطبق مسميات الأمس على اليوم أم أنها من نسج الخيال؟ وأن لا علاقة بين الأمس واليوم.

وجاءت هذه الدراسة في عشرة فصول وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدتها في الدراسة بشكل كبير، وتناول الفصل الأول من فصول الدراسة موضوعين

هامين هما جغرافية القدس، وتاريخها في عصور ما قبل التاريخ، فتمت مناقشة تسمية المدينة باسمها الحالي وأسمائها الأخرى، وموقع المدينة وطبيعتها ومصادر المياه فيها.

وتناول الفصل الثاني مدينة القدس خلال العصور التاريخية واشتمل على البحث في العصور البرونزية التي شهدت قيام الهجرات العربية الكنعانية إلى المنطقة لتدخل المنطقة التاريخ من أوسع أبوابه، فبنى الكنعانيون المدن في فلسطين ومنها مدينة القدس، وأقاموا فيها حضارة كنعانية متميزة، كما تضمن الحديث عن هجرة إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين واستقراره فيها وإنجابه.

وفي العصر البرونزي الحديث كانت المنطقة تشهد قدوم الفلسطينين من البحر إلى أرض كنعان التي حملت بعد ذلك اسم فلسطين لتأثيرهم في أهل البلاد وامتزاج حضارة القادمين مع حضارة السكان المقيمين، لذلك سميت البلاد باسم هؤلاء القادمين الذين كانوا مسالمين وعاشوا مع أهل البلاد بأمان ودافعوا عنها عندما تعرضت للغزو بعد ذلك.

وتحدث الفصل الثالث عن فترة العصر الحديدي الذي تعرضت فيه القدس وفلسطين لأحداث جسيمة أهمها الغزو العبراني القادم من مصر، فتم الحديث عن النبي موسى عليه السلام وخروجه ببني إسرائيل باتجاه فلسطين، ثم قيادة يوشع للعبرانيين من بعده حتى دخل بهم فلسطين، ثم الحديث عن تأسيس المملكة العبرانية في فلسطين وانقسامها إلى مملكتي يهوذا وإسرائيل.

وتضمن الفصل الرابع الحديث عن الأمم التي قامت بغزو فلسطين ابتداء بالغزو الآشوري والبابلي للمنطقة، ثم غزو الفرس واليونان، ثم الرومان والذي سبق ظهور الإسلام وتحرير هذه البلاد.

وجاء الفصل الخامس للحديث عن المدينة في صدر الإسلام والدولة الأموية، وتضمن الحديث عن رحلة الإسراء والمعراج، وتحرير المدينة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وإعطاء أهلها الأمان المشهور الذي عرف بالعهدة العمرية، ثم الحديث عن الأعمال التي قام بها خلفاء بني أمية في المدينة والتي أكدّت عروبة المدينة وإسلاميتها

خاصة بناء عبد الملك بن مروان وابنه الوليد الأول لمسجدي قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك.

أما الفصل السادس فتناول الحديث عن مدينة القدس في العصر العباسي وأهم الأحداث التي شهدتها هذه الفترة والتطورات أو التغيرات التي طرأت على مدينة القدس سواءً في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل، أو عندما ظهرت فيها إمارات مستقلة أيام الطولونيين والأخشيديين، وما طرأ على المدينة بعد انتقال حكمها إلى الدولة الفاطمية، إضافة إلى الحديث عن بعض مشاهير علماء المدينة في الفترة الإسلامية.

واشتمل الفصل السابع على غزو الفرنج لمدينة القدس في العصور الوسطى، وتضمن الحديث عن الحروب الصليبية ودوافعها وقيام الحملة الأولى التي تمكنت من اسقاط المدينة واقامة حكم للفرنج باسم مملكة بيت المقدس اللاتينية، تضمنت مجموعة من الأجهزة التي حكمت حكماً غريباً في المدينة، وكان لها جيش يقوم بالأعمال العسكرية في الدفاع عن مملكة بيت المقدس والإغارة على المسلمين في المناطق المجاورة.

بينما جاء الفصل الثامن للبحث في أحوال المدينة خلال العهدين الأيوبي والمملوكي حيث ورث صلاح الدين أعمال الجهاد ضد الفرنج فأتم وحدة مصر والشام، وأخذ يستعد للجولة الفاصلة في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م التي فتحت الطريق أمام تحرير المدينة المقدسة واعادة وجهها العربي المشرق الذي غاب عنها أقل من قرن من الزمان، واشتمل الفصل على الحديث عما جرى لمدينة القدس في عهد خلفاء صلاح الدين الذين فرّط بعضهم بالمدينة ولم يحافظوا على هويتها العربية الإسلامية لكن إلى حين، وما طرأ على المدينة في العهد المملوكي.

واشتمل الفصل التاسع على الحديث عن المدينة في العهد العثماني الذي بدأت في أواخره تهديدات الصهيونية للقدس وفلسطين، فوقف السلطان عبد الحميد الثاني مدافعاً عن فلسطين وحرم على اليهود حتى الإقامة في المدينة مما جعله عرضة للمؤامرات الصهيونية، وخط التاريخ بأحرف من نور مواقف السلطان عبد الحميد المدافعة عن فلسطين وحقوق أهلها من العرب وعدم السماح للصهيونية بتنفيذ مخططاتها الخبيثة، إلاّ

أن عزل عبد الحميد وسقوط فلسطين بيد الاحتلال البريطاني مع انتهاء الحرب العالمية الأولى جعل طريق الصهيونية سالكة للبدء بتنفيذ سياستها الاستعمارية.

أما الفصل العاشر والأخير فجاء للحديث عن القدس بعد الاحتلال البريطاني للمدينة سنة ١٩١٧م، ووقوف أهل فلسطين لمقاومة الاحتلال البريطاني ومنع الصهيونية من تنفيذ مخططاتها، لذلك بدأت حركة المقاومة العربية في فلسطين ضد الانجليز والصهيونية معا، غير أن القوة الاستعمارية هيّأت الجو أمام اليهود ليحلوا محل الانجليز سنة ١٩٤٨م ولم تتمكن الجيوش العربية من الحفاظ إلاّ على قسم ضئيل من الأرض العربية سواءً في فلسطين أو في القدس، ثم تمكنت الصهيونية بمساعدة الدول الأوروبية وأمريكا من احتلال الجزء المتبقي من فلسطين والقدس سنة ١٩٦٧م.

ولم ييأس أهل فلسطين والقدس من المطالبة بكل الوسائل لاستعادة القدس وفلسطين، ولما فشلت المطالبات السياسية قامت الانتفاضة الفلسطينية الخالدة التي عمت فلسطين بأسرها منذ سنة ١٩٨٧م، ثم تبعتها انتفاضات متعددة منها انتفاضة النفق سنة ١٩٩٦م، ثم انتفاضة الأقصى المباركة سنة ٢٠٠٠م والتي لا تزال قائمة متمثلة بالمقاومة العربية الفلسطينية لأشكال الاستعمار الصهيوني بكل الوسائل، منها مظاهرات ومنها احتجاجات ومنها صمود ومنها مواجهة بالحجارة وقنابل المولتوف، أو ببعض الأسلحة التي يمكن الحصول عليها، ومنها الكمائن، وأهمها الأعمال الاستشهادية الرائعة التي ضربت المثل للعالم كله بالجرأة والمقدرة العربية على النضال ومقاومة الهمجية الصهيونية التي يدعمها الحقد الأمريكي الذي لا يعرف الإنسانية في زمن عصيب سيطرت فيه القيم المادية واللاأخلاقية محل الإنسانية وسيادة الحق والعدل.

الفصل الأول

تمهيد

أ. جغرافية القدس

١- من أعطى المدينة اسمها؟

٢- موقع المدينة وطبيعتها

٣- مصادر المياه

٤- أبواب القدس

ب. القدس تسبق التاريخ

١-العصر الحجري القديم

٢-العصر الحجري الوسيط

٣-العصر الحجري الحديث

٤-العصر الحجري المعدني (النحاسي)

جغرافية القدس

من أعطى المدينة اسمها؟

القدس في اللغة: تنزيه الله تعالى، والقدس الطهارة، والتقديس: التطهير والتبريك، وتقدّس: تطهّر، والقدُّوس: هو الله عز وجل، والقدس: البركة، والأرض المقدسة: الشام، ومنها بيت المقدس[(١)].

وعند ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) أن المقدِسُ في اللغة المنزه، فذكر المفسرون في قوله تعالى: (ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك)[(٢)]. قال الزجاج: معنى نُقدّس لك: أي نطهرّ انفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدّسه أي نطهُّره[(٣)]، والقدس اسم لبيت المقدس[(٤)]، والبيت المقدّس: المطهّر الذي يتطهر به من الذنوب[(٥)]، والأرض المقدسة: الطاهرة، وهي دمشق وفلسطين والأردن[(٦)].

وقد حملت مدينة القدس أسماء كثيرة منذ فجر تاريخها، وأول هذه الأسماء (مدينة السلام)، وهو الاسم الذي أطلقه عليها سكانها الأقدمون من العرب الكنعانيين نسبة إلى ملكها سالم أو (شالم – شاليم)[(٧)]، ثم حرَّفت الأمم القديمة هذا الاسم، فأطلق عليها الأكاديون اسم (أوروسالم)[(٨)]، وتعني أيضاً مدينة السلام، لأن (أور) كلمة سومرية تعني مدينة، وسالم أو شاليم تعني السلام؛ فأوروسالم تعني مدينة السلام، وقيل إن سالم هو إله

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت ٢٠٠٠م، ج١٢ ص٤٠، مادة قدس.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، ج٥ ص١٦٦.

(٤) ن. م، ج٤ ص٣١١.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥ ص١٦٦؛ مجير الدين الحنبلي العليمي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، عمان ١٩٩٩م، ج١ ص٧٠، السيوطي: اتحاف الأخصا، ج١ ص٩٤.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، ج٢ ص٤٠/ مادة قدس.

(٧) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، رابطة الجامعيين، الخليل ١٩٧٥م؛ ج٩ قسم ٢ ص٢٢.

(٨) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم ٢ ص٢٣، شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص١٧.

السلام عند الكنعانيين[1]، وقيل هو الملك الذي بنى المدينة، ويذكر فيليب حتي أن هذا الاسم كنعاني، ومعناه (دعْ سالم يؤسس)[2].

وسميت القدس مدينة السلام لما عُرف عن ملكها الموحد لله (ملكي صادق)، وكان قد نزلها وبنى فيها بيتاً لعبادة الله تعالى، وعرف عنه حبُّه للسلام، فتقرَّب إليه الملوك الآخرون الذين حوله وقدموا له الأموال ليعمِّر مدينة القدس، ولما انتهت عمارتها اتفقوا جميعاً وكانوا إثني عشر ملكاً أن يجعلوه ملكاً عليهم، فأطاعوه ولقبوه (أبو الملوك)، فكانوا تحت طاعته[3]، ويذكر الحنبلي أن هذا الملك هو سام بن نوح عليه السلام، وأن ملكي صادق هو لقبه، وتعني ملك الصدق أو الملك الصادق[4].

وأطلق عليها اليبوسيون اسم (يبوس)؛ أي أنها نسبت إليهم، واليبوسيون هم إحدى القبائل الكنعانية التي استوطنت فلسطين وغلبت إقامتهم على مدينة القدس وما حولها، وظل هذا الاسم يطلق على المدينة لفترة طويلة من أوائل الألف الثانية قبل الميلاد حتى استولى عليها داود عليه السلام[5].

ووردت إشارات إلى مدينة القدس في النصوص المصرية القديمة المعروفة بنصوص اللعنة التي تعود إلى القرن (١٩ ق. م) باسم أوشاميم (Aushamem)[6] وذكر بعضهم أنها وردت باسم (روشاليم)[7]. ونصوص اللعنة؛ هي نصوص تاريخية مكتوبة تذكر

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ج١ ص٧٢، سامي سعيد: الاحمد: تاريخ فلسطين القديم، بغداد ١٩٧٩م، ص ١٠٤.

(٢) فيليب حتي: تاريخ سوريا ص٧٣، خالد عبد الرحمن العك: تاريخ القدس العربي القديم، مؤسسة النوري، دمشق ١٩٨٦م، ص٦٩.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٧٢، وانظر خالد العك: تاريخ القدس ص٦٨.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٧٢.

(٥) انظر خالد محمد غازي: القدس –سيرة مدينة / دراسات وشهادات، دار الهدى ١٩٩٨م ص١٣.

(٦) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم ٢ ص٢٣.

(٧) خالد غازي: القدس، ص١٣.

أسماء الملوك الذين كانوا يعادون الدولة المصرية (دولة الفراعنة) في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ومنهم ملوك كنعانيين وآموريين كانوا يحكمون مدينة القدس[١].

أما اليهود فذكروا المدينة باسم (يروشاليم) وهي اورشليم[٢]، وعندما دخلها داؤد سنة ٩٩٧ق.م وجعلها مقراً لحكمه أطلق عليها اسم (مدينة داؤد)[٣]، ثم أطلق عليها اليونان اسم (هيروسوليما Hierosolyma)[٤]، ولما جاء الامبراطور الروماني هادريان الذي طرد منها اليهود سنة ١٣٠م أطلق عليها اسم (إيليا كابيتو لينا)[٥]، وقيل إيلياء هو اسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وعندما دخلها المسلمون سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م أبقى المسلمون على الاسم الذي أطلقه عليها الرومان وهو اسم (إيلياء)، حيث ورد ذكر هذا الاسم في الأمان الذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل المدينة[٦]، ووردت في شعر الفرزدق الشاعر الأموي بقوله[٧]:

وبيتان بيت الله نحن بناته　　　وقصرٌ بأعلى إيلياء مُشرَّف

وأطلق عليها المسلمون اسم مدينة القدس وبيت المقدس، وأكثر ما ورد اسمها عند المؤرخين والجغرافيين المسلمين هو بيت المقدس أو البيت المقدّس[٨]، واصبح اسم

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، مجلد٣ ص٥١٠.

(٢) لي سترانج: فلسطين في العهد الاسلامي، ترجمة محمود عمايرة، عمان ١٩٧٠م، ص٩٦، الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم ٢ ص٢٤، شفيق جاير: تاريخ القدس ص١٧.

(٣) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم ٢ ص٣٢.

(٤) ن. م، ج٩ قسم ٢ ص٢٤.

(٥) لي سترانج: فلسطين في العهد الإسلامي، ص٩٦.

(٦) الطبري: الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ج٣ ص٦١٠،٦٠٩، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٧٠- ٣٧٣.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ ص٢٩٣.

(٨) انظر ابن خرداذبة: المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م ص٧٥، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م، ص٩١، الحنبلي: الانس الجليل، ج١ ص٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤.

مدينة القدس بعد ذلك هو الأكثر شيوعاً خاصة في العصور الحديثة، وسميت القدس لقدسيتها ومكانتها عند أصحاب الديانات السماوية.

وحملت المدينة أسماء أخرى غير التي ورد ذكرها، ففي العهد العثماني كان يطلق عليها اسم القدس الشريف، وسميت بالمسجد الأقصى، حيث ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم بقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[1]، وسمي المسجد الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام[2].

وبالعودة إلى الأسماء التي أطلقت على مدينة القدس منذ بدية تاريخها نجد بأن العرب الكنعانيين أعطوها جُلَّ أسمائها، وبقيت تحمل الأسماء العربية الكنعانية على مدى تاريخها القديم، وقبل أن يأتي إليها اليهود بأكثر من ألف عام، حتى بعد أن جاء اليهود واحتلوا المدينة، فإن أسماءها السابقة لم تندثر ولم تضيع، فقد بقي أهلها من الكنعانيين واليبوسيين يستخدمون هذه الأسماء فيما بينهم، كما أن الإسم الذي اشتقّه اليهود كان تحريفاً عن أسمائها العربية الكنعانية مع تحويل السين إلى شين لتناسب لغة اليهود، وكذلك كانت الأسماء التي أطلقتها الأمم الأخرى على المدينة كالبابليين واليونان هي أيضاً مشتقة من أسماء المدينة العربية الكنعانية.

موقع المدينة وطبيعتها

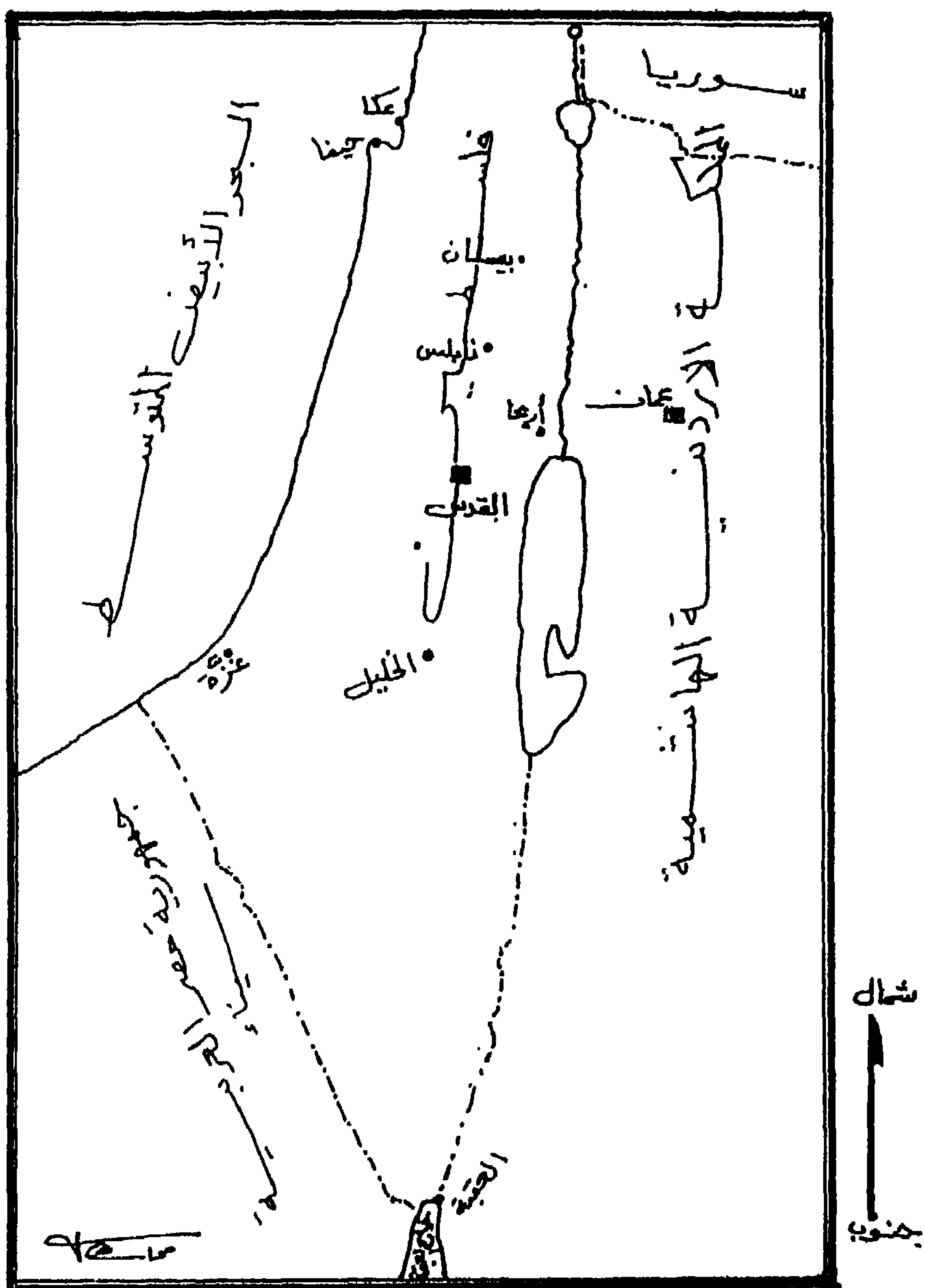
تقع مدينة القدس في قلب فلسطين وعلى خط طول ٣٥ شرقي خط غرينتش، وعلى درجة عرض ٣١ شمالاً، على مسافة تقارب الخمسين (٥٠) كيلو متراً إلى الشرق من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وبارتفاع حوالي (٨٥٠) متراً عن سطح البحر[3].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٦٩: ويذكر السيوطي أن المسجد الأقصى سمي لأنه أبعد المساجد التي تزار ويبتغى بها الأجر عن المسجد الحرام، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث (انظر السيوطي: اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق: أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٢م، ج١ ص٩٣).

(٣) مصطفى مراد الدبغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم ٢ ص١٣، شفيق جاسر: تاريخ القدس ص٢٠.



موقع مدينة القدس في فلسطين

أقيمت المدينة الأولى على الطرف الجنوبي الشرقي لجبل موريا، وذكر مصطفى الدباغ أن المدينة القديمة بنيت على تلال (الظهور) المطلّة على قرية سلوان، وكانت تعرف باسم (تل أوفل) أو (عوفل)[1]، وبدأ استيطان الناس في هذه المنطقة منذ العصر الحجري القديم الذي انتهى بحدود (١٢,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ ق.م).

وجاء اختيار المدينة في هذا المكان لموقعه الحصين، فهو محاط بالأودية من ثلاث جهات هي الشرق والغرب والجنوب، فوادي قدرون من جهة الشرق، والوادي من الغرب ووادي هنوم أو الربابة من الجنوب، وإلى الشرق من المدينة يوجد وادي قدرون الذي يسميه العرب (وادي سلوان) و(وادي ستي مريم) و(وادي النار)، وأطلق عليه في القرن الرابع الميلادي اسم (وادي يهو شافاط)[2]، وقد ورد ذكر هذا الوادي عند ابن الفقيه (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) باسم (وادي جهنّم)، وذكر أنه من هذا الوادي رُفع عيسى عليه السلام، وأن فيه مصلى عمر بن الخطاب، وفيه قبور الأنبياء[3].

وإلى الجنوب من المدينة يوجد وادي الربابة (الرابة) وكان قديماً يعرف (بوادي هِنُّوم)، وهي كلمة تعني جهنّم، ويلتقي وادي الربابة بوادي جهنّم جنوبي الظهور (أوفل) عند بئر أيوب[4].

أما من الغرب فيوجد الوادي الذي دعاه يوسيفوس عام ١٠٠م باسم (تيروبيون) ومعناه (صانعوا الجبن)[5]، وفسّره بعضهم بـ(وادي الروث... أو الزبل) وربما سمّوه لأن الناس كانوا يلقون به الزبل أو روث الدواب، ويبدو أن هذا الوادي كان مكبّاً لأهل

---

(١) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم ٢ ص١٣، محمود العابدي، قدسنا، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ١٩٧٢م، ص٩.

(٢) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢ ص١٤.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م، ص٩٧.

(٤) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢ ص١٨.

(٥) العابدي: قدسنا، ص٩.

المدينة على مرّ العصور، فيذكر الدبّاغ أنه امتلأ اليوم بقطع الأحجار والطوب وغيرها مما ألقي فيه على مدى القرون[1]..

وشكلت الأودية الثلاثة خطوطاً دفاعية عن المدينة من الجهات الثلاث التي تحيط بها من الشرق والغرب والجنوب، ولذلك كانت تستعصي على المهاجمين إلاّ من الجهة الشمالية فقد كان دخول جميع الذين غزوا مدينة القدس من هذه الجهة.

وأقيمت مدينة القدس على خمس تلال مشهورة هي:

١- موريا أو الصخرة: وهو التل الذي عليه الحرم القدسي الشريف، ويعتبر أعلى تلال مدينة القدس[2]، ويعرف بجبل بيت المقدس أو جبل الحرم[3].

٢- تل الظهور (الظهرة) المطل على قرية سلوان إلى الجنوب الشرقي من الحرم الشريف[4].

٣- جبل صهيون: وهو التل المطل على بركة السلطان في الزاوية الجنوبية الغربية لمدينة القدس، وكانت توجد عليه القلعة المسماة بمدينة داؤد[5].

٤- تل زيتا: وهو التل الممتد من باب (حطة) الساهرة إلى باب العمود، وكانت تتصل بالصخرة الواقعة على حجر سليمان، وورد ذكر هذا الجبل عند كل من ابن الفقيه والمقدسي، وذكروا انه مشرف على المسجد الأقصى[6].

---

(١) الدباغ: بلادنا فلسطين ج٩ قسم٢ ص١٩، العابدي: قدسنا، ص٩.

(٢) شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢٣.

(٣) خالد محمد غازي: القدس ص١٦.

(٤) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢ ص١٣.

(٥) خالد محمد غازي: القدس ص١٦.

(٦) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص٩٧، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة مدبولي، ص١٧٢.

٥- تلة أكرا: وهناك من يسميها عكرة، وتقع بالقرب من كنيسة القيامة[١] عند حارة النَصارى، وعليها أقيمت قلعة أكرا المشهورة في الفترة السلوقية، أقامها أنطيوخوس الرابع بعد القضاء على ثورة اليهود سنة ١٦٨ق.م.

ولم تتوقف المدينة وعمرانها عند حدود هذه التلال، وإنما كانت تتوسع وتزداد مساحتها يوماً بعد يوم، فشملت كثيراً من المناطق المجاورة مثل جبل الزيتون وجبل المشارف (المشهد) والقطمون والمكبّر وغيرهما.

أما مناخ المدينة، فإنها تقع في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ولا تبعد عن البحر أكثر من خمسين كيلو متراً، لذلك فإن مناخها هو مناخ البحر المتوسط، وهو المناخ المعتدل، وتسقط عليها كميات مناسبة من الأمطار يصل متوسطها إلى حوالي (٥٠٠ ملم)، وتعتمد زراعاتها على مياه الأمطار التي تسقط في فصل الشتاء.

مصادر المياه

تحدّث المؤرخون عن المياه في مدينة القدس، حتى ذكر بعضهم أن المياه العذبة تخرج من تحت صخرة بيت المقدس[٢]، وان ماء بيت المقدس فيه خير ونفع لشاربه[٣]، وكانت مياه بيت المقدس على نوعين:

١-مياه الآبار الجمع: التي تحفر لتجميع المياه فيها إلى وقت الحاجة.

٢-مياه العيون والأودية: وهذه موجودة حول مدينة القدس وفي الأودية المحيطة بها.

وكانت آبار مدينة القدس في العصر الإسلامي كثيرة جداً فكان في الحرم والمنطقة القريبة منه ما يزيد على ثلاثين بئراً كان بعضها معطلاً لا تجتمع فيه المياه، وكانت الآبار الموجودة في الحرم كبيرة جداً وتجمع كميات كبيرة من المياه يستقى منها أهل المدينة وجميع زوار المدينة المقدسة[٤]، ومن هذه الآبار: بئر الورقة وبئر السبيل وبئر باب الغوانمة وبئر

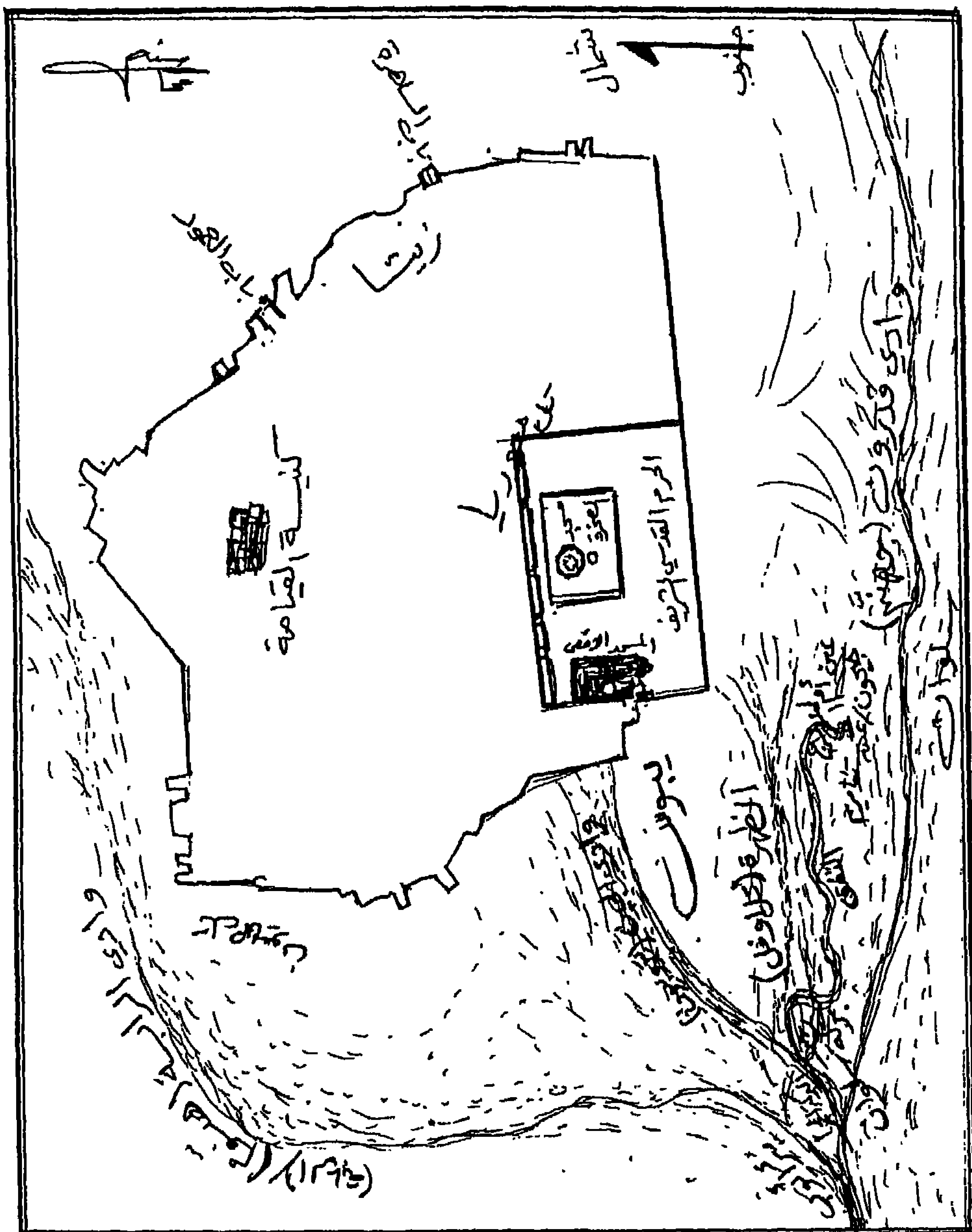
---

(١) شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢٣.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٩٣، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٥٢ ص٩٣.

(٣) انظر العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٥٢.

(٤) عارف العارف: تاريخ الحرم القدسي، دار الأيتام الإسلامية ١٩٤٧م، ص٩٤.



مصادر المياه

باب المجلس وبئر سبيل شعلان وبئر قايتباي وبئر أبي السعود والبئر الأسود وبئر الخضر وبئر الزيتونة وغيرها[1].

وكان أهل القدس في العصور القديمة يعتمدون على مياه الأمطار حتى في توفير حاجاتهم من مياه الشرب، فكانوا يجمعون المياه في آبار يحفرونها، ومع مرور الوقت وازدياد عدد سكان المدينة زادت الحاجة إلى كميات أكبر من المياه، وصار السكان يعتمدون على مياه العيون القريبة من المدينة خاصة بعد أن صاروا يتعرضون لأخطار المهاجمين لمدينتهم.

ويوجد في مدينة القدس نبع مشهور في أسفل الظهور (الظهرة) هو (عين أم الدَّرج)، ويذكر الدّباغ أن هذه العين، كانت النبع الوحيد الموجود في القدس القديمة[2]، وسميت عين أم الدَّرج لأنها نبع منخفض ينزل إليها بواسطة درجات إلى كهف طبيعي عند منتصف وادي جهنّم.. وكان أهل القدس من العرب الكنعانيين عام ٢٠٠٠ق.م هم الذين قاموا ببناء نفق تحت الأرض في الصخر يصل ما بين المدينة وهذه العين ليسهِّل وصول السقاة إليها، ويفيدهم في حال تعرّض المدينة لحصار الأعداء.

وكان هذا النّبع يعرف أيضاً باسم (نبع العذراء)[3]، وله أسماء أخرى منها: عين (ستنا مريم) وعين روجل (وجيحون) أي نبع متدفق.

وتوجد مصادر أخرى للمياه في مدينة القدس منها...

١-بركة سلوان: وتوجد في قبلة المسجد[4] إلى الجنوب من عين أم الدَّرج وعلى مسافة قريبة منها، ذكرها ياقوت الحموي بأنها نضّاخة يتبرك بها ويشتفى منها بالبيت المقدس، وهي عين عذبة تسقي جناناً عظيمة وقفها عثمان بن عفان رضي الله تعالى

---

(١) عارف العارف: تاريخ الحرم، ص ٩٤-٩٥.

(٢) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢ ص١٤.

(٣) الموسوعة الفلسطينية، مجلد٣ ص٥١٠.

(٤) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٩٧.

عنه على ضعفاء بيت المقدس[1].

٢-بئر أيوب: يقال بأن الذي حفرها هو النبي أيوب عليه السلام، ومنه حملت اسمها، ولا يوجد فيها نبع وإنما يأتيها الماء رشحاً من عين أم الدّرج.

٣-البركة الحمراء: ويقال لها البركة التحتانية إلى الجنوب الشرقي من بركة سلوان وأطلق عليها يوسيفوس في القرن الأول الميلادي اسم بحيرة سليمان[2].

أبواب القدس

كانت مدينة القدس منذ فجر تاريخها محط أنظار الأمم والشعوب يفِدون إليها من كل حدب وصوب ويأتون إليها من كل البلاد، زوّاراً وغزاةً وطلاب علم، فلما بنيت المدينة جعلوا لها سوراً لحمياتها، وكان في سورها عدد من الأبواب تؤدي إلى المدينة، ومع مرور الوقت كان يزداد عدد هذه الأبواب، وذلك حسب حاجة أهل المدينة إليها، وفي أيام الشدَّة والحروب كانت تغلق بعض هذه الأبواب زيادة في تحصينها ومنعتها أمام الغزاة.

وكان حكام المدينة وأهلها يخصصون مجموعات من الجند لحراستها من على الأبراج والأسوار، خاصة في المناطق القريبة من الأبواب التي يُخشى دخول الأعداء منها، وربما حدَّدت السلطة الحاكمة في المدينة ساعة معينة في الليل يمنع بعدها دخول أحد من الناس إلى المدينة وأغلقت الأبواب خوفاً من تسلل الجواسيس واللصوص وقطاع الطرق إليها.

ولم يكن لمدينة من المدن أبواباً مثلما كان لمدينة القدس، فكثرة زوارها وحجاجها ومن يؤمها من طلاب العلم والتجار وغيرهم كان سبباً في كثرة الأبواب المؤدية إليها، فقد كان يحيطها سور ضخم ولا يمكن الدخول إليها إلاّ عبر أبواب كانت تفتح في الأسوار..

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣ ص٢٤١.

(٢) شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٣١.

وكانت الأبواب في القدس على نوعين هما: أبواب المدينة وهي الأبواب التي فتحت في سور المدينة وتسمح للناس بالدخول إلى المدينة أو الخروج منها، وأبواب للحرم القدسي الشريف فتحت أيضاً في سور الحرم القدسي الشريف وتسمح لأهل المدينة وزوارها بالدخول إلى منطقة الحرم القدسي للصلاة والعبادة سواءً أكان ذلك في المسجد الأقصى أو في مسجد قبة الصخرة المشرفة أو أي مكان آخر من الحرم القدسي، وغالباً كان يطلق اسم المسجد الأقصى على جميع منطقة الحرم القدسي الذي يشتمل على مجموعة من الأبنية أهمها المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبة الصخرة المشرفة.

أ-**أبواب المدينة**: فقد وردت الإشارة إلى هذه الأبواب عند الكتاب والمؤرخين فتحدث عنها المقدسي (ت القرن ٤هـ/ ١٠م)، وناصر خسروات (ت القرن ٥هـ/ ١١م)، والعليمي (ت القرن ١٠هـ/ ١٦م) وغيرهم، فذكر المقدسي أن المدينة كان لها ثمانية أبواب هي: باب صهيون، وباب التيه، وباب البلاط، وباب جب إرميا (وهو الباب المعروف بباب الساهرة)، وباب سلوان، وبابا أريحا، وباب العمود، وباب محراب داؤد[(١)]

وكانت أبواب المدينة عرضة للتغيير والاستبدال من وقت لآخر وحسب حاجة المدينة إليها، فقد تفتح أبواب، وتغلق أبواب أخرى، ومن أبواب مدينة القدس:

١- **باب العمود**: وهو أكبر أبواب المدينة والمنفذ الرئيسي لها، بُني أيام الرومان في القرن الأول الميلادي، ويقع في الجهة الشمالية من سور المدينة، وكان يسمى أيضاً باب دمشق[(٢)]، لأنه كان مخرج القوافل المتجهة من القدس إلى مدينة دمشق، وعرف أيضاً بباب النصر أو طريق الانتصار، لأنه كان يستخدم لعبور الجماعات الفاتحة أو

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٦٧.

(٢) انظر رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص٣٤٤، محمد هاشم غوشة: بوابات القدس، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان ١٩٩٢م، ص٢٢، زهير غنايم ومحمود عواد: القدس، الوقائع، الموقع، السكان والمساحة، اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمان ٢٠٠٢م، ص٣٣.

المتصرة التي تدخل المدينة سواءً أكانت فاتحة كالمسلمين، أو محتلة كالرومان والإفرنج، وسمي أيضاً باب نابلس، وهو اسم اطلقه عليه أهل الخليل لأنه مقام من جهة نابلس، أو في الاتجاه المؤدي إليها، بينما أطلق عليه الإفرنج اسم (باب ستيفن)[١].

أما تسمية (باب العمود) فهي الأكثر شيوعاً وتداولاً بين الناس، وسمي باب العمود لأن الرومان خلال احتلالهم المدينة أقاموا عموداً في الساحة الداخلية المقابلة لهذا الباب، وجعلوا عليها تمثالاً من الجرانيت الأسود يمثل الامبراطور أدريانوس (هادريان) احتفاءً بزيارته للمدينة.

ويتكون الباب من مدخل وعقد يقوم فوقه برج صغير من الحجر، وفوق الباب نقش تذكاري يخلد اسم السلطان سليمان القانوني الذي قام بتجديده وإعادة بنائه سنة ٩٤٤هـ/ ١٣٥٧م[٢].

٢- **باب الساهرة**: وهو من الأبواب الشمالية لمدينة القدس، ويقع إلى الشرق من باب العمود وعلى بعد ٥٠٠ متراً تقريباً بين بابي العمود والأسباط، وورد ذكره عند المقدسي باسم (باب جب إرميا)[٣]، ويطلق عليه أهل القدس اسم (باب الزهراء)، وسُمي باب الغنم لأنه كانت تقام فيه سوق أسبوعية للغنم، وكان البعض يسميه باب الورد وباب هيرودس.

يتكون الباب من مدخل وعقد مدبب وبينهما نقش حجري يظهر فيه اسم السلطان سليمان القانوني وألقابه وتاريخ تجديد بناء الباب في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وأغلق الباب ثلاث مرات في العصر الحديث، ثم أعيد فتحه سنة ١٩١٧م[٤].

---

(١) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص٣٤٤.

(٢) ن، م، ص٣٤٤.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم: ص١٦٧، رائف نجم: وآخرون: كنوز القدس، ص٣٤٧، محمد غوشة: بوابات القدس، ص٦٥.

(٤) محمد غوشة: بوابات القدس، ص٦٥-٦٦.

٣- **باب الأسباط**: ويعرف أيضاً بباب ستي مريم، ويقع شمال شرق الحرم، ويتكون من مدخل كبير وعقد حجري مدبب، وبينهما نقش باللغة العربية يذكر قيام السلطان العثماني سليمان القانوني بإصلاحه سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م[١]، وهو أقرب مدخل للحرم القدسي الشريف من الجهة الشرقية[٢]، وكان يسمى باب الأُسُود لوجود أسدين منحوتين على جانبي الباب يرمزان لشعار الظاهر بيبرس، وهذا يدل على أن الظاهر بيبرس كان له دور في بناء أو ترميم هذا الباب، كما سمي باب الغنم لأنه كان مخرج الأغنام ومدخلها من وإلى مدينة القدس، وباب الأردن لأنه يؤدي إلى جهة الأردن في الشرق[٣].

٤- **باب الرحمة (الباب الذهبي)**: وهو أقدم أبواب المدينة المقدسة، ويعود تاريخه إلى زمن هيرود الكبير، وقيل بل إلى عصر عيسى عليه السلام الذي اعتاد أن يدخل المسجد الأقصى في أحد الشعانين من هذا الباب، ولم يكن الباب يفتح إلاّ في هذا اليوم[٤].

ويقع هذا الباب في الجهة الشرقية من مدينة القدس وكان يقال له باب التوبة وسمي بذلك لأن الله سبحانه وتعالى قبل توبة النبي داؤد عِندَه[٥]، وكان قديماً يسمى باب الحكم أو باب القضاء[٦].

هدم هذا الباب عِدَّة مرات وَأُعيد بناؤه، فتجدد في عهد الامبراطور الروماني هرقل، ثم جُدِّد في عهد بني أمية[٧]، واغلق أيام الحروب الصليبية لضرورات أمنية[٨].

---

(١) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص٣٥٢.

(٢) محمد غوشة: بوابات القدس، ص٦١.

(٣) ن، م، ص٦٢.

(٤) محمد غوشة: بوابات القدس، ص١٠٩.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٥١، ١٧٠، ناصر خسرو: سفرنامة، ص٦٠، العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٥١.

(٦) محمد غوشة: بوابات القدس، ص١٠٩.

(٧) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص٨٤.

(٨) محمد غوشة: بوابات القدس، ص١١٠.

وفي القرن ٥هـ/ ١١م بُني فوق باب الرحمة بيتٌ للصوفية، كما بني نصر بن إبراهيم المقدسي في القرن ٩هـ/ ١٥م مدرسة أو زاوية فوق هذا الباب، وفوق برج الباب أنشأ مدرسة سميت المدرسة الناصرية، وكانت هناك زاوية تعرف بالزاوية الغزالية نسبة إلى أبي حامد الغزالي.

٥- **باب المغاربة**: ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة القدس، وسمي كذلك لأنه يجاور جامع المغاربة أو مقام المغاربة[١]، وينتهي إلى حارة المغاربة، ويطلق عليه أيضاً اسم (باب النبي) أو (باب البراق)[٢]، وهناك من أطلق عليه اسم (باب الدباغة) لأنه كان يؤدي إلى سوق الدباغة، وباب سلوان[٣] لأنه يؤدي إلى قرية سلوان، وسمي باب القمامة (القيامة) لأنه يؤدي إلى كنيسة القيامة.

ويتكون الباب من مدخل وعقد حجري مدبب، ويغطي فتحة المدخل مصراعان من الخشب القوي[٤].

وتعرَّض هذا الباب لتغييرات كثيرة، أهمها تجديد عمارته في أيام المماليك زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان الباب يغلق أحياناً، ويفتح أحياناً أخرى، ففي القرن التاسع عشر الميلادي كان مغلقاً ولا يفتح إلاّ لجلب المياه من عين سلوان، ومرور الأنعام التي تحمل السماد الطبيعي[٥].

٦- **باب النبي داؤد**: ويعتبر المدخل الجنوبي الغربي لمدينة القدس، ويقع إلى الغرب من باب المغاربة وإلى الجنوب من باب الخليل، ولعله سمي بهذا الاسم لأنه أقرب مخرج

---

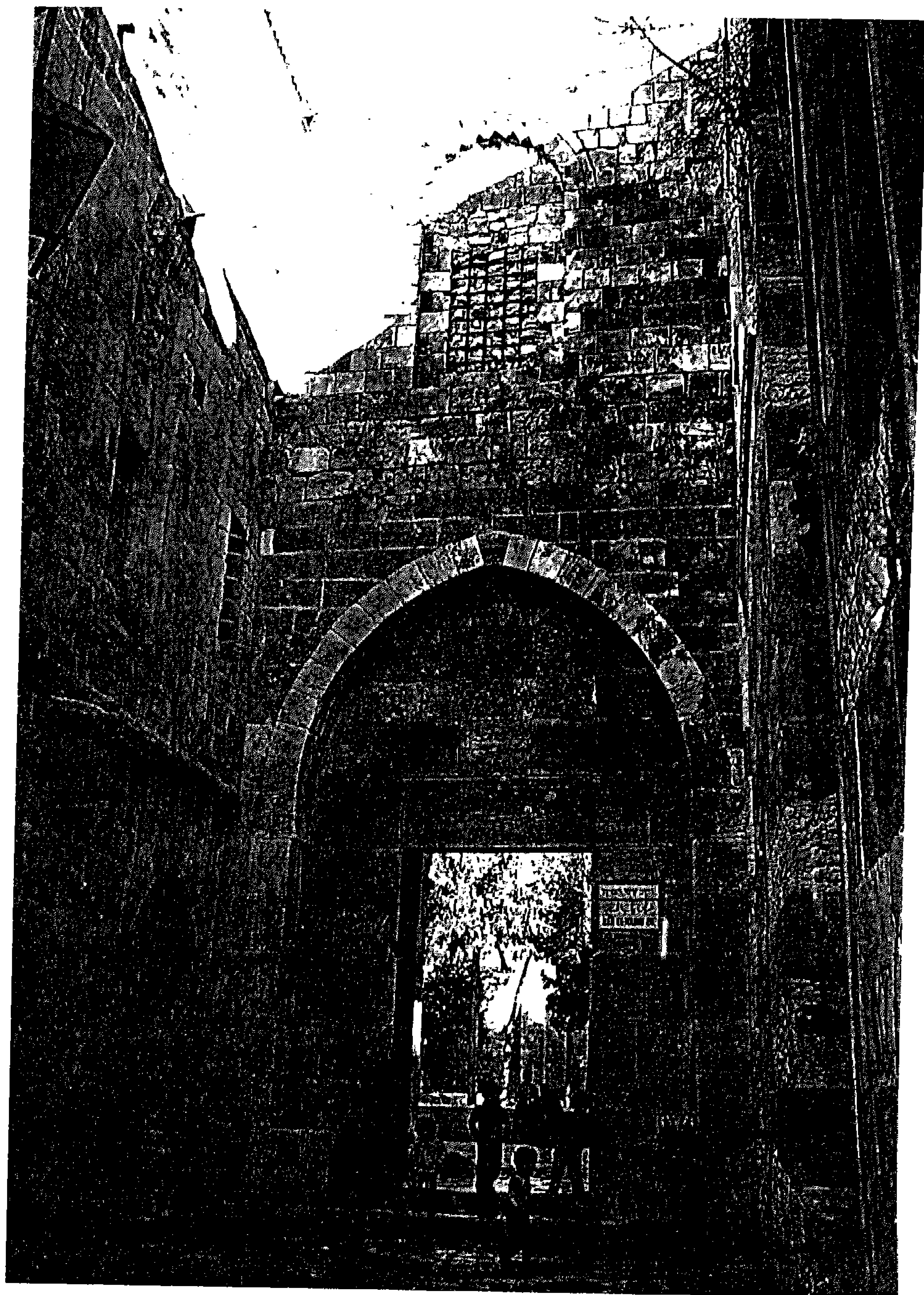
(١) السيوطي: اتحاف الأخصَّا، ج١، ص٢٠٥، محمد غوشة: بوابات القدس، ص١٠٥.

(٢) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١٧٨.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٦٧، زهير غنايم ومحمود عواد: القدس، ص٣٤.

(٤) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١٧٨.

(٥) محمد غوشة: بوابات القدس، ص٥٧.



باب الحديد

من المدينة يؤدي إلى مقام النبي داؤد فوق جبل صهيون[1]، ويعرف أيضاً باسم (باب صهيون) نسبة إلى جبل صهيون الذي يوجد عليه الباب، كما يعرف بباب المحراب، وهو باب كبير يتكون من مدخل وعقد حجري مدبب، وللباب مصراعان من الخشب المصفّح بالنحاس وعلى جانبيه نافذتان يعلوهما قوسان صغيران، ويتميز هذا الباب بأنه تظهر فيه مميزات العمارة العسكرية من حيث الضخامة والارتفاع والأبراج التي كانت تستعمل للمراقبة ورمي السهام، أو صب الماء والزيت المغلي على الأعداء[2].

ولا يعرف متى بُني هذا الباب، وكان هناك نقش تذكاري على الباب يشير إلى أنه تم إعادة بنائه أو تجديده في زمن السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤١م، يحمل اسم السلطان وألقابه وسنة تجديده للبناء[3].

٧- باب الخليل: وورد ذكره عند المقدسي باسم (باب محراب داؤد)[4]، ويسمى باب يافا، وعرف بباب الخليل لأنه يؤدي إلى مدينة الخليل أو مُقام من جهة الخليل، وعرف باسم (بوابة بيت لحم) لأنه يؤدي إلى بيت لحم، وباب المحراب وباب الحجاج وباب حِبرون وباب لُد وباب شهداء الحقل وباب الأصدقاء[5].

ويعد هذا الباب ثاني أهم باب للمدينة بعد باب العمود، وهو المدخل الرئيسي الوحيد في الجزء الغربي من أسوار المدينة، ويقع بين بابي النبي داؤد والباب الجديد.

يعود إنشاء هذا الباب إلى القرن الأول الميلادي في زمن هيرود ويتكون من مدخل وعقد حجري مدبب، وبينهما نقش تذكاري يشير إلى إعادة بناء هذا الباب سنة ٩٤٥هـ/

---

(١) محمد غوشة: بوابات القدس، ص٥١.

(٢) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص٣٥٦.

(٣) ن، م، ص٣٥٦.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٦٧.

(٥) محمد غوشة: بوابات القدس، ص٣٩.

١٥٣٨ - ١٥٣٩م في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني[1]، وفوق الباب سور وأبراج مسننة مستطيلة الشكل، وهو مبني من الحجر الوردي الكالح.

٨- **باب الجديد:** ويقع هذا الباب إلى الشمال من باب الخليل، وبينه وبين باب العمود، وهو أحدث أبواب المدينة لذلك سُمي الباب الجديد، ويسمى أيضاً باب عبد الحميد لأنه فتح بأمر من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٨٨٧م لتسهيل الدخول إلى المدينة أمام أهل القرى المجاورة لها من الجهة الشمالية الغربية[2]. وهو باب متوسط الحجم تعلوه ثلاثة أبراج مستطيلة الشكل.

٩-وهناك مجموعة أخرى من أبواب المدينة المقدسة منها:

أ- باب الحكمة أو باب دير السرب، وعند عبد الغني النابلسي أنه كان موجوداً قبل حوالي ثلاثة قرون تقريباً في ناحية باب الأسباط[3].

ب- باب الأرمن، وبُني في العهد التركُي بالقرب من دير الأرمن.

ج- باب الرحبة، وكان يقع في الجهة الشرقية من باب الأسباط.

د- باب الداعية، ويقع في الجدار الشمالي، وأغلب الظن أنه من بناء العثمانيين.

ب- **أبواب الحرم القدسي:** ويخلط الكثيرون بين أبواب الحرم القدسي الشريف وبين أبواب المدينة المقدسة.

فأبواب المدينة هي التي تسمح بالدخول إلى المدينة والخروج منها وهي موجودة في جدارن السور الذي يحيط بالمدينة، أما أبواب الحرم القدسي فهي الأبواب الموجودة في أسوار الحرم والتي يتم الدخول منها إلى ساحة الحرم القدسي الذي كان يعرف باسم المسجد الأقصى لوجود المسجد الأقصى في الزاوية الجنوبية الغربية منه.

وتحدث المقدسي عن أبواب الحرم، فذكر أنه يتم الدخول إلى المسجد من ثلاثة عشر موضعاً بعشرين باباً هي: باب حُطَّة، وبابي النبي صلى الله عليه وسلم، وأبواب محراب

---

(١) راتف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص٣٥٤.

(٢) محمد غوشة: بوابات القدس، ص٣٧.

(٣) عبد الغني النابلسي: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، بدون تاريخ، ص١٤.

مريم، وبابي الرحمة، وباب بركة بني إسرائيل، وأبواب الأسباط، وأبواب الهاشميين، وباب الوليد، وباب إبراهيم، وباب أم خالد، وباب داؤد[1].

وحملت بعض هذه الأبواب أسماء الأبواب التي تقابلها أو تؤدي إليها من أبواب المدينة، مثل باب الأسباط وباب المغاربة، وفي الجهة الشرقية جاءت أبواب المدينة في كثير من الأحيان لتشكل أبواباً للحرم القدسي لأن سور الحرم في هذه الجهة هو نفسه سور المدينة، لهذا تتكرر أسماء الأبواب المؤدية إلى المدينة مع بعض أسماء أبواب الحرم القدسي الشريف، ومن أبواب الحرم القدسي:

١-باب الغوانمة:

ويقع في آخر الجهة الغربية من الشمال، وبالقرب من منارة الغوانمة، وكان يسمى قديماً (باب الخليل)[2]، وأما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فكان يسمى (باب الوليد)[3]، وورد ذكر هذا الباب عند كل من السيوطي وابن فضل الله العمري، ويصعد إليه من الحرم الشريف بعشر درجات، وطوله أربعة أذرع وعرضه ثلاثة أذرع[4].

ويتكون الباب من مدخل صغير تم تجديد بنائه في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م في الوقت الذي قام فيه ببناء الرواق الغربي للحرم القدسي[5].

٢-باب العتم:

وهو المدخل الشمالي للحرم القدسي، ويقع بين باب حطّة وباب الغوانمة، ويعتبر من الأبواب القديمة في مدينة القدس، وهو الباب الذي دخل منه الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٧٠.

(٢) السيوطي: اتحاف الأخصّا، ج١، ص٢٠٤، العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٢.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٧٠.

(٤) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج١، ص١٦٠.

(٥) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١٧٢.

رضي الله تعالى عنه عند زيارته للمدينة[1]، وسمي باب العتم لأن الطريق المؤدية إليه طريق مظلمة، لذلك حمل اسم (باب الظلام)[2].

وكان لهذا الباب أسماء عديدة أطلقت عليه في العصور المختلفة منها (باب المجاهدين) وسمي كذلك لمجاورته قبور المجاهدين التي تنتشر على الطريق المؤدية إلى الباب، وهي قبور المجاهدين الذين استشهدوا ابان تحرير المسلمين لمدينة القدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م من أيدي الإفرنج.

وعرف الباب باسم (باب شرف الأنبياء)، و(باب الدوادارية) وهو اسم اشتهر به في العصر المملوكي[3]، ثم أطلق عليه اسم (باب الملك فيصل) بعد أن تبرع الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود بعمارة المسجد الأقصى المبارك، وطرأت تجديدات على هذا الباب أهمها التجديد الذي حدث في العهد الأيوبي أيام الملك المعظم عيسى سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م.

٣-باب حُطّة:

وهو من الأبواب الشمالية للحرم القدسي الشريف، ويعتبر من أقدم أبواب الحرم، ويقع بين باب الأسباط وباب العتم، ويتكون من مدخل عالي الارتفاع يغطيه مصراعان من الخشب القوي، وأرضيته مفروشة بالبلاط الحجري[4].

ويذكر العليمي أن سبب تسميته بهذا الاسم لأن الله سبحانه وتعالى أمر بني إسرائيل أن يدخلوا منه ويقولوا حطّة، وحطّة من الفعل حطّ أي وضع الشيء من أعلى إلى أسفل[5]، أي بمعنى أنزل، وجُدّدت عمارة هذا الباب في عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م. كما هو مثبت في أعلى الباب.

---

(١) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١٣٢.

(٢) محمد غوشة: بوابات القدس، ص٨٤.

(٣) السيوطي: اتحاف الأخِصا، ج١ ص٢٠٤، العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧١.

(٤) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١٣٦.

(٥) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٠.

٤-باب الأسباط:

وهو باب آخر غير باب الأسباط الموجود في سور المدينة، وهذا باب للحرم القدسي فبعد الدخول إلى المدينة من باب الأسباط الرئيسي ينتهي الداخل إلى هذا الباب إذا رغب في الدخول إلى الحرم، وهو باب قديم لعله بني مع بناء باب الأسباط الرئيسي الموجود في سور المدينة وذلك للتشابه بينهما(١).

ويرجح أن بناء الباب الأول يعود إلى زمن هيرود، وبني معه هذا الباب، ثم اعيد بناؤه أيام المماليك زمن السلطان الظاهر بيبرس، ثم اغلق وأعيد بناؤه مرةً أخرى، وأمر بفتحه وتجديد عمارته السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، ثم جدّدت عمارته مرة أخرى سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م.

٥-بابي الرحمة والتوبة:

ويقع باب الرحمة في الحائط الشرقي من الحرم القدسي الشريف(٢)، وعلى بعد ٢٠٠ متر تقريباً جنوب باب الأسباط، وهو من أقدم أبواب الحرم، ويقال بأنه يعود إلى عهد النبي عيسى عليه السلام، وهناك من يرى أنه يعوج إلى أيام الامبراطور الروماني هادريان (القرن ٢م) (٣).

ويرى العليمي أن هذا الباب هو الذي قال الله تعالى فيه: (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) (٤)، وله باب مصنوع من النحاس الأصفر المنقوش.

وفي العصر الفاطمي بني فوق باب الرحمة مقرٌ أو بيت للصوفية، ثم بنى نصر بن إبراهيم المقدسي مدرسة أو زاوية فوق برج الباب سميت بالناصرية والزاوية الغزالية

---

(١) انظر رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص٣٨٤، محمد غوشة: بوابات القدس، ص٧٩.

(٢) العليمي: الانس والجن، ج٢، ص٦٨.

(٣) محمد غوشة: بوابات القدس، ص١٠٨.

(٤) سورة الحديد: الآية ١٣.

نسبة إلى أبي حامد الغزالي، وأعيد ترميم هذه الزاوية في عهد الملك المعظم عيسى، ووقفها لقراء القرآن الكريم[1].

ويجاور هذا الباب باب التوبة وهو الذي عند محراب مريم[2]، وغالباً كان يقترن البابان معاً ويذكران معاً، وأطلق عليهما اسم (الباب الذهبي)، والباب الشرقي، وبوابات الدهرية، كما كان يسمى قديماً باب الحكم أو باب القضاء، وأمر عمر بن الخطاب باغلاق هذين البابين عند الفتح لعدم وجود فائدة من فتحهما، ثم فتحا فيما بعد، وأعيد إغلاقهما في فترة الحروب الصليبية لضرورات أمنية[3].

٦-**باب المغاربة**: وهو أقرب مدخل مفتوح للمسجد الأقصى من ناحية الغرب، ويقع بالقرب من جامع المغاربة، كما يؤدي إلى حارة كانت تعرف بحارة المغاربة[4]، ثم سكنها اليهود وصارت تعرف بحارة اليهود[5].

ويختلف هذا الباب عن بقية الأبواب من حيث مميزاته المعمارية، فهو مدخل مستطيل الشكل، وفوقه قوس مفرّز جميل يرتكز على قاعدتين حجريتين ونقش تذكاري يشير إلى تجديد البناء في زمن السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م[6].

ويطلق على هذا الباب اسم (باب سلوان) وباب الدباغة، وكان الافرنج يسمونه باب المغارة أو باب القمامة، وعند العُليمي أن هذا الباب هو الذي يسمى باب النبي

---

(١) محمد غوشة: بوابات القدس، ص١١٠.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧١.

(٣) انظر لي سترانج: فلسطين في العهد الإسلامي، ص١٦٧.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٢.

(٥) محمد غوشة: بوابات القدس، ص١٠٥.

(٦) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص٣٥٩.

صلى الله عليه وسلم، وهو الباب اليماني الذي دخل منه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج(١).

٧-باب السلسلة وباب السكينة:

وهما بابان رئيسيان من أبواب الحرم القدسي الشريف، أحدهما مفتوح وهو باب السلسلة، والآخر مغلق وهو باب السكينة أو الباب المغلق ويعرف أيضاً بباب السحرة، وقديماً كان يطلق عليه اسم (باب داؤد) و(باب السلام)، ويذكر العليمي أن هذين البابين هما عمدة أبواب المسجد الأقصى(٢).

أنشيء هذان البابان في فترة مبكرة من العصر الإسلامي، وأُعيد تجديدهما في العصر الأيوبي، ويقعان في الجهة الغربية من الحرم القدسي الشريف بين بابي المغاربة والمطهرة، فالشمالي منهما باب السكينة، والجنوبي باب السلسلة، ولهما بابان مزخرفان واجهتهما من النحاس الدمشقي اللامع المطعمّ بالذهب، وارتفاع كل باب منهما ٣٠ قدماً وعرضه ١٦ قدماً(٣).

٨-باب المطهرة:

هو باب قديم كان يعرف بباب المتوضأ، ويقع في الجهة الغربية من الحرم القدسي بين باب السلسلة وباب القطانين، وسُمي باب المطهرة لقربه من مكان وضوء المصلين الذي يعرف بالمطهرة، وهو باب متوسط الحجم يتكون من مدخل حجري معقود مدبب، والباب يتكون من مصراعين من الخشب القوي(٤).

وجُدّدت عمارة هذا الباب أيام المماليك على يد الأمير علاء الدين البصير سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م مع تجديدات أخرى أجراها لمنطقة الحرم القدسي(٥)، وللباب عدة أسماء منها باب المتوضأ وباب الساقية أو باب السقاية.

---

(١) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٢-٧٣.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٢، وانظر رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١١٥.

(٣) محمد غوشة: بوابات القدس، ص٩٩.

(٤) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١٤٢.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٥٧.

٩-باب القطانين:

وهو أحد الأبواب الغربية للحرم القدسي، وموقعه بين بابي الحديد والسلسلة، وسمي باب القطانين لأنه ينتهي إلى سوق القطانين[١]، وهو من الأبواب القديمة، وتم تجديد بنائه في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م على يد الأمير سيف الدين تنكز الناصري، ويؤكد ذلك النقش التذكاري الموجود على الباب[٢].

١٠-باب الحديد:

وهو من الأبواب الغربية للحرم القدسي، ويقع بين بابي الناظر والقطانين، ويسمى أيضاً باب أرغون نسبة إلى الأمير أرغون الكاملي نائب الملك في الشام[٣] الذي قام بترميمه وتجديد عمارته في منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م، وأرغون كلمة تركية معناها (الحديد)[٤].

ويتكون الباب من مدخل وعقد حجري مدبب، لكنه يخلو من العناصر المعمارية.

١١-باب الناظر:

وهو أيضاً باب قديم واحد المداخل الغربية للحرم القدسي، وموقعه بين باب الغوانمة وباب الحديد، وهو باب ضخم محكم البناء وله مصراعان من الأبواب الخشبية المصفحة بالنحاس[٥].

ويذكر العليمي أن هذا الباب هو الذي ربط به جبريل عليه السلام البراق ليلة الإسراء والمعراج، وتم تجديد عمارته في عهد الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م[٦]، وكان يعرف بباب ميكائيل، وسمي باب البصير، وباب علاء الدين البصير

(١) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٢.

(٢) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١٩٣، محمد غوشة: بوابات القدس، ص٩٣.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج٢، ص٧٢.

(٤) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص٢١٨.

(٥) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١١٨.

(٦) العليمي: الأنس الجللي، ج٢، ص٧٢.

لأنه بجوار رباط علاء الدين البصير، كما سمي باب الحبس لأنه في العهد العثماني كان يؤدي إلى الحبس (السجن)ن وسمي باب النذير، وباب الحبل، وباب المجلس وهو آخر الأسماء التي أطلقت عليه نسبة إلى المجلس الإسلامي الأعلى(١).

وهناك مجموعات أخرى من الأبواب التي ورد ذكرها عند المؤرخين والكتاب في مدينة القدس وحرمها الشريف، وبعضها أغلق وبعضها لا يعرف عنه إلاّ الاسم، أو أنه كان معروفاً وتغير اسمه، وفيما يلي ذكر لبعض هذه الأبواب:

١-الباب الوحيد (المفرد): وكان يسمى الباب البسيط(٢)، وهو أحد المداخل الجنوبية، وأنشيء في فترة الحروب الصليبية.

٢-باب الجميل، ويقع بالقرب من الباب الذهبي، ويقال بل يقع مكانه، وكان يسمى البوابة الجميلة، وهو الباب الذي تعوّد الناس الدخول منه.

٣-باب الجنائز، ويقع في الحائط الشرقي بالقرب من الباب الذهبي، وسمي كذلك لأنه كانت تمر منه الجنائز، وكان يسمى باب البراق.

٤-الباب المختفي، ومكانه في السور الشرقي للحرم القدسي، لكنه أغلق أيام بني عثمان.

٥-باب الأبواب، وهو أحد الأبواب المغلقة، مكانها غير معروف، مع أن لي سترانج يذكر أنه هو باب الأسباط.

٦-باب أريحا، وكان معروفاً بأسماء اخرى منها باب حي الطورية وباب يهو شافاط وسمي باب أريحا لأنه كان يؤدي إلى مدينة أريحا أو باتجاه المدينة.

٧-باب الخضر، وموقعه في الحائط الشرقي.

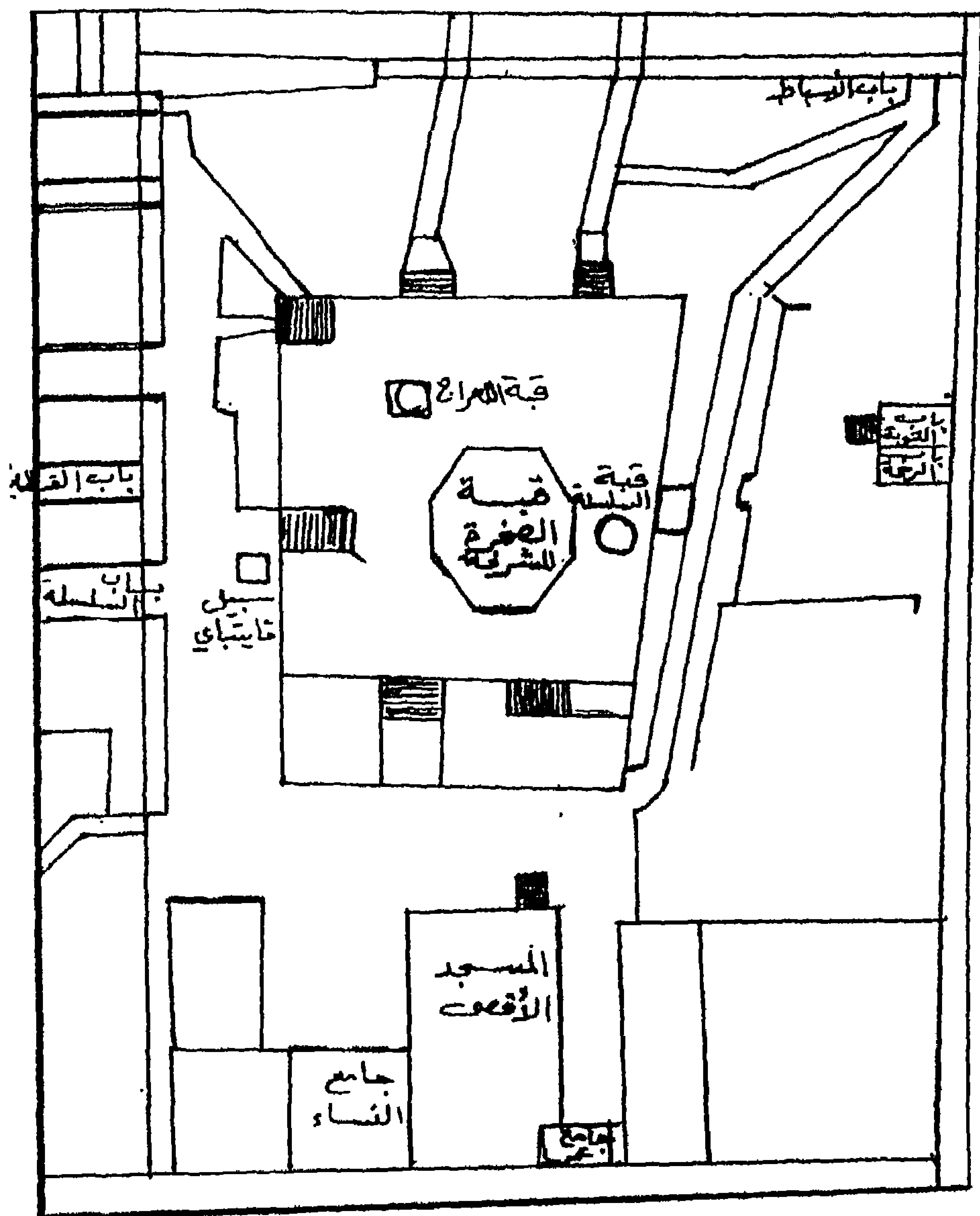
٨-الباب الهاشمي، ويقع في الجهة الشمالية الغربية من الحرم، وورد عند المقدسي باسم (أبواب الهاشميين) (٣).

---

(١) رائف نجم وآخرون: كنوز القدس، ص١١٨، محمد غوشة: بوابات القدس، ص٨٨.

(٢) لي سترانج: فلسطين، ص١٦٤، محمد غوشة: بوابت القدس، ص١٢٤.

(٣) المقدسي: أحسنت التقاسيم، ص١٧٠.



مخطط الحرم القدسي الشريف

٩- باب الوليد، ولعله منسوب إلى الوليد بن عبد الملك، ويؤدي إلى قصر عبد الملك بـن مروان جنوب المسجد الأقصى.

١٠-باب الوادي، وهو باب كان يطل على وادي جهنم في الجهة الشرقية من السور، ويقال بأنه هو باب الجنائز المار ذكره[١].

١١-باب بركة بني إسرائيل.

١٢-باب الحصان.

١٣-باب عبد الملك بن مروان.

١٤-باب الحجاج.

١٥-باب البائكة.

١٦-الباب الغربي.

١٧-باب الربط.

١٨-باب تادي.

١٩-باب نيكاتور.

٢٠-البوابات العشر في السور الشرقي.

---

(١) لي سترانج: فلسطين، ص١٦٧، محمد غوشة، بوابات القدس، ص١٤٠.

القدس تسبق التاريخ

يقسم علماء الآثار حياة الإنسان على الأرض إلى قسمين هما: عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية، واعتبروا الكتابة هي الفاصل بين العصرين، وبدأ الإنسان بمعرفة الكتابة في أواخر الألف الرابعة وأوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، أي بحدود عام ٣٢٠٠ق.م، وأطلق على العصور اسم المادة التي صنع منها الإنسان أدواته كالحجارة والفخّار والبرونز والحديد، وتبدأ عصور ما قبل التاريخ بالعصر الحجري الذي قسم إلى عدة أدوار هي:

١-العصر الحجري القديم ويمتد من (١٥٠٠٠٠- ١٢٠٠٠ ق.م)

٢-العصر الحجري الوسيط ويمتد من (١٢٠٠٠- ٧٠٠٠ ق.م).

٣-العصر الحجري الحديث ويمتد من (٧٠٠٠- ٤٠٠٠ ق.م).

٤-العصر الحجري المعدني (النحاسي) ويمتد من (٤٠٠٠- ٣٠٠٠ ق.م).

وأجريت حفريات أثرية في فلسطين دلّت على أن فلسطين مرّت بهذه العصور، أو عاش فيها الإنسان وأنتج حضارة متقدمة بين حضارات تلك العصور[1]. وسنشير إلى بعض ملامح هذه العصور:

١- **العصر الحجري القديم ويمتد من (١٥٠٠٠٠- ١٢٠٠٠ ق.م)**: وسكنت فلسطين في هذه الفترة بما فيها القدس قبائل بدائية، فكانت حياة الإنسان في جميع البلاد كذلك، وكان الإنسان في هذا العصر الطويل جامعاً للطعام لذلك أمضى حياته متنقلاً بين الغابات، ويأوي إلى الكهوف والمغاور لحماية نفسه من الأخطار والأمطار.

وعرف الإنسان الذي عاش في فلسطين باسم إنسان جبل الكرمل (إنسان فلسطين)، وهو ينتمي إلى جماعة الإنسان العاقل، إما إلى جنس إنسان (نيا ندرتال) نسبة إلى وادي في منطقة الراين[2]، أو إلى إنسان (كرومانيون أو كروماجنون) نسبة إلى مغارة بفرنسا[1]، وهو الأرجح.

---

(١) انظر فيليب جتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٤، ٢١، ٢٤، عزمي أبو عليان: القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، الزرقاء – الأردن ١٩٩٣م، ص١٣.

(٢) فيليب جتي: تاريخ سوريا، ج١، ص١٠.

وكانت الأدوات المستخدمة في هذا العصر تصنع من الحجر كالفؤوس الحجرية والسواطير والمطارق والبلطات وغيرها، وعرف إنسان فلسطين النار في هذه المرحلة بدليل عثور المنقبين على بقايا النار في مغارة الطابون التي يعود تاريخها إلى عام (١٥٠٠٠ ق. م).

٢-العصر الحجري الوسيط (١٢٠٠٠ – ٧٠٠٠ ق. م):

وتشير الدراسات التي أجراها علماء الآثار في فلسطين على أن إنسان فلسطين بدأ بالتحول التدريجي في هذا العصر نحو الاستقرار، مع بقائه متنقلاً وجامعاً للطعام، لكنه بدأ بتربية الحيوانات واستئناسها، وبدأ تدجين الكلب في هذه الفترة[٢]، كما أخذ بإنتاج الطعام، فمارس الزراعة، وخاصة زراعة الحبوب كالقمح والشعير، وهو أول من قام بذلك، وأصبحت أدواته الحجرية أصغر حجماً وأكثر تهذيباً من ذي قبل كالمناجل الصوانية ذات المقابض الخشبية، وهي التي قال عنها أولبرايت الآلات الهلالية المميزة للحضارة النطوفية[٣].

وتعتبر الحضارة النطوفية أهم ما يمثل هذا العصر في فلسطين، وهي حضارة فلسطينية[٤] تنسب إلى وادي نطوق في شمال غرب القدس[٥]، وتوجد مواقع في أريحا تعود إلى هذا العصر تؤكد صفة الانتقال الفعلي والاستقرار، وهي تعود إلى الألف التاسعة قبل الميلاد، أما انتاج الطعام فقد بدأ في الألف الثامنة قبل الميلاد.

---

(١) فرانكن: القدس في العصر البرونزي/ ضمن كتاب القدس في التاريخ –ترجمة كامل العسيلي: عمادة البحث العلمي –الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٢م ص٣٤، عزمي أبو عليان: القدس، ص١٤.

(٢) سامي سعيد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد ١٩٧٩م ص٥٨.

(٣) وليم أولبرايت: آثار فلسطين، ترجمة زكي اسكندر ومحمد عبد القادر محمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٧١م، ص٦١.

(٤) أولبرايت: آثار فلسطين، ص٦١، حسين حمادة: آثار فلسطين بين حرب الهياكل التوراتية اليهودية ووثائق الاستكشافات الأثرية العلمية، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٣م، ص٩٨.

(٥) سامي سعيد الاحمد: تاريخ فلسطين القديم ص٥٧.

وفي مدينة أريحا نشأت أقدم الحضارات العالمية، فقد عرفت بناء المنازل من الحجر والطين، وزراعة الأرض وتربية الحيوانات وصناعة الأدوات الحجرية من صحون وسكاكين ومناجل ورؤوس رماح، غير أنها لم تعرف صناعة الفخار[1].

٣-العصر الحجري الحديث (٧٠٠٠-٤٠٠٠ ق. م):

تميّز هذا العصر انه بدأ يظهر فيه المجتمع القروي المستقر في فلسطين، وأساسه العمل بالزراعة، كما صار شعور الإنسان يتجه نحو الارتباط بالأرض المزروعة مما ادى إلى ظهور الشعور بالوطنية، فلا يستطيع ترك الأرض التي قدّم جهداً في زراعتها فهو بحاجة إلى ما تنتجه الأرض، لذلك بنى المنازل قرب الأرض المزروعة واستقرّ فيها، وقسم هذا العصر إلى فترتين[2]:

الأولى تمتد من ٧٠٠٠- ٥٠٠٠ ق.م: ولم تعرف فيها صناعة الفخار، ووجدت فيها مَنازل دائرية مبنية من الآجر ولها سقوف مدببة وأرضيات من الطين المدكوك بالإضافة إلى منازل مستطيلة ولها حيطان مبلطة بالجص كما عرفت صناعة التماثيل البشرية والحيوانية، وأهم مواقع هذه الفترة مدينة أريحا[3].

والثانية تمتد من ٥٠٠٠- ٤٠٠٠ق.م: وفيها بدأ الإنسان الفلسطيني بصناعة الفخار العادي والملون، وأشارت كاثلين كينون وهي من أشهر المنقبين عن الآثار في المنطقة إلى أن فخار أريحا كان مخلوطاً بالتّبن، وربما استخدم التّبن لزيادة التماسك، وعمل سكان فلسطين في هذه الفترة على تحصين القرى بالأسوار والأبراج التي بنيت من الحجارة لحماية أهلها من الأخطار خاصة بعد ظهور التسللات السامية التي بدأت بالظهور في هذه الفترة[4].

---

(١) انظر فيليب جتي: تاريخ سوريا، ج١، ص١٥-٢٠، الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩، قسم٢ ص٣٥٧-٣٦٠، حسين حمادة: آثار فلسطين ص٨٩-٩٩.

(٢) اولبرايت: آثار فلسطين: ص٦٣، عزمي أبو عليان: القدس، ص١٦.

(٣) اولبرايت: آثار فلسطين: ص٦٣-٦٤، سامي سعيد الاحمد: تاريخ فلسطين القديم ص٦١.

(٤) عزمي أبو عليان: القدس، ص١٧.

ويذكر أولبرايت أن أريحا كانت في الألفين السابعة والسادسة قبل الميلاد محاطة بأسوار من الحجر[1]، وكانت فيها معابد أيضاً وهي أول مدن العالم التي تمتعت بهاتين الميزتين، وبهذا تكون أريحا أقدم مدن العالم على الإطلاق.

كما وجدت في أريحا تماثيل دينية تدل على أنها رموز كنعانية ومنها ما يشير إلى آلهة الخصب.

ومن مواقع هذه الفترة أيضاً موقع أبو غوش بالقرب من مدينة القدس[2]، ومنها مواقع قرب منابع نهر الأردن في سهل مرج بن عامر[3]، وعرفت حضارة فلسطين في العصر الحجري الحديث باسم (الحضارة الطاحونية) نسبة إلى وادي طاحونة جنوب بيت لحم[4].

وانتشرت في العصر الحجري الحديث الدولمينات في فلسطين والأردن؛ وهي عبارة عن مباني تتكون من قطع ضخمة من الحجر مقامة بجانب بعضها البعض لتكوين جدران غرفة أو مجموعة من الغرف، ثم وضعت فوقها قطع ضخمة أخرى لتكوين السقف، وغالباً ما كان المبنى مطموراً في كومة من التراب أو الحجارة، كما انتشرت أيضاً مبانٍ على شكل دوائر حجرية مرصوصة إلى بعضها البعض وكانت تُشكَّل لأغراض دينية[5]، ويطلق عليها بعض أهالي شرق الأردن اسم الأديرة لشكلها الدائري.

٤- **العصر الحجري المعدني (النحاسي) ٤٠٠٠- ٣٠٠٠ق. م**: وأهم ما يميز هذا العصر في فلسطين هو معرفة الإنسان للنحاس واستخدامه في حياته اليومية مع استمرار استخدامه للأدوات الحجرية والفخارية.

---

(١) اولبرايت: آثار فلسطين ص٦٣.

(٢) سامي سعيد الاحمد: تاريخ فلسطين القديم، ص٦٣.

(٣) انظر فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان، ج١ ص٢١-٢٣، الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم٢ ص٣٦١-٣٦٤، الموسوعة الفلسطينية، ج١ ص٣٦٢.

(٤) سامي سعيد الاحمد: تاريخ فلسطين القديم، ص٦٥.

(٥) اولبرايت: آثار فلسطين، ص٦٥-٦٦.

وينتمي أصحاب حضارتي العصر الحجري الحديث والمعدني من الناحية البشرية إلى عرق حوض البحر الأبيض المتوسط، وهم الشعب الأصلي لفلسطين، ثم هبطت عليهم جماعات من الأراضي المرتفعة في أواسط آسيا، فاختلطت بهم وأقامت معهم، ويتمثل هذا العصر في مواقع عديدة من فلسطين في أريحا وبئر السبع ومجدو (تل المتسلم) ولا جيش (لخيش)[1].

وأبرز أحداث هذا العصر هو قيام الهجرات العربية السامة بالتحرك من الجزيرة العربية باتجاه فلسطين وبلاد الشام والرافدين، وكانت أشهر هذه الهجرات هي الهجرة (الآمورية الكنعانية) التي أخذت تستقر في فلسطين حيث أشادت فيها المدن وأقامت حضارة متطورة.

---

(١) عزمي أبو عليان: القدس، ص١٧.

الفصل الثاني

القدس والتاريخ

١.مقدمة

٢.العصر البرونزي القديم

أ. القدس والهوية الأولى

ب. القبائل الكنعانية

ج. المدن الكنعانية

د. الديانة الكنعانية

٣. العصر البرونزي الوسيط وبدايات الغزو الخارجي

أ. إبراهيم عليه السلام

ب. هجرة إبراهيم إلى فلسطين ومصر

ج. أولاد إبراهيم عليه السلام

د. من هو إسرائيل وصحة الانتساب إليه؟

٤. العصر البرونزي الحديث

٥. الفلسطينيون

القدس والتاريخ

مقدمة:

تبدأ العصور التاريخية مع نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، حيث تبدأ العصور البرونزية،وهي العصور التي تأكّدت فيها الهوية العربية الكنعانية لفلسطين ومدينة القدس، وبنيت فيها أهم المدن الكنعانية في فلسطين، وتشمل العصور التاريخية الفترة الممتدة من ظهور الكتابة بحدود سنة ٣٢٠٠ ق.م حتى اليوم، وتضم العصور التالية:

١-العصور البرونزية وهي ثلاثة أقسام:

أ. العصر البرونزي القديم ٣,٠٠٠- ٢,٠٠٠ ق.م: وشهد هذا العصر قيام الهجرات الآمورية الكنعانية إلى سوريا وفلسطين، وبناء المدن الكنعانية في أرض كنعان (فلسطين).

ب.العصرالبرونزي الوسيط ٢,٠٠٠- ١,٥٥٠ ق. م: وفي هذا العصر كانت هجرة إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام من العراق إلى فلسطين، وشهد هذا العصر أيضاً ظهور بعض الجماعات الغازية التي وصلت إلى فلسطين ومنها الحوريون والهكسوس، وخضوع فلسطين للحكم المصري (حكم الفراعنة).

ج.العصر البرونزي الأخير ١٥٥٠- ١٢٠٠ ق. م: وفيه خضعت فلسطين للحكم المصري وسيطر الفراعنة على المنطقة، مع أن فيليب حتي يعيد بداية السيطرة الفرعونية إلى سنة ٢,٤٠٠ ق. م[١]، وفيه قدمت شعوب البحر غازية للمنطقة، وفي مقدمتها البليسيت (الفلسطينيين)، حيث أقاموا في أرض كنعان وانصهروا مع أهلها وأثروا فيهم فحملت أرض كنعان اسمهم وسميت فلسطين.

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٣٦.

وفي هذا العصر تراجع الهكسوس عن حكم مصر بعد أن طردهم احموس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة وأسقط عاصمتهم مدينة أفاريس، ولاحقهم المصريون حتى دخلوا فلسطين(١).

٢-العصر الحديدي ١٢٠٠- ٣٣٢ ق. م: وتميز هذا العصر باكتشاف معدن الحديد واستخدامه على نطاق واسع، وفيه ظهرت طلائع الغزو العبراني لفلسطين، وتمكن يوشع من الدخول بهم إلى أريحا، ثم احتل داؤد عليه السلام مدينة القدس، وأقام الدولة اليهودية، التي انقسمت بعده إلى دولتين؛ **يهودا والسامرة**، وشهد هذا العصر غزوات متعددة على فلسطين أهمها الغزو الآشوري والغزو البابلي والغزو الفارسي إلى قدوم الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٣ ق. م.

٣-العصر اليوناني: وهي فترة حكم البطالمة والسلوقيين وامتدت من ٣٣٢ ق. م —٧٠م.

٤-العصر الروماني ٧٠-٦٣٦م.

٥-الحكم العربي الإسلامي: وامتد من الفتح الاسلامي لمدينة القدس حتى سقوطها بيد الافرنج (الصليبين) ١٥-٤٩٢هـ/ ٦٣٦- ١٠٩٩م وتضم الفترات التالية:

أ.صدر الإسلام

ب.الدولة الأموية.

ج.الدولة العباسية.

د.الحكم الفاطمي.

٦-الحكم الصليبي لمدينة القدس ٤٩٢-٥٨٣هـ/ ١٠٩٩-١١٨٧م.

٧-الفترة الأيوبية ٥٨٣-٦٤٨هـ/ ١١٨٧-١٢٥٠م.

٨-العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٦م.

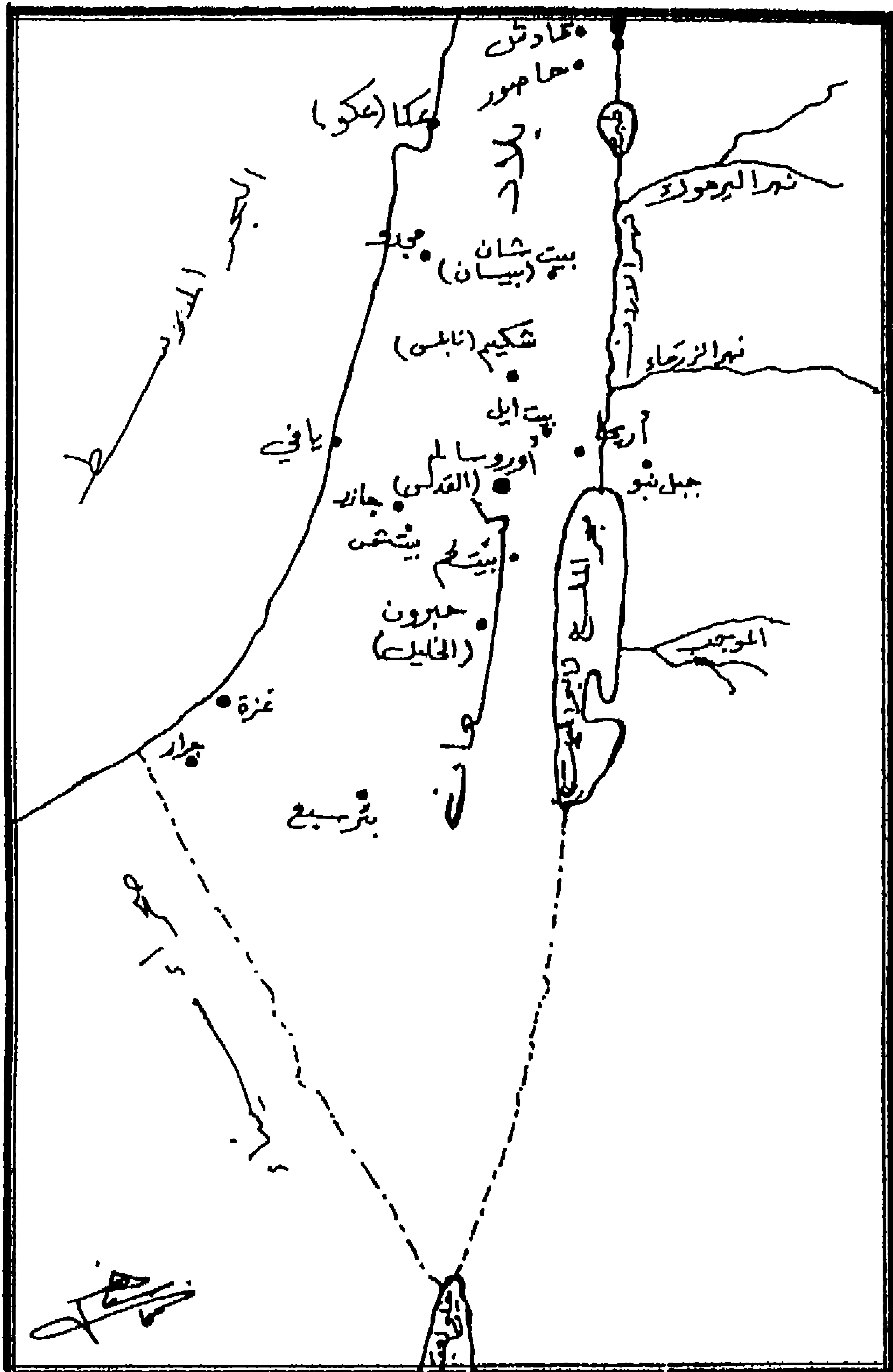
٩-الحكم العثماني ٩٢٣- ١٣٣٥هـ/ ١٥١٦- ١٩١٧م.

١٠-الاحتلال البريطاني ١٩١٧-١٩٤٨م.

١١-الاستعمار الصهيوني ١٩٤٨م، ١٩٦٧م.

---

(١) سامي سعيد الاحمد: تاريخ فلسطين القديم، ص١٢٧.



بلاد كنعان والمدن الكنعانية

كان من أهم القبائل العربية السامية الكنعانيون والساميون، وقد هاجرت هذه القبائل إلى بلاد الشام منذ زمن مبكر يعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، والساميون في الأصل كانوا إحدى السلالات البشرية الثلاث وموطنهم الأصلي الجزيرة العربية وبلاد العرب[1].

ينتسب الساميون إلى سام بن نوح عليه السلام[2]، وكانوا يتحدثون لغات متشابهة فكان لكل شعب لغته كاللغة الأشورية والبابلية (الأكادية) والكنعانية والآرامية والعربية والعبرية والحبشية (الأمهرية)[3].

وقد اختلف الباحثون في أصل الكنعانيين وتسميتهم، فمنهم من اعتبره اسماً سامياً من كنع (خنع) بمعنى المنخفض أي الأرض المنخفضة، وكانوا يسكنون أراضي على الساحل، ومنهم من قال بأنها حورية (كناجي) بمعنى صبغة حمراء، ومنها أخذت الكلمة الكلدانية (كناخي) التي صرّفت إلى كنعان، أي بلاد الأرجوان، فقد اشتهرت بلاد الكنعانيين بالصبغ الأرجواني فأطلق على قسم منهم هذا الاسم (فينيكس phoinix) أو فينيقي[4].

وتزعم التوراة أن الكنعانيين ليسوا من أصل سامي، وإنما من الحاميين أبناء حام بن نوح، وأن كنعان كان عبداً لأخويه، وورد هذا الزعم في الاصحاح التاسع من سفر التكوين في حكاية لا أدري كيف لفّقها كتبة التوراة، مع أنه يفترض أن يكونوا عندما

---

(١) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم٢، ص٣٧٨.

(٢) فيليب جتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٦٦، إبراهيم الشريقي: حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، الشرق الأوسط للطباعة، عمان ١٩٨٥م، ص٤١.

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٤١.

(٤) انظر محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧م، ص١٥٨، محمد أديب العامري: عروبة فلسطين في التاريخ، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٧٢م، ص٧٤، فيليب جتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٨٥.

قاموا بتدوين أسفار التوراة على قدرٍ كبير من الذكاء والفطنة، وإليكم نص ما وردفي سفر التكوين الاصحاح التاسع (١٨-٢٧):

كان بنو نوح الذين خرجوا من السفينة ساماً وحاماً ويافث، وحامٌ هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنونوح ومنهم انتشر كل سكان الأرض.

وكان نوح أول فلاح غرس كرماً، وشرب نوح من الخمر وتعرّى في خيمته، فرأى حامٌ أبو كنعان عورة أبيه، فأخبر أخويه وهما خارجاً، فأخذ سامٌ ويافث ثوباً وألقياه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء ليسترا عورة أبيهما، وكان وجهاهما إلى الخلف فما أبصرا عورة أبيهما.

فلما أفاق نوحٌ من سُكره علم بما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعونٌ كنعان! عبداً ذليلاً يكون لإخوَته. وقال: تبارك الربُّ إله سام، ويكون كنعان عبداً لسام، ويزيد الله يافِث فيسكن في خيام سام ويكون كنعان عبداً له"[1].

والمتمعن في قراءة هذا النص يجد أنه نصٌ مرفوضٌ جملة وتفصيلاً، وفيه تزوير وافتراءٌ على نبي الله وأبنائه، وجاء هذا الزعم والافتراء بلا سندٍ أو دليل يدعم صحتهما، فهو ينسب إلى نبي الله شرب الخمر الذي يفقده وعيه وبالتالي يكون معرَّضاً للوقوع في أعظم الأخطاء وأكثر الذنوب التي لا تصدر عن أنبياء الله تعالى ورُسُله، ثم خلع ثيابه نتيجة شربه الخمر ونام عارياً كاشفاً عورته التي اعتبرت التوراة النظر إليها جريمة لا تغتفر.

فإذا صدَّقنا هذه الرواية -وهي باطلة- فلا يصح أن يكون من يقوم بها نبي مرسلٌ، وداعٍ للناس إلى الخير وعبادة الله لأنه لا يمكن لِمن يرتكب هذه الأفعال أن يكون قدوة للناس، وأنبياء الله ورسله جميعاً قدوة صالحة لشعوبهم.

والأمر الثاني أنهم نسبوا إلى حام أبو كنعان على حدّ زعمهم النظر إلى عورة أبيهم، فحدَّث أخويه اللذان قاما بستر عورة أبيْهما، وإذا قبلنا هذا الزعم فإن من ارتكب

---

(١) الكتاب المقدس (التوراة)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، لبنان ١٩٩٣م، سفر التكوين، الاصحاح التاسع (١٨-٢٧).

الخطيئة في النظر إلى عورة الأب هو حام وهو الذي يستحق العقوبة، مع أنهم نسوا أنّ شرب الخمر إلى حدّ الثمالة وفقدان الوعي أكبر من جريمة النظر إلى العورة التي إذا صدَّقناها فربما جاءت عرضاً ومن غير قصد، وربما كان إخباره لأخويه حتى لا يدخلا إلى أبيهما فيريا عورته.

ثم ما هو ذنب كنعان ما دام لم يكن هو صاحب النظر إلى عورة أبيه وإنما كان حام، فهل يعاقب كنعان على جريمة لم يقترفها وإنما قام بها غيره؟!

وهذا يشير بصراحة تامة أن هذه الرواية محاولة لتشويه صورة كنعان الذي هو أصلاً إبناً لسام وليس لحام المتهم في أمر باطلٍ من أساسه.

وبدأت مقدمات الهجرات العربية إلى بلاد الشام وفلسطين على وجه التحديد في العصر الحجري الحديث الذي يمتد فيما بين (٧,٠٠٠-٤,٠٠٠ ق. م)[١]، إلاّ أن الهجرات السامية من جزيرة العرب تمّ رصدها بشكل أكيد في الألف الرابعة قبل الميلاد، ففي حدود سنة ٣٥٠٠ ق. م تحركت هجرة سامية من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال الشرقي وتوزع أفرادها بين السومريين في بلاد الرافدين، وتشكلت حضارة من امتزاج المجموعتين هي الحضارات الأكادية التي عرف أهلها بالأكاديين، وأطلق عليهم فيما بعد اسم البابليين[٢].

وكانت الهجرات العربية السامية مدفوعة بعوامل طبيعية دفعت السكان للخروج من الجزيرة والبحث عن أماكن أُخرى للإقامة تتوافر فيها المياه والأراضي الخصبة، لهذا كانت الهجرة الأولى إلى بلاد الرافدين، ثم تلت هذه الهجرة هجرة أخرى إلى بلاد الشام هي الهجرات الكنعانية الأمورية التي اتجهت إلى سواحل سوريا على البحر الأبيض المتوسط وحول نهر الأردن وبحيرة طبرية، فكان الكنعانيون أول شعب سامي استوطن فلسطين والأردن سنة ٣,٠٠٠ ق. م[٣]، وأطلق على فلسطين اسم (أرض

---

(١) عزمي أبو عليان: القس، ص١٧.

(٢) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٦٧.

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان ص٤٢، فيليب حتي: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٨٢م، مجلد ١ ص١٢٠، فايز جابر: القدس: ماضيها -حضارتها- مستقبلها، دار الجليل للنشر، عمان ١٩٨٥م، ص١٥.

كنعان، وكان تحرك لقبائل الكنعانية من منطقة الخليج العربي)[1]، حيث وجد المنقبون الأثريون تشابهاً كبيراً بين المقابر الفينيقية في سواحل البحر المتوسط وبين المقابر الموجودة في سواحل الخليج العربي وجزر البحرين، كما يوجد تشابه بين أسماء المدن في الخليج العربي وسواحل البحر المتوسط مثل مدينة صور التي توجد على ساحل البحر المتوسط في لبنان، وصور على ساحل عُمان، وجبيل في لبنان وجبيل على ساحل الاحساء، وأرواد وهو الاسم القديم لجزيرة المحّرق وغيرها[2].

وقيل بأن هجرة الكنعانيين كانت هجرة (آمورية –كنعانية) بدأت بالتحرك من الجزيرة العربية في الألف الرابعة قبل الميلاد، وتعاظم أمرها قبل عام ٢٥٠٠ق.م، فنزل الآموريون القسم الداخلي من بلاد الشام (الأردن)، ونزل الكنعانيون القسم الساحلي وفلسطين، ثم نزح قسم من الآموريين بحدود سنة ١٩٠٠ ق.م إلى العراق وكونوا السلالة البابلية الأولى[3]، ويرجح الدباغ أن تكون قبائل الهكسوس التي نزلت مصر وحكمت فيها في القرن ١٧ ق. م من القبائل الكنعاينة[4].

ويذكر فيليب حتى أن الكنعانيين هم الفرع الجنوبي من الشعوب الآمورية التي استوطنت الهلال الخصيب، وأقاموا في منطقة سوريا ولبنان وفلسطين، وقبل مجيئهم لم تكن فلسطين تعرف بهذا الاسم، وإنما كانت تعرف ببلاد كنعان حيث تشكلت فيها حضارات راقية[5].

لقد استوطن الكنعانيون مدينة القدس، وشكلوا أعظم حضارة عربية في هذه المنطقة منذ خمسة آلاف سنة، وبنوا المدن الكبرى في فلسطين وأعطوها أسماءها التي عرفت بها

---

(١) هارفي بورتر: موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م، ص٩٦، إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٤٤.

(٢) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٤٢، الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ سم٢ ص٣٨٩.

(٣) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم١ ص٣٨٧.

(٤) ن، م، ج١ قسم١ ص٣٨٠.

(٥) فيليب حتي: تاريخ الشرق الأدنى، مجلد١ ص١١٩.

عند كل الأمم والشعوب، وأنشئت مدينة القدس قبل قدوم العبرانيين في فلسطين بحوالي ٢,٠٠٠ عام تقريباً[١].

وكان الكنعانيون متفوقون بصناعة الخزف والمعادن من البرونز والنحاس منذ بداية الألف الثانية قبل الميلاد، حيث فاق الكنعانيون كل الأمم في هذه الصناعة[٢] وكانت مدن أوغاريت وصور وصيداء وأريحا والكرمل تنتج صناعات معدنية رائجة وكانوا ينقشون على نقودهم شجرة النخيل التي ترمز إلى وطنهم الأول الجزيرة العربية ويعود الفضل لهم في صناعة المرايا والزجاج والصناعات النسيجية المختلفة[٣].

وينقسم الكنعانيون الذين استوطنوا سواحل بلاد الشام إلى قبائل عديدة، فأطلق على المجموعة التي استوطنت السواحل الشمالية(لبنان) اسم الفينيقين، وحول هذه المجموعة يتحدث فيليب حتى، فيذكر أن الكنعانيين منذ القرن (١٨ ق. م) اشتهروا بصناعة الصباغ الارجواني، الذي كان يستخرج من محار (صدف الموريكس Murix) الموجودة بكثرة على الشواطئ، وكانوا يصدرونه إلى بلاد اليونان، فأطلق عليهم اليونان اسم (phoinix) أي الأحمر الأرجواني وصار هذا إسم الفينيقيين[٤]، وأصبح اسماً مشهوراً رغم أنهم ظلوا يعتبرون أنفسهم كنعانيين لأنهم يعتزون بهذا الاسم وهذا النسب.

والكنعانيون الفينيقيون هم الذين اخترعوا الكتابة الأبجدية، وكانت تتكون من (٢٢ حِرفاً)، حيث اكتشفت الكتابة الأبجدية في بيت شمس (تل الرملة) غربي القدس، وفي جبيل (بيبلوس)، وفي أوغاريت (رأس شمرى) [٥].

---

(١) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٦٠، فايز جابر: القدس، ص١٥.

(٢) فيليب حتى: الشرق الأدنى، مجلد١، ص١٢١.

(٣) انظر إبراهيم الشريقي: أرض كنعان ص٤٤-٤٦، فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١، ص٩٤-٩٩.

(٤) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٤٤، وانظر أبو المحاسن عصفور: الشرق القديم ص١٦٠.

(٥) بورتر: التاريخ القديم: ص١٠٣-١٠٤، فيليب حتي: تاريخ سوريا: ج١ ص١١٨، إبراهيم الشريقي: ارض كنعان ص٤٦، خالد العك: تاريخ القدس، ص١٤٥-١٤٦.

ونشر الفينيقيون الأبجدية في حوض البحر المتوسط، فنقلها اليونان في القرن السابع قبل الميلاد، وعنها تطورت الكتابة اللاتينية والجرمانية والسلافية، كما انتقلت إلى الشعوب الآسيوية وعم انتشارها في بلدان العالم المختلفة[١].

وسيطر الكنعانيون الفينيقيون على تجارة البحر المتوسط، فوصلوا إلى سواحل شمال أفريقيا والمغرب وأقاموا لهم أسواقاً تجارية تطورت فيما بعد إلى مدن واختلطوا مع سكان تلك البلاد وشكلوا بعض أهالي سكان تلك المناطق، ومنهم(الأمازيغ)؛ وهم البربر وأقدم سكان ليبيا والمغرب العربي، فهم أصلاً من الفينيقيين (الكنعانيين) الذين استقروا في هذه البلاد منذ عام ١,٠٠٠ ق.م، وهم أبناء أمازيغ بن كنعان[٢].

والفينيقيون هم أول من قام برحلات بحرية داروا فيها حول أفريقيا، وبهذا سبقوا البرتغاليون الذين ينسب إليهم هذا العمل، وكان دوران الفينيقيين حول أفريقيا في عهد الأسرة السادسة والعشرين المصرية وبأمر من فرعون مصر نخاو (٦٠٩-٥٩٣ ق. م) وأشار هيرودوت إلى ذلك، وقال بأنهم داروا حول افريقيا وكانت الشمس عني يمينهم[٣].

"القبائل الكنعانية"

أما الكنعانيون الذين استوطنوا فلسطين فينقسمون إلى عدد من القبائل ورد ذكر بعضها في التوراة كاليبوسيين والجرجاشيين والحويين[٤]، وتشتمل القبائل الكنعانية على :

---

(١) بوتر: التاريخ القديم، ص١٠٤، فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١١٧، أبو المحاسن عصفور: الشرق القديم، ص١٦٣.

(٢) انظر المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩١م، ج٢، ص١٥٣-١٥٤، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ ص٣٦٨-٣٦٩، ابن خلدون: العبروديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ج٢، ص١٢، الدباغ:بلادنا فلسطين، ج١ قسم١، ص٣٩٦.

(٣) انظر فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٠٨، أبو المحاسن عصفور : الشرق القديم ص١٦٢.

(٤) التواراة: سفر التكوين / الاصحاح العاشر.

١- **اليبوسيون**: وهم سكان مدينة القدس وما حولها، وبناتها، وسمي هؤلاء نسبة إلى جدهم يبوس، وكان اشهر ملوكهم (ملكي صادق) أي ملك الصدق وهو الملك الموحد الذي بنى أول مسجد لعبادة الله تعالى وتوحيده، (وأدوني صادق) أي ملك العدل أو سيد العدل، وقتله اليهود بقيادة يوشع، ومنهم (أرونة) أو أرنان اليبوسي الذي يقال بأن داؤد عليه السلام اشترى بيدره بستمائة شاقل من الذهب ليبني معبداً[١]، وامتدت حدود مدينة القدس أيام اليبوسيين إلى مدينة رام الله[٢]، واستمر وجود اليبوسيين في القدس إلى أن دخلها داؤد عليه السلام، ولم يهجروها بعد ذلك وإنما عاشوا مع اليهود سكاناً لهم شأن ولم ينقطع سكناهم للمدينة إلى اليوم، وعند ابن العبري أن ملكي صادق هو الذي بنى مدينة القدس سنة ٣,٠٠٠ ق. م[٣].

٢- **العناقيون**: وامتدت منازلهم من الخليل إلى القدس،ونزل بعضهم في ساحل البحر المتوسط وأقاموا في غزّة، وينسب إليهم بناء مدينة اسدود (اشدود) واشتهروا بطول قاماتهم وقوتهم في الحرب، واستماتوا في الدفاع عن الخليل قبل أن يدخلها يوشع، ومن ملوكهم (أربع) الذي ينسب إليه بناء مدينة الخليل فسميت (مدينة أربع)، وكان أربع أعظم رجل، في قبيلة العناقيين[٤].

٣- **الحويُّون**: وأقاموا في شمال فلسطين من نابلس حتى لبنان، ونزل فريق منهم في شمال القدس، وبنوا قرية (بعاريم) أي مدينة الغابات أو العنب، وتقع شمال غرب القدس، وتعرف اليوم باسم قرية أبوغوش[٥]، وفي عهد سليمان عومل الحويُّون معاملة الأرقّاء[٦].

---

(١) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم ١ ص٣٨٦.

(٢) فايز جابر: القدس، ماضيها – حاضرها – مستقبلها، دار الجليل للنشر، عمان ١٩٨٥م،ص١٣.

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٠، ص١٦.

(٤) الدباغ:بلادنا فلسطين، ج١ قسم١، ص٣٩٧-٣٩٨، محمد سلامة النحال: فلسطين أرض وتاريخ، دار الجليل للنشر، عمان ١٩٨٤م، ص١١٨.

(٥) سلامة النحال: القدس، ص١١٨.

(٦) انظر الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم١ ص٣٩٨-٣٩٩.

ويذكر فايز جابر أن الحويين هم الذين تسميهم التوراة (الحوريون)، وأصلهم من مناطق البحر الأسود وأرمينيا[(١)]، ولعل هذا ما أشار إليه فيليب حتي الذي لم يقطع برأيه في هذا الأمر لأنه لا يوجد ما يدل على أن الحوريين هم الحويُّون، فقال: (وكان الحويون Hivites غالباً هم أنفسهم الحوريون)[(٢)]، إلا أن الحويين كانوا ينتشرون في مناطق شمال فلسطين قبل قدوم الحوريين بزمن طويل.

٤- **الفرزيون**: وكانوا يقيمون في القرى، وعوملوا أيام سليمان مثل معاملة الحويين أي معاملة العبيد.

٥- **العمالقة**: يذكر ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) أنهم الكنعانيون وكانوا من عبدة الأوثان وهم الجبابرة المعروفون[(٣)]، وكانوا يقيمون في جنوب فلسطين، وصحراء سيناء، وأقاموا قلعة على الطريق الواصلة إلى مصر لضمان السيطرة على طريق التجارة الواصلة إلى مصر، وساعدوا (عِجْلون) ملك مؤاب في إخراج اليهود من أريحا، ولهذا ظلَّت علاقاتهم عدائية مع اليهود[(٤)]، ولعلّ هؤلاء هم الذين يذكرهم التميمي باسم (العويّون) على أنهم سكان الجنوب الفلسطيني[(٥)]، أما سلامة النحال فيذكر بأنهم الهكسوس الذين انتصر عليهم رعمسيس الأول[(٦)].

٦- **الجرجاشيون**: وكانت منازلهم إلى الشرق من بحيرة طبرية وتمتد إلى الجليل والكرمل، وهم الذين أسسوا مدينة عكا[(٧)]، وورد في التوراة أنهم إحدى القبائل الكنعانية[(٨)].

---

(١) فايز جابر: القدس، ص١٦.

(٢) فيليب حتى: تاريخ سوريا، ج١ ص١٦٥.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م، ج١ ص١٤٠.

(٤) الدباغ:بلادنا فلسطين، ج١ قسم١ ص٤٠٠، سلامة النحال: القدس ص١١٩.

(٥) محمد تيسير التميمي: حقيقة القدس التي يدعون، المركز القومي للنشر ١٩٩٧م، ص١٠١.

(٦) سلامة النحال: القدس، ص١١٦.

(٧) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم١ ص٤٠١.

(٨) التوراة: سفر التكوين: الاصحاح العاشر.

المدن الكنعانية

والكنعانيون هم الذين قاموا ببناء المدن في فلسطين بما فيها مدينة القدس، وسّموا هذه المدن بأسماء ملوكهم أو بأسماء آلهتهم، وبعضها حمل أسماء الأفلاك والمناظر الطبيعية[١]، وكان بناءهم لهذه المدن قبل قدوم العبرانيين بألفي سنة، وكانت مدنهم محصّنة بالأسوار، ولا تزال معظم المدن الكنعانية تحتفظ بأسمائها إلى اليوم، وعثر المنقبون الأثاريون في معبد الكرنك بمصر على قائمة تتضمن أسماء (١١٩) مدينة من أقدم المدن الكنعانية[٢].

وأهم المدن التي بناها الكنعانيون في فلسطين مدينة القدس (أوروسالم) التي اعترفت التوراة أنها تأسست قبل دخول العبرانيين فلسطين بـ ١٨٠٠ سنة، وكان تأسيس هذه المدينة بحدود سنة ٣,٠٠٠ ق. م، واحتفظت بشكلها وطابعها الكنعاني اليبوسي ما يقارب الألفي سنة[٣].

وكانت مدينة أريحا أقدم مدن فلسطين وأقدم مدن العالم أيضاً، وكان اسمها (يريحو)، وهي كلمة كنعانية تعني (مدينة القمر)[٤]، وقيل كلمة سريانية معناها أريج (الرائحة)[٥]، وذكر ياقوت الحموي أنها سميت بأريحا بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام[٦].

---

(١) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٥٩.

(٢) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم١ ص٤٢٠-٤٢١.

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص ٦٢.

(٤) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص ٦٤، علي حسين خلف؛ الحضارة الكتعانية والتوارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٩م، ص٢٦.

(٥) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم ١ ص٤٢٣.

(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٦٥.

وبنى الكنعانيون مدينة الخليل، وبدأت قرية صغيرة اسمها أربع نسبة إلى رجل من العناقيين، ثم أطلقوا عليها اسم(حبرون) باسم ملكها (حبرو) من عشيرة بني حث الكنعانية، وصارت من أشهر الممالك الكنعانية[1].

ومن المدن المشهورة التي بنوها (مجدو) وبنيت سنة ٣,٠٠٠ ق. م، حيث ورد ذكرها في التوراة باسم (أرمجدون) وتعرف اليوم باسم (تل المتسلم)، ومدينة لاخيش التي بنيت سنة ٢,٦٠٠ ق. م، وسميت بملكها الكنعاني (لخيش)، ومدينة عكا، واسمها بالكنعانية (عكو) أي الرمل الحار، وتم بناؤها سنة ٢,٨٠٠ ق.م، وذكرها ياقوت الحموي أنها بلد على ساحل بحر الشام، والعكة: الرملة التي حميت عليها الشمس[2].

وبنى الكنعانيون مدينة يافا بحدود سنة ٢,٤٠٠ ق. م، واسمها بالكنعانية (يافي) أي الجميلة[3]، ومدينة اسدود (اشدود) التي أطلق عليها هيرودس اسم (سوريا الكبيرة)[4]، وهذه المدينة تضم قبر الصحابي الجليل عبد الله بن سعدبن أبي السرح رضي الله عنه، كما بنوا مدن بيسان (بيت شان) وعجلون وعاي وحاصور وعسقلان[5]، وبئر السبع وجازر ونابلس (شكيم) التي سميت باسم ملكها الكنعاني شكيم، وورد ذكرها عند ياقوت الحموي[6].

---

(١) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٦٤.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤ ص١٤٣.

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٦٥.

(٤) انظر الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم١ ص٤٢٣.

(٥) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٦٤-٦٦.

(٦) انظر ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج٥ ص٢٤٨-٢٤٩.

الديانة الكنعانية:

كانت ديانة الكنعانيين تقوم على تقديس مظاهر الطبيعة والكون، وهذا شأن معظم الديانات القديمة، وكانت عندهم ثلاثة آلهة رئيسية هي[1]:

١-**إله الجو**: وهو الإله الأب.

٢-**آلهة الأرض**: وهي الآلهة الأم.

٣-**الإله الأعلى**: وهو الإله إيل أو عليان، وكان يعد إله المطر والمحاصيل، وزوجته عشتارة (عاشرة) إلاهة الخصب وعُبدت كالآلهة الأم، وكانت لها ألقاباً عديدة منها (بعلة) أي سيدة[2]، واهتموا بعبادة قوى النمو والتوالد باعتبارهم مجتمعاً زراعياً ويهتم بتربية الماشية.

وعرف الكنعانيون توحيد الخالق، فظهر عندهم ملوك دعوا إلى توحيد الله وعبادته فملكي صادق وهو أحد ملوكهم دعى إلى توحيد الله تعالى وبنى له معبداً هو أول مسجد أقيم في مدينة القدس، وهو المسجد الأقصى، وعلى أساساته بنى داود عليه السلام، ثم أتم ابنه سليمان عليه السلام المسجد لعبادة الله تعالى.

---

(١) أبو المحاسن عصفور: الشرق القديم، ص١٦٤-١٦٥، فيليب حتي: تاريخ سوريا ج١ ص١٢٧.

(٢) أبو المحاسن عصفور: الشرق القديم ص١٦٥.

العصر البرونزي الوسيط وبدايات الغزو الخارجي

بدأت فلسطين وبلاد الشام تشهد قدوم الجماعات الغازية منذ أوائل العصر البرونزي المتوسط الذي يمتد من ٢٠٠٠-١٥٥٠ ق. م، وبدأت أولى الحركات الغازية بالوصول إلى فلسطين في مطلع القرن (١٨ ق.م)، وهي جماعات الهكسوس الذين سيطروا على فلسطين خلال القرون (١٨-١٦ ق.م)، كما شهد هذا العصر هجرة النبي إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام إلى بلاد الشام[١].

والهكسوس جماعات غير معروفة الأصول بصورة دقيقة، وكان بعض المؤرخين يعتبرهم من الساميين، والأرجح أنهم ليسوا جماعات سامية خالصة، وإنما خليط من الساميين وغير الساميين، فمنهم جماعات كنعانية أو آمورية ومنهم حثيين وحوريين وميتانيين وخابيرو وهنود أوروبيين تجمعوا وشكلوا مجموعة واحدة دخلت إلى فلسطين في القرن (١٨ ق. م)[٢]، وكانوا يستخدمون العربات التي تجرها الخيول، وأدخلوا معهم أسلحة جديدة أهمها السيف المنحني والقوس المركب، وشكلوا في سوريا وفلسطين فئة اقطاعية حاكمة في القرنين (١٨، ١٧ ق.م)، ثم تسللوا إلى مصر بشكل تدريجي حتى تمكنوا من إقامة أسرة حاكمة في مصر في القرن (١٧ ق.م)، وأطلق عليهم اسم **الملوك الرعاة**.

إبراهيم عليه السلام

أمام محاولات اليهود والصهاينة ربط أنفسهم بإبراهيم الخليل وأنبياء الله تعالى إسحاق ويعقوب وموسى عليهم السلام لابد من العودة إلى تاريخ هؤلاء الأنبياء للتعرّف عليهم وعلى دعواتهم لعبادة الله تعالى، ومعرفة أين تكون مزاعم اليهود والصهيونية من هؤلاء الأنبياء والرسل عليهم السلام.

---

(١) محسن محمد صالح: الطريق إلى القدس، ص١٨، وانظر فايز جابر: القدس، ص١٥.

(٢) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج١ ص٥٥، ١٥٧.

فإبراهيم عليه السلام هو: إبراهيم بن آزر (تارح)[1] بن ناحور بن ساروغ بن أغو بن فالغ بن عابر بن سالح بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام[2]، ولد في مدينة (أور) جنوب العراق بحدود سنة ٢,٠٠٠ ق.م تقريباً[3]، وعند ابن الأثير أنه ولد بالسوس من أرض الأهواز، وقيل ولد بمدينة بابل[4]، ونشأ إبراهيم في زمان نمرود الجبَّار، ووجد قومه يعبدون الأصنام، فلم يقتنع بصحة عبادتها، وكان يتساءل في قومه عن عبادة الحجارة التي ينحتونها بأنفسهم[5].

ولمّا كبر بعثه رسولاً، وعلمه دينه، فدعا قومه لنبذ عبادة الأصنام، وأن تكون عبادتهم لله تعالى، فلما أبوا ذلك عاب عليهم آلهتهم وذمَّها[6]، وبدأت دعوة إبراهيم لأبيه، لأن قومه كانوا يقولون له: أبوك علمنا هذه العبادة[7]، فيقال بأن آزر كان يصنع

---

(١) ورد في القرآن الكريم أن اسم والد إبراهيم عليه السلام هو آزر في قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ءأتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين) الأنعام: الآية ٧٤، وقال ابن كثير ربما كان له اسمان، أحدهما اسماً والآخر لقباً (انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص١٣٤، قصص الأنبياء، دار التراث القاهرة ١٩٨١، ص١٣٢.

(٢) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١ ص٥٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص١٣٢.

(٣) يذكر مجير الدين الحنبلي أنه كان بين مولد إبراهيم الخليل عليه السلام والهجرة النبوية الشريفة (٢٨٩٣ سنة)، وهذا يعني آن ولادته عليه السلام كانت بما يعادل التاريخ الميلادي: ٢٨٩٣- ٦٢٢= ٢٢٧١ ق.م، أي قبل الميلاد بأكثر من ألفين ومائتين وسبعين عاماً (انظر العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٩٦).

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص١٣٢، وذكر مجير الدين الحنبلي أنه ولد (بكوثا) من أقليم بابل في العراق (انظر العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٠٠)، ويقال بأنه ولد بغوطة دمشق في قرية (برزة) بقاسيون انظر ابن كثير: قصص الأنبياء ص١٢٨.

(٥) اليعقوبي: التاريخ، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩٣م، ج١ ص٤٨.

(٦) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩١م، ج١ ص٥٢.

(٧) اليعقوبي: التاريخ، ج١ ص٤٨، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٠٠.

الأصنام التي كانوا يعبدونها[1]، ووردت إشارات إلى دعوة إبراهيم لأبيه في القرآن الكريم (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيّا، إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبُد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً، يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سويّا، يا أبتِ لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيّا، يا أبتِ إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليّا)[2].

ولم يقبل أباه الدعوة لعبادة الله، بل طلب منه البقاء على دين آبائه، وإلاّ فسوف يعرّض نفسه للعقاب، قال تعالى: (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم، لئن لم تنتهِ لأرجمنَّك واهجرني مليّا)[3].

ثم جاءت دعوته لقومه لنبذ عبادة الأصنام والأوثان، قال تعالى: (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا ءاباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وءاباؤكم في ضلال مبين، قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين، قال بل ربكم ربُّ السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين، وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، فجعلهم جذاذاً إلاّ كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون)[4].

فأبى قومه قبول دعوته، وأخذ إبراهيم يتحين الفرصة ليثبت لهم ضعف الأصنام التي يعبدونها، فلما كان أحد الأعياد عندهم وخرجوا لعيدهم تخلّف إبراهيم عن الخروج معهم، وذهب إلى الأصنام ومعه فأس، فوجدهم قد وضعوا الطعام للأصنام المصفوفة إلى جانب بعضها لتأكل هذا الطعام، فأخذ في تكسيرها وأبقى أكبر هذه الأصنام، ثم ربط الفأس بيده وتركها، فلما رجع قومه إلى الأصنام هالهم ما وجدوه من تكسيرها فأخبروا ملكهم نمرود بما حدث[5].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٥.

(٢) سورة مريم: الآيات ٤١-٤٥.

(٣) سورة مريم: الآية ٤٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآيات: ٥٢-٥٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٥، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٠٢-١٠٣.

وأخذوا يبحثون عن الشخص الذي أقدم على هذا العمل الخطير، فقيل لهم إنه فتىً اسمه إبراهيم كان يذكر الآلهة بسوء (قالوا من فعل هذا بألِـهتنا إنه لمـن الظـالمين* قـالوا سمعنا فتىً يذكُرُهـم يقال له إبراهيم* قالوا فأتوا به على أعـين النـاس لعلـهم يـشهدون قالوا ءأنت فعلت هذا بألـهتنا يا إبراهيم* قال بل فعله كبيرهم هـذا فـسئلوهم إن كـانوا ينطقون)[1].

فلما بلغ نمرود وأشراف قومه هذا العمل، ووجه الاتهام إلى إبراهيم، طلبوا إحضاره على مشهد من الناس، فلما جاءوا به واجتمع له قومه عند مليكهم نمرود وسألوه إن كان حطَّم الأصنام، قال لهم: بل فعله كبيرهم هذا لأنه لم يرضَ عـن عبـادتكم لهـذه الأصـنام الصغيرة وهو أكبر منها فحطَّمها[2].

ثم اتفقوا على الانتصار لآلهتهم، فأجمعوا على قتل إبـراهيم وحرقـه بالنـار، (قـالوا حرّقوه وانصروا ءالهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يا نار كوني بـرداً وسـلاماً علـى إبـراهيم، وأرادوا بـه كيـداً فجعلنـاهم الأخـسرين، ونجينـاه ولوطـاً إلى الأرض الـتي باركنـا فيهـا للعالمين)[3]، ولما قَرَّروا تنفيذ إحراقه حبسوه في بيت وبنوا له ما يشبه الحظيرة العالية، كان ارتفاعها ثلاثون ذراعاً وعرضها عشرون ذراعـاً، وملأوهـا بالحطـب وأوقـدوا فيـه النـار ليطرحوه فيها، فلم يتمكنوا من الاقتراب منها لشدّة الحرّ، فجـاء إبلـيس وعلمهـم عمـل المنجنيق فعملوه، ثم جاؤوا بإبراهيم عليه السلام ورفعوه على رأس البنيان وقيَّـدوه، ثـم وضعوه في المنجنيق مقيَّداً وألقوه في النار[4].

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات: ٥٩-٦٣.

(٢) انظر ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآيات: ٦٨-٧١.

(٤) انظر العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٠٤.

ونجّى الله إبراهيم من قومه ونارهم، وخرج منها سالماً وما آمن معه إلاّ عدد قليل، فآمن معه لوط ابن اخيه هاران، وآمنت به سارة ابنة عمه وهي سارة ابنة هاران[1]، الأكبر عم إبراهيم[2]، وكان إبراهيم رجلاً عظيماً قادراً على التعامل مع الحياة والناس ولا ينقصه الذكاء والحكمة، كما لا ينقصه الإيمان والصبر، فكانت هذه صفات مميزة فيه، وكان إبراهيم أمة كما وصفه الله سبحانه وتعالى في سورة النحل فقال: (إنَّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين)[3]، فكان أمة بأهله وكان أمة بنسله، وكان من نسله الأنبياء الذين دعوا الأمم لعبادة الله تعالى في هذه الأرض، وتوالدت من نسله أمم كثيرة عمَّرت الأرض بعد ذلك، وفي الكتاب المقدّس أن الربَّ خاطب أبرام فقال له: (يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً، وملوكٌ منك يخرجون)[4].

وفي الاصحاح الثامن عشر (فقال الربُّ هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله، وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، ويتبارك به جميع أمم الأرض)[5].

هجرة إبراهيم إلى فلسطين ومصر

إن الظروف والأحوال التي مرّ بها إبراهيم عليه السلام في أور وملاحقة نمرود وقومه لإبراهيم، وعدم إيمانهم بدعوته دفعت به إلى الرحيل إلى مكان آخر يدعو فيه لتوحيد الله وعبادته، فخرج هو ومن معه إلى حرّان (حاران)، وعند اليعقوبي أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن يترك بلاد نمرود إلى الأرض المقدسة (بلاد الشام)[6]، قال

---

(١) في كتاب العهد القديم سارة أخت إبراهيم لأبيه (انظر العهد القديم: سفر التكوين/ الاصحاح ٢٠/ (١٢)).

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٦-٥٧.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٠.

(٤) الكتاب المقدس: سفر التكوين / الإصحاح ١٧ (٥-٦).

(٥) الكتاب المقدس: سفر التكوين/ الإصحاح ١٨ (١٧-١٨).

(٦) اليعقوبي: التاريخ، ج١ ص٤٨-٤٩.

تعالى: (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) [1].

وانتهت رحلة إبراهيم أول الأمر إلى حرّان، فتذكر التوارة أنه أخذ معه أباه تارح وابن أخيه لوطاً، وسارة امرأة إبراهيم وكانت رحلته إلى أرض كنعان، ومات تارح (آزر) في حرّان[2]، وهذا يعني انهم مرّوا في رحلتهم قبل وصول أرض كنعان إلى حرّان في الجزيرة الفراتية.

ووسّع الله على إبراهيم ولوط فكثرت أموالهم وماشيتهم،وارتحل لوط إلى سدوم وعمورة[3]، وسكن هناك، فأتاه ملك تلك البلاد فقاتله وأخذ ماله مما دفع إبراهيم لنجدة ابن أخيه واستنقذ ماله[4]، وأقام في أرض كنعان (فلسطين)، وتتحدث التوراة عن ملك القدس (ملكي صادق) فتذكرانه في هذه الأثناء كان كاهناً لله العلي[5]، في الوقت الذي وصل فيه إبراهيم إلى أرض كنعان بحدود سنة (١٩٠٠ ق.م).

وكان الكنعانيون عند قدوم إبراهيم عليه السلام يسكنون فلسطين ولهم فيها ملك موحد لله عابد له في هذه الأرض هو ملكي صادق ملك القدس، ولذلك فإن أهلها الكنعانيون الذين سكنوها وعمروها كان وجودهم فيها في وقت مبكر جدًّاً لم يظهر فيه العبرانيون بعد ولا اليهود، ولم تظهر الديانة اليهودية التي جاءت متأخرة أكثر من ألف عام على هذا الوقت.

وكانت أسباب هجرة إبراهيم من حرّان إلى فلسطين إضافة إلى ما ذكر من نجدته لابن أخيه لوط، أن المنطقة التي كان يقيم فيها تعرّضت للجفاف والجدب، وتوقف

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧١.

(٢) الكتاب المقدس: سفر التكوين/ الإصحاح ١١.

(٣) مدينتين من مدائن قوم لوط (انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣ ص٧١) وهما مكان البحر الميت اليوم.

(٤) اليعقوبي: التاريخ، ج١ ص٤٩.

(٥) الكتاب المقدس: سفر التكوين / الإصحاح ١٤.

سقوط الأمطار مما جعلها عرضة لزحف الجراد الذي أدى إلى انتشار الجوع وهلاك الكثير من الناس والدواب[1].

ومرَّ إبراهيم في رحلته على قرية مورة قرب نابلس وأقام فيها بعض الوقت ثم انتقل إلى الخليل (أربع —حبرون)، وأقام فيها مدّة ثم إلى بئر السبع وأقام فيها زمناً قبل أن يذهب إلى مصر[2].

كان عمر إبراهيم عندما هاجر إلى فلسطين حوالي (٧٥ عاماً) وهاجر إلى مصر وعمره (٨٣ عاماً) تقريباً، أي بعد ثماني سنوات من وصوله إلى فلسطين، وعاد إبراهيم وامرأته من مصر إلى أرض كنعان فاستقرَّ في مدينة الخليل (حبرون)، ووصل إلى مدينة القدس، واستقر في الخليل حتى توفاه الله ودفن في **مغارة المكفيلة**، وهي التي دفن فيها زوجته سارة[3]، وكانت رحلته إلى مصر بسبب الجوع والجفاف الشديد الذي أصاب بلاد الشام.

وحول رحلته إلى مصر تنسج التوراة قصة تشبه قصص الغرام الأسطورية، وتأخذ بعض كتب التاريخ بهذه الرواية وتذكر قصة مشابهة، وتجعل هذه الرواية سبب رحيل إبراهيم إلى مصر أن فرعون مصر رأى سارة وأعجب بها وبجمالها الفائق، فسأل إبراهيم عنها فقال له هي أختي، فطلبها منه وأمره أن يزينها ويرسلها له، وتوجهت سارة إلى مصر فلما دخلت على فرعون ورأها، أهوى إليها ليتناولها بيده، فأيبس الله يده ورجله، ولما تخلى عنها أطلقه الله، ثم تكرر ذلك منه حتى أطلقها ووهب لها هاجر جارية[4].

وهذه قصة غريبة في نسجها غريبة في شكلها ونتيجتها، فتنسب إلى رسول الله إبراهيم التخلي عن زوجته وإرسالها إلى فرعون ليتزوج منها، ويخاف فرعون ولم يسبق له

---

(١) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٧١.

(٢) محسن محمد صالح: الطريق إلى القدس، ص٢٠.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٢١.

(٤) انظر الكتاب المقدس: سفر التكوين / الإصحاح ٢٠، ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٧-٥٨، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١١٠.

أن خاف نمرود الجبار الذي ألقاه في النار؟! فهل هذه رواية معقولة ومقبولة أمام صبر وجرأة إبراهيم التي رأيناها منه مع نمرود الجبار؟ أيخاف من فرعون ولا يخبره أن سارة زوجته، ولا يخاف من نمرود عندما أقدم على تكسير الأصنام التي يعبدها مع أن النتيجة كانت إلقاءه في النار؟... إنها رواية لا اغرب ولا أعجب.

والأغرب من هذا أن فرعون يعجب من امرأة يئست من الإنجاب لكبر سنها، فسارة عندما رآها فرعون كان عمرها يقارب السبعين عاماً، فأي جمال هذا الذي تحمله امرأة السبعين عاماً والذي سيغري فرعون ليطلب تجهيزها إليه ليتزوج منها؟[١].

والأمر الثالث الذي تذكره التوراة أن سارة هي أخت إبراهيم من أبيه، وأنه عندما سأله الملك أو الفرعون قال بعدما علم أنها زوجته قال له إبراهيم (هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة)[٢]، وهذا اتّهام آخر لرسول الله إبراهيم أنه يتزوج من أخته لأبيه وهي من المحرمات التي لا يسمح الزواج بهن، فهل انقطعت النساء ليتزوج نبي الله بأخته؟ مع أن سارة هي ابنة عمه وليست أخته[٣].

وهذا ما تكرر التوراة نسبته إلى أنبياء الله ورسله، فهي تنسب إلى لوط مضاجعة ابنتيه ليكون له منهن نسل[٤].

وإذا قبلنا رواية التوراة التي تنسب إلى إبراهيم زواجه من سارة وأن سارة أخته – وهو إدعاء باطل- فإن هذا يعني أن بني إبراهيم من سارة الذي يزعم اليهود أنهم منهم أبناء سفاح، وحاشا لنبي الله وخليله أن يفعل ذلك أو أن يقبل الزواج من أخته التي يحرّم الله الزواج بها، فالنساء كثيرات في عهد إبراهيم ويستطيع آن يبحث له عن زوجة من غير أخواته، أو أن يتزوج بمن يشاء من النساء غيرهن، ولهذا فمن الضروري التوقف كثيراً

---

(١) انظر إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٧٢-٧٣.

(٢) الكتاب المقدس: سفر التكوين/ الإصحاح ٢٠ (١٢).

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٥٢.

(٤) الكتاب المقدس: سفر التكوين/ الإصحاح ١٩(٢١-٢٨).

قبل الأخذ بهذه الرواية، وعند غيرها من الروايات التي وردت في العهد القديم، فمن يزوّر على أنبياء الله ورسله يمكن أن يقوم بتزوير كل شيء.

أولاد إبراهيم عليه السلام

هاجر إبراهيم إلى بلاد كنعان وقد تجاوز الثمانين عاماً، ولم يكن معه ولد فتقدمت به السن وبزوجه سارة حتى لم يعد هناك امكانية الإنجاب عندهما، إلاّ آن إرادة الله سبحانه وتعالى وفضله يتجاوز معرفة الإنسان، ولّما أحست سارة أن لا أمل يرتجى من ولادتها بعد السن الذي بلغت، أهدت لإبراهيم جاريتها هاجر، فتزوجها وأنجبت له ولداً هو إسماعيل عليه السلام، قال تعالى: (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء) [١].

وكانت ولادة إسماعيل سبباً في غيرة سارة وحزنها، فبشرها الله تعالى بإسحاق وكان عمرها ما بين (٨٠-٩٠ عاماً) قال تعالى: (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) [٢]، إلاّ أن غيرة النساء دفعت بسارة أن تطلب إلى إبراهيم إبعاد هاجر وابنها، فجاءه أمر الله تعالى بنقلها وابنها إلى مكة[٣].

وحمل إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة، وكانت أرض جرداء لا ماء فيها ولا نبات ولما أراد إبراهيم مغادرتها سألته هاجر عن سبب إحضارهم إلى ذلك المكان، فأخبرها أن الله تعالى أمره بذلك، فلما تركها وكان حزنه عليهما شديداً دعى الله تعالى أن يهيء لهما من الناس من يؤنس عليهما المكان ويعيشا معه، قال تعالى على لسان إبراهيم (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٩.

(٢) سورة هود: الآية ٧١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٩.

فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)[1]، فلما بلغ بهما العطش أخرج الله لهما الماء من عين زمزم، وعاش إسماعيل حتى كبر وتزوج من قبيلة جُرهم[2].

وأمر الله تعالى نبيه إبراهيم ببناء البيت الحرام، فسار إلى مكة فقال لإسماعيل، إنَّ الله أمرني أن أبني له بيتاً وأمرك أن تعينني على ذلك، فقال له إسماعيل: فأطِع ربك، وقام إبراهيم يبني البيت وإسماعيل يعاونه على ذلك، ثم طلب إبراهيم من إسماعيل أن يعطيه حجراً يكون علامة، فأعطاه الحجر الأسود، ويقال أخبره جبريل بالحجر فأخذه ووضعه مكانه[3]، وكان كلما قام بالبناء دعوا الله (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)، وكان بناء الكعبة قبل الهجرة النبوية بـ (٢٧٩٣) سنة حسب رواية مجير الدين الحنبلي[4] أي سنة (٢١٧١ ق. م)، إلاّ أن الراجح أن بناءها جاء بعد القرن ١٩ ق. م بناها إبراهيم وإسماعيل، قال تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)[5].

وولد لإسماعيل اثني عشر ولداً من زوجاته العربيات هم: نابت وقيدار وأذيل وميشا ومسمع ورما وماش وآزر وقطورا وفاقس وطميا وقيدمان، ومن نابت وقيدار نشر الله العرب المستعربة[6].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٢) انظر ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٩-٦٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٦٠-٦١، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١١٦.

(٤) انظر العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١١٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٧١، إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٧٥.

أمـا إسـحاق فتـزوج رفقـة بنـت بتويـل فأنجبـت لـه عـيص (عيسو) ويعقـوب توأمين[1] وكان عيس الأكبر وعاش إسحاق في أرض كنعان متنقلاً بين الخليل وبئر السبع والمنطقة الجنوبية.

وأمر الله سبحانه إبراهيم الخليل أن يذبح ابنه قرباناً لله تعالى لأنه دعا الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحاً، فلما بشرته الملائكة بغلام حليم، قال إذن هو لله ذبيح، فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي – أي قدر على المسير مع أبيه– قيل له أوفِ بنذرك الذي نذرت[2].

واختلف الناس فيمن يكون الذبيح، فمنهم من قال إنه إسماعيل ومنهم من قال إنه إسحاق، ولكلٍّ حجته،وقال المسعودي أنه إن كان أمر الذبح وقع بالحجاز فهو إسماعيل لأن إسحاق لم يدخل الحجـاز، وإن كـان أمـر الـذبح وقـع في الـشام فهـو إسـحاق لأن إسماعيل لم يدخل الشام بعد حمله إلى مكة[3].

ورغم أن الروايات التي وردت عن الصحابة رضوان الله علـيهم اختلفـت وانقـسم أصحابها إلى فريقين، فريق ذكر أن الذبيح إسماعيل وفريق قال: الذبيح إسحاق، إلاَّ أنني أميل إلى الرأي القائل بأن الذبيح هو إسماعيل استناداً إلى عدد من الاعتبارات بعضها مما ورد في التوراة.

ففي التوراة ذكروا أن الرب امتحن إبراهيم فقال له (خذ ابنك وحيدك الذي تُحبُّـه إسحاق)[4]، ولم يكن وحيداً في يوم من الأيام لإبراهيم غـير إسماعيـل لأنـه الأكـبر بـين أولاده، فلما ولد لم يكن مع إبراهيم غيره فكـان وحيـده إلى أن جـاء إسـحاق مـن بعـده عندها لم يعد لإبراهيم ولد وحيد لأنه صـار عنـده إسماعيـل وإسـحاق، لـذلك جـاءت

(١) الكتاب المقدس: سفر التكوين/ الإصحاح ٢٥ (٢٤-٢٦).

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٦٤.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٥٤، وانظر روايات أخرى عند اليعقوبي: التاريخ، ج١ ص٥٢-٥٣، ابن الأثـير: الكامـل، ج١ ص٦٢-٦٣، العليمـي: الأنـس الجليـل، ج١ ص١١٦-١١٩، ابـن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٨م، ج٤ ص١٥-١٧.

(٤) الكتاب المقدس: سفر التكوين / الإصحاح ٢٢.

إضافة اسم إسحاق في نصّ التوراة الذي سجّلوه حسداً وغيرة منهم ولم يكن الاسم مع النَّص، لذلك صدق رواة التوارة في الجزء الأول من هذه الرواية، وكذبوا في الجزء الثاني لأن إسحاق لم يكن وحيداً لأبيه يوماً من الأيام.

وعند ابن كثير في تفسير القرآن العظيم أن الذبيح هو إسماعيل لأنه ورد في كتاب الله تعالى بالبشارة لإبراهيم بغلام حليم وذكر انه الذبيح[1]، قال تعالى: (فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) [2]، ثم قال الله تعالى بعد أن انتهى موضوع الذبح وفي نفس السورة (وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين) [3]، ثم جاءت البشرى لسارة زوجة إبراهيم في قوله تعالى: (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) [4]، أي أنه يولد لهما في حياتهما ولد يسمى إسحاق فيكون من ذريته عقب ونسل فلا يجوز أن يؤمر بذبحه وهو صغير لأن الله وعدهما أنه سيكون له ولد هو يعقوب، فكيف يأتي منه يعقوب إذا أمر بذبحه وهذا تناقض لا يمكن أن يكون، أي أن الله لا يمكن أن يبشر بولد يكون له نسل ويأمر بذبحه وهو صغير ولم يأته أولاد بعد، لذلك فإن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق[5].

من هو إسرائيل وصحة الانتساب إليه؟

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، واسمه أيضاً إسرائيل، وكان يعقوب والعيص (عيسو) توأمين، وسمي يعقوب لأنه ولد بعد أخيه، فيقال أنه خرج من بطن أمه أخذاً بعقب أخيه العيص، أما إسرائيل فمعناه صفوة الله[6]، وسمي إسرائيل لأنه

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص١٦.

(٢) الصافات: الآيات ١٠١-١٠٢.

(٣) الصافات: الآية ١١٢.

(٤) سورة هود: الآية ٧١.

(٥) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص١٦.

(٦) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٥١.

عندما أمره أبوه أن يذهب إلى أرض الشام وبشره بالنبوة كان يسري بالليل ويكمن بالنهار فسمي إسرائيل[١].

وتزوج يعقوب ابنتي خاله إحداهما ليا بنت لابان فولدت له روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشحر وزوفولون (زبالون)، والثانية راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، وتزوج امرأتين أخريين هما زلفة وجارية راحيل فأنجبتا له جاد (كاد) وآشر ونفتالي ودان[٢] وهو من جارية راحيل[٣].

وكان يوسف أحب ولد يعقوب لأبيه لأنه كان أجملهم وجهاً وأمه أحب النساء لأبيه، ثم توفيت أمه فكان وأخوه بنيامين يتيمين.

وكان أبناء يعقوب هؤلاء هم الأسباط الاثني عشر الذين عرفوا فيما بعد ببني إسرائيل فهم أبناء إسرائيل (يعقوب)، وكان بعضهم أنبياء ومنهم لاوي ويوسف وبنيامين ويهوذا[٤]، ومن نسل لاوي كان نبي الله موسى عليه السلام، وكان يعقوب وأبناؤه يسكنون في جنوب بلاد الشام.

وهنا لابد من بيان حقيقة يعقوب الذي هو إسرائيل، فيعقوب هو أحد أنبياء الله ورسله وأبٌ لبعض الأنبياء والمرسلين الذين دعوا إلى عبادة الله وتوحيده قال تعالى: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داؤد وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌ من الصالحين* وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين)[٥]، فهؤلاء الأنبياء كانوا رسلاً يعبدون الله تعالى ويدعون لعبادته وتوحيده، قال تعالى (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون)[٦].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١ ص٧٢.

(٢) انظر اليعقوبي: التاريخ ج١ ص٥٥، المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٥٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج١ ص٧٢.

(٣) اليعقوبي: التاريخ، ج١ ص٥٥.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٥٥.

(٥) سورة الأنعام: الآيات ٨٤-٨٦.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

هذا هو إسرائيل الذي تُحاول الصهيونية الإنتساب إليه، إنّه يدعو لعبادة الله تعالى وتوحيده، ولا يقبل غير ذلك، ويوصي أبناءه من بعده ليتأكد أن العبادة في هذه الأرض لا تكون إلاَّ للخالق الباريء الواحد الأحد الذي لا شريك له، كما يدعوهم لمحاربة الفساد والظلم والبعد عن الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، فهل يحق بعد هذا للصهيونية رأس الكفر والفساد في الأرض أن تنتسب إلى إسرائيل وتسمي نفسها إسرائيل، بل وتدَّعي أنها من نسل إسرائيل وهي تهتك الأعراض وتسفك الدماء وتفسد في الأرض وتشرك بالله؟ كيف تكون إسرائيل من إسرائيل وتدعي أنها أحق به وهو يدعو إلى التوحيد والإيمان، وهي تدعو إلى الكفر والفساد؟ إنَّ هذا لأمر عجيب؟

فهل يا ترى أنه لمجرد أنَّ مجموعة من الناس من نسل أو أقارب أحد الأنبياء يحق لهم الانتساب إليه؟ ألم يكن أبا لَهَب عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؟ فهل يحقُّ له أن يدَّعي أحقيته بمحمد صلى الله عليه وسلم؟ أم أنه كان مرفوضاً من محمد عليه الصلاة والسلام ومن كل من انتسب إليه؟ بل وكان عدواً لمحمد ولكل المسلمين: وكذلك هؤلاء إذا صدَّقنا بأنهم من نسل إسرائيل ولم يكونوا منهم كما سنشير فيما بعد لأن نسله هم أبناء الأسباط، ويهود اليوم ليسوا منهم فهم من شتى بلاد الدنيا لا يجمعهم نسب.

وفي أيام النبي يعقوب (إسرائيل) عليه السلام تتعرض أرض كنعان للجفاف والقحط الشديد فتكون هجرة إسرائيل وبنيه إلى مصر حيث كان يوسف بن يعقوب هناك حفيظاً على خزائن مصر[١]، فكانت هجرتهم إلى مصر بحدود سنة ١٦٥٠ ق. م وكان حكام مصر في هذه الفترة ملوك الهكسوس[٢]، فوهب ملكهم (أماشناس) لبني إسرائيل الأراضي والمزارع في مناطق متعددة خاصة في منطقة جلسان (القليوبية)[٣]، وعيَّن بعضهم في الوظائف، وهذا سيثير ضدهم فراعنة مصر بعد أن يتمكنوا من طرد الهكسوس ويتعرضوا لمصاعب ويحرموا من كثير من الأراضي التي امتلكوها، وتستمر مصاعب بني إسرائيل واضطهادهم إلى أن خرج بهم موسى باتجاه فلسطين.

---

(١) انظر إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٨١، وما بعدها.

(٢) الهكسوس: جماعة غازية قدمت إلى مصر سنة ١٧٣٠ ق.م. وشكلت أسرة حاكمة واتخذت مدينة أفاريس عاصمة لها، وحكم الهكسوس مصر حتى طردهم احموس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٥٨٠ ق. م.

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٩٠-٩١.

العصر البرونزي الحديث

يمتد هذا العصر فيما بين سنتي (١٥٥٠-١٢٠٠ ق. م)، وتميز بخضوع فلسطين للحكم المصري (حكم الفراعنة)، ويبدو أن قدوم الفراعنة كان بغرض رد بعض الغارات وتحركات بعض الغزاة باتجاه فلسطين، فقد تعرضت البلاد في هذا العصر لغزو الحثيّين والحوريين والفلسطينيين.

فالحثيون من سكان آسيا الصغرى دخلوا إلى بلاد الشام وشكلوا مملكة في شمال سوريا امتد حكمها بين القرنين (١٥-١٣ق.م) (١)، وسكن بعضهم في المدن الفلسطينية، وورد ذكر لهم في التوراة على أنهم كانوا يسكنون الخليل أيام إبراهيم عليه السلام، وأنه اشترى منهم مغارة المكفيلة(٢)، لكن هذا الأمر لا يزال حتى الآن غير موثوق.

ووصل الحوريون إلى فلسطين، وهم من مناطق البحر الأسود وأرمينيا وأسسوا مملكة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وسكنت جماعة منهم في نابلس ومناطق شمال فلسطين(٣).

ويذكر فيليب حتى أنهم شعب لا سامي ولا هندو أوروبي، فلا يزال أصله مجهولاً ولكنهم نجحوا حوالي سنة ١٥٠٠ ق. م من تأسيس مملكة عرفت بمملكة ميتاني امتدَّ حكمها من البحر المتوسط غرباً إلى مرتفعات ميديا شرقاً فكانت تضم بلاد آشور(٤).

واستنجد أهل القدس وفلسطين بالفراعنة لصدّ غارات هذه القبائل الغازية، فأرسل الفراعنة جيوشهم إلى فلسطين – وخضعت القدس لحكم اخناتون سنة ١٣٧٥ ق. م، ثم لابنه توت عنج آمون سنة ١٣٥١ ق. م، وسيتي الأول سنة ١٣١٤ ق. م(٥).

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٦٦-١٦٨، فايز جابر: القدس ص١٦.

(٢) الكتاب المقدس: سفر التكوين/ الإصحاح ٢٣ (٣-٢٠).

(٣) فايز جابر: القدس ص١٦.

(٤) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٦١-١٦٢.

(٥) انظر خالد محمد غازي: القدس، ص٢٣.

الفلسطينيون

هم إحدى الشعوب التي استوطنت مناطق من أرض كنعان خلال العصر البرونزي الحديث، وهم من الشعوب التي قدمت من منطقة بحر إيجة وعرفوا بشعوب البحر، وتزامن قدومهم إلى جنوب فلسطين مع بداية تحرك العبرانيين باتجاه فلسطين[١]، وكانت هجرتهم بسبب ضغط الهنود الأوروبيين حوالي سنة (١٢٢٥ ق.م) على بلاد اليونان قادمين من الشمال فهرب بعض سكان بحر إيجة وكان الفلسطينيون منهم، فحاول الفلسطينيون غزو مصر زمن رمسيس الثالث (١١٩٠ ق. م)، لكنهم فشلوا بسبب صمود أهل مصر، فغيرّوا وجهتهم إلى جنوب أرض كنعان وإلى المناطق الواقعة ما بين غزّة ويافا[٢].

استوطن الفلسطينيون عدداً من المدن أهمها غزة وعسقلان واسدود وعقرون وجت (Gath)- عراق المنشية، وكان مركزهم في مدينة اسدود، واحتفظت هذه المدن بأسمائها الساميّة خلال حكمهم لها، وتدل رسائل تل العمارنة على أن أسماء الحكام في هذه المدن كانت عربية، وكانت هذه القبائل تعرف باسم بيليست (pelest)، وسميت كذلك لأنها قدمت من (بالستا palaesta) في بلاد اليونان[٣].

عاش الفلسطينيون في المناطق التي سيطروا عليها جنوب فلسطين واندمجوا مع سكان البلاد فنسوا لغتهم الكريتية وتكلموا اللغة الكنعانية، واقتبسوا مظاهر وطراز الحياة الكنعانية، والديانة الكنعانية فصاروا يعبدون آلهتهم مثل عشتار وبعل[٤].

استفاد الفلسطينيون من معرفة صهر الحديد الذي عرف من أيام الحثيّين، فاحتكروا صناعته وصنعوا منه الآلات والأدوات الزراعية، وتفوقوا في صناعة الأسلحة مما جعلهم

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٦.

(٢) انظر محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١١٢، فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٦، محمد سلامة النحال: فلسطين، ص١٣١.

(٣) محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١١٣- ١١٤.

(٤) ن، م، ص١١٤.

يتفوقون في حروبهم مع العبرانيين[1]، حيث وصلوا أوج قوتهم بعد أن هزموا العبرانيين سنة ١٠٥٠ ق. م وأخذوا منهم تابوت العهد وحملوه إلى اسدود[2].

وقف الفلسطينيون مع الكنعانيين أمام الغزو العبراني ودافعوا عن المدن الكنعانية التي ارتبط بعضها بهذه الفئة من القادمين، وأدى امتزاجهم بالكنعانيين أن شكلوا مجموعة واحدة وصبغوا كثيراً من المدن الكنعانية التي سكنوها بطابعهم الذي ميزها على غيرها حتى أطلق اسم هذه المجموعة على البلاد التي سكنوها فسميت فلسطين، وكان هيرودوت أول من أطلق اسم فلسطين على أرض كنعان[3].

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٨.

(٢) الكتاب المقدس: سفر صموئيل الأول/ الإصحاح (٥-٦).

(٣) فيليب حتي: لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م، ص١٠٩،محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١١٣.

الفصل الثالث

العصر الحديدي [أيام العبور]

١- مقدمة

٢- النبي موسى عليه السلام

٣- العبرانيون

٤- خروج بني إسرائيل مع موسى عليه السلام

٥- احتلال فلسطين

٦- تأسيس المملكة العبرانية في فلسطين:

أ. عهد القضاة

ب. المملكة العبرانية

ج. الهيكل المزعوم

د. انقسام المملكة العبرانية

هـ. بنو إسرائيل يتعلمون الحضارة الكنعانية

العصر الحديدي [أيام العبور]

مقدمة:

ويمتد هذا العصر من ١٢٠٠-٣٣٢ ق.م، ويعتبر من أكثر العصور القديمة نشاطاً حيث شهد العصر اكتشاف معدن الحديد الذي أصبح له أهمية كبيرة في حياة الناس، بعد أن استخدم على نطاق واسع، وشهد ظهور النبي موسى عليه السلام، وهجرته مع بني إسرائيل باتجاه فلسطين، إلاّ أنه لم يتمكن من الدخول بهم إلى فلسطين نتيجة رفضهم القيام بذلك خوفاً من أهل فلسطين، لذلك تأخر دخولهم إليها إلى ما بعد وفاته ليدخل بهم يوشع عليه السلام، كما شهد هذا العصر قيام الغزوات الكبرى على فلسطين والقدس ومنها الغزو الآشوري والغزو البابلي والغزو الفارسي والغزو اليوناني الذي قاده الاسكندر الأكبر مع نهاية العصر الحديدي، وسنتحدث في هذا الفصل عن موسى عليه السلام والعبرانيين واحتلال فلسطين (أرض كنعان)، ثم قيام اليهود بالسيطرة على القدس وحكمهم في فلسطين وما تعلموه من نظم حضارية من خلال اختلاطهم بأهل فلسطين المتحضرين (الكنعانيون).

النبي موسى عليه السلام

هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام[1]، وهو نبي الله ورسوله الذي كلّمه وجعله من المقربين، قال تعالى: (واذكر في الكتاب موسى إنّه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيًّا) [2]، وقصة موسى مشهورة ومعروفة ورد ذكرها في القرآن الكريم.

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٩٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص٢٢٢، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٦٢.

(٢) سورة مريم: الآية ٥١.

ولد موسى عليه السلام في فترة كان فرعون يقتل فيها أطفال بني إسرائيل لأنه كان يخاف من قدوم نبي منهم يكون هلاك فرعون على يديه، لذلك فإن أم موسى عندما ولدته صنعت له تابوتاً ووضعته فيه، ثم ألقته في نهر النيل، فاستقرَّ في حوض ماءٍ عند فرعون، فلما وجدوه أرادت امرأة فرعون أن تتخذه ولداً ولم يكن لهم ولد غير البنات، فبحثوا له عن المراضع فلم يقبل واحدة منهن حتى جاؤا له بامرأة عمران (أم موسى) فقبلها[1]، قال تعالى: (وحرَّمنا عليه المراضع من قبل، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون)[2].

وعندما كبر استغاث به رجل من بني إسرائيل على رجل من القبط، فنصر الإسرائيلي ووكز القبطي فمات، ولما وصل خبره إلى فرعون طلب موسى، وكانوا يقتلون القاتل، فترك موسى مصر وخرج إلى أرض مدين[3]، وهي بلد النبي شعيب عليه السلام، ولما وصل مدين وجد جماعة من أهلها يسقون أغنامهم على بئرٍ ودونهم امرأتان تمنعان أغنامهما من الماء، فسألهما عن سبب ذلك، فقالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، أي حتى ينصرف الرعاة بمواشيهم عن الماء وذلك لعدم قدرتهما على المزاحمة، وسكت موسى حتى أتمَّ الرعاة سقاية أغنامهم وأطبقوا حجراً كبيراً على رأس البئر، فقام إلى البئر وضرب الحجر برجله وسقى لهما ثم عاد إلى الظل، فلما عادتا إلى أبيهما أخبرتاه بما حدث، فأرسل إحداهن لاستدعائه، وقدم إلى شعيب وكان شيخاً ضريراً (فقد بصره)، فأكرمه شعيب وطلب منه أن يعمل عنده لقاء تزويجه إحدى ابنتيه، فقبل ذلك وتزوج

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٥٦، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٦٦-١٦٧.

(٢) سورة القصص: الآية ١٢.

(٣) مدين مدينة على بحر القلزم على بعد ست مراحل من تبوك، وبها البئر التي إستقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب (انظر ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص٧٧).

موسى من صافورا ابنة شعيب عليه السلام مقابل رعاية الأغنام لشعيب عشر سنوات[1]، وقد وردت هذه القصة في القرآن الكريم بقوله تعالى:

(ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان، قال ما خطبكما؟ قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرِّعاء وأبونا شيخ كبير* فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير* فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقصَّ عليه القصص، قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين* قالت إحداهما يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين* قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك، وما أريد أن أشقَّ عليك ستجدني إن شاء اللهُ من الصالحين* قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ والله على ما نقول وكيل) [2].

ولما أتمَّ موسى لشعيب ما اتفقا عليه عاد إلى مصر حيث أهله هناك، فأنزل الله سبحانه وتعالى يكلف موسى بالرسالة والذهاب إلى فرعون وأهل مصر ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى وترك التجبر والطغيان في الأرض والتوقف عن استعباد بني إسرائيل، وأعطاه معجزات تدعم رسالته التي كُلِّف بها، وهي تحويل عصاه إلى أفعى، وأن يدخل يده في جيبه تخرج بيضاء من غير سوءٍ آية أخرى، وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يجعل معه أخاه هارون لمساعدته لأنه أصحُّ منه لساناً وأبلغ حجة وقولاً.

ودعا موسى فرعونَ مصر (رمسيس الثاني ١٣٠١-١٢٣٤ ق. م) [3] إلى توحيد الله وعبادته، فرفض فرعون مصر واستهزأ بموسى، وأدَّعى أنّ ما جاء به كان سحراً، ثم جمع

(١) انظر ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٩٩-١٠٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص٢٢٧-٢٢٩، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٧٠-١٧١.

(٢) سورة القصص: الآيات ٢٣-٢٨.

(٣) ويقال بأن ذلك كان في عهد مرنبتاح ابن رمسيس الثاني في الفترة من (١٢٣٤-١٢١٥ ق.م) / انظر الكتاب المقدس: سفر الخروج- الإصحاح ١٢(٣٧)، فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٣.

له أعظم السحرة في بلاده - وكان السحر منتشراً أنذاك انتشاراً واسعاً - ليُبطل ما جاء به موسى، ووعد السحرة بالجوائز والمنازل العالية إن أبطلوا سحر موسى، إلاّ أن الله سبحانه وتعالى ردَّ كيد فرعون وأظهر ما جاء به موسى من الحق وابطل سحرهم، مما حدا بالسحرة أن يؤمنوا بدعوة موسى، وهذا العمل جعل فرعون يَصبُّ غضبه عليهم، لأنهم أقدموا على هذا الأمر دون إذنٍ منه(1).

وقد وردت أخبار هذه الحادثة في كتاب الله العزيز في مواطن عديدة، قال تعالى: (إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري* إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعلَّه يتذكر أو يخشى*)(2)، غير أن فرعون لم يُصدِّق ما جاء به موسى، فكذّبه ورفض قبول دعوته، قال تعالى: (ولقد أرينه آياتنا كلها فكذَّب وأبي* قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى*)(3).

واستشار فرعون أعوانه ماذا يفعل بهذا الساحر، فأشاروا عليه أن يجمع أعظم السحرة في دولته، ففي كتاب الله العزيز:(قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم* يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون* قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين* يأتوك بكل سحّار عليم* فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) (4)، وقال تعالى: (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئِن لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين* قال نعم وإنكم إذاً لمن المقرَّبين* قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون* فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزّة فرعون إنا لنحن الغالبون* فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون* فأُلقي السحرة ساجدين* قالوا آمنا بربِّ العالمين* ربِّ موسى وهارون* قال ءامنتم له قبل أن آذن

(1) حول هذا أنظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج1 ص236-240، العليمي: الأنس الجليل، ج1 ص174-178.
(2) سورة طه: الآيات 42-44.
(3) سورة طه: الآيات 56-57.
(4) سورة الشعراء: الآيات 34-38.

لكم إنّه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خِلاف ولأصلبنكم أجمعين)[1].

هذه الأحداث دفعت موسى أن يخرج ببني إسرائيل ومن آمن معه من مصر، وكان ذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (وأوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي إنكم متّبعون)[2]، وخرج موسى وخرج معه من آمن من بني إسرائيل ومن آمن من القبط وغيرهم، وكان عددهم حوالي ستة آلاف شخص تقريباً[3]، وكان بين من آمن بدعوة موسى عليه السلام (آسيا) امرأة فرعون التي اقدم فرعون على قتلها، ونفر من القبط وجماعات قليلة من بقايا الهكسوس بالإضافة إلى السحرة الذين اقتنعوا بصحة الدعوة التي جاء بها موسى وهارون عليهما السلام.

ولما علم فرعون برحيل موسى نادى في جيشه، وتبع موسى بجنود لا قبل لموسى وبني إسرائيل بها، ولما اقتربوا من بني إسرائيل خافوا أن يقتلهم فرعون وجنوده وقالوا لموسى: يا موسى قد لحقنا فرعون وجنوده، فقال لهم موسى عليه السلام (كلاّ إن معي ربي سيهدين)[4]، فلما اقتربوا من البحر، أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى (أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرق كالطود العظيم)[5]، وصار في البحر (١٢) طريقاً لكل سبط من الأسباط طريق، فلما أقبل فرعون ورأى البحر يابساً لحق وجنوده بموسى حتى خرج موسى ومن معه، فأخذ البحر ينضمُّ بعضه على بعض، فأطبق على فرعون وجنوده[6]، ولما أيقنوا بالهلاك رغب فرعون بالإيمان من أجل النجاة، إلاّ أن ذلك

---

(١) سورة الشعراء: الآيات: ٤١-٤٩.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٥٢.

(٣) فيليب حتي: تاريخ سوريا: ج١ ص١٩٤، وفي كتب التاريخ أن عددهم يزيد على ستمائة ألف، وهذا رقم غير صحيح فكل من ذكره أخذ عن التوراة التي كانت أكثر معلوماتها مبنية على الوهم لا على الدقّة (انظر الكتاب المقدس/ سفر الخروج- الإصحاح ١٢ (٣٧).

(٤) سورة الشعراء: الآية ٦٢.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٦٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص١٠٦، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٨٢-١٨٣.

لم ينفعه: (ءالآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين)[1]، فأغرق الله فرعون وجنوده وجعلهم عبرة للأمم.

العبرانيون

تحدث الكثير من المؤرخين والكتاب عن العبرانيين، ونسبوهم إلى عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وعابر هو الجد السادس لإبراهيم عليه السلام[2]، وحسب روايات المؤرخين فإن العبرانيين جاؤا إلى فلسطين من بلاد الرافدين[3]، وهي الهجرة التي قدم فيها إبراهيم عليه السلام، وهم يعتبرون إبراهيم الجد الأكبر للعبرانيين[4]، وعشيرته وحدها هي التي حملت هذا الاسم[5].

والمتمعن في دراسة التاريخ يجد بأن كل هذه المسوغات لتسمية العبرانيين ليست صحيحة، فلا يمكن قبول النسبة إلى عابر ليكون جدّهم, ولا يمكن تصديق أن هذه التسمية كانت لعشيرة إبراهيم التي عبر بها من بلاد الرافدين إلى فلسطين، وذلك للأسباب التالية:

١-إذا قبلنا أن يكون العبرانيون من يتنسبون إلى عابر بن شالخ فهذا يعني أن كل أبناء عابر يمكن أن يحملوا هذا الاسم، فإن كانوا نسبوا إليه فكل أبنائه وأحفاده من بعده عبرانيون وليس أبناء إبراهيم عليه السلام وحدهم، وعلى هذا تكون جميع القبائل العربية من العبرانيين لأن عرب الشمال أبناء إسماعيل بن إبراهيم الذي ينتهي نسبه إلى عابر هذا، كما أن عرب الجنوب القحطانية هم أبناء قحطان بن عابر، ولم نسمع أو نعرف أن أحداً من هاتين المجموعتين ادّعى أنه عبراني أو ينتسب إلى العبرانيين ولم نسمع أن أحداً سماهم عبرانيين أيضاً، ولذلك فإن هذا الادعاء باطل والعبرانيون لم

---

(١) سورة يونس: الآية ٩١.

(٢) انظر المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٤٩-٥٢، ابن الأثير: الكامل، ج١ ص٥٣.

(٣) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٠.

(٤) انظر إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص٦٩.

(٥) أبكار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، عالم الكتب، القاهرة ص٤٢-٤٣.

يحملوا هذا الاسم لانتسابهم إلى عابر بن شالخ لأن الوحيدون الذين يحملون اسم العبرانيين هم اليهود.

٢-أما أن العبرانيين هم عشيرة إبراهيم وهم الذين عبر بهم إلى فلسطين يعني من بلاد الرافدين، فهذا زعم أيضاً ليس له سند صحيح، فلو قبلنا هذا الرأي لتوجب أن يكون جميع أبناء إبراهيم من بعده عبرانيون بما فيهم أبناء إسماعيل وهم عرب عدنانيون (عرب الشمال) بما فيهم بني قيدار والأنباط وغيرهم لأن هؤلاء من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهذا الأمر أيضاً مرفوض لأن أيّاً من عرب الشمال لم يحمل اسم عبراني ولم يطلق على أحدٍ منهم هذا الاسم ولم يسمهم أحدٌ به أيضاً.

٣-وهنا أقبل التشكيل الذي أشار إليه فيليب حتي عن العبرانيين عندما قال بأن الغموض يحيط ببدء وجود العبرانيين في سوريا والذي سُجِّل بشكل أسطوري تقليدي[١]، فهذا الغموض يجعل الحقيقة غير ما تحدث به المؤرخون من أن العبرانيين أبناء إبراهيم أو أبناء عابر بن شالخ، والحقيقة هي آن العبرانيين هم الذين عبروا مع موسى عليه السلام من مصر إلى فلسطين، سواءً أكانوا عبروا معه صحراء سيناء التي تاهوا فيها زمناً طويلاً، أو لأنهم عبروا معه البحر بعد أن انشق أمامهم وهم هاربون من فرعونِ، أو لأنهم عبروا نهر الأردن إلى فلسطين مع يوشع بعد وفاة موسى عليه السلام[٢].

ولهذا فإن العبرانيين لفظ لم يعرف قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، والعبرانيون هم اليهود الذين آمنوا بدعوة موسى، وخرجوا معه من مصر، وكان أكثرهم من بني إسرائيل الذين تعرضوا لاضطهاد الفراعنة في مصر، ومن آمن مع موسى من غير بني إسرائيل سواءً أكان من الأقباط أو السحرة الذين جمعهم فرعون لابطال سحر موسى

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩١.

(٢) خالد العك: القدس العربي، ص٧٤.

حسب إدعاء فرعون، ومن آمن من أهل مصر الآخرين، فهؤلاء جميعاً خرجوا مع موسى وعرفوا بالعبرانيين أو بني إسرائيل لأن أكثرهم من بني إسرائيل.

خروج بني إسرائيل مع موسى عليه السلام

ذكر فيليب حتي أن تاريخ بني إسرائيل الحقيقي يبدأ بخروجهم من مصر، وأن ذلك كان في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي بحدود سنة ١٢٣٠ ق.م، في عهد فرعون مصر مرنبتاح بن رعمسيس الثاني[١]، بينما تذاكر التوراة أنهم خرجوا زمن رعمسيس الثاني[٢].

وتختلف الروايات في عدد من خرج مع موسى عليه السلام من بني إسرائيل وغيرهم، فتذكر التوارة أنهم كانوا (٦٠٠,٠٠٠) راجل ما عدا النساء والأطفال، وكان معهم كثير من الأغراب[٣].

وتعطي كتب التاريخ نفس الرقم متأثرة برواية التوراة[٤]، إلاّ أن هذه الرواية لا تقترب من الحقيقة لأسباب كثيرة أهمها أنه لو توفرّ هذا العدد لموسى لكان بإمكانه أن يحارب به فرعون وقد يرغمه على احترام بني إسرائيل والتوقف عن نهب أموالهم، أو أن يدافعوا عن أنفسهم وهم خارجون من مصر بدل تخوفهم من أن يلحق بهم فرعون وجنوده خاصة وأن التوارة تذكر أنهم عندما خرجوا من مصر كانوا مجهَّزين للقتال[٥].

وربما كانت الرواية التي تجعل عددهم أقل من هذا العدد كثيراً أكثر قبولاً، فربما كان عددهم لا يتجاوز الستة آلاف شخص[٦]، وهو عدد مقبول ليتمكن من اجتياز الصحراء،

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٣، إبراهيم الشريقي: أرض منعان، ص٦٩، ١٠٣.

(٢) الكتاب المقدس: سفر الخروج/ الإصحاح ١٢(٣٧).

(٣) ن، م، سفر الخروج/ الإصحاح ١٢ (٣٧-٣٨).

(٤) انظر اليعقوبي: التاريخ، ج١ ص٦١، المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٥٧، ابن الأثير: الكامل، ج١ ص١٠٦، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٨٢.

(٥) الكتاب المقدس: سفر الخروج/ الإصحاح ١٣ (١٨).

(٦) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٤، محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١١٦، محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، ص٢٤.

بحيث تتوفر لهم حاجاتهم من الماء والطعام وغير ذلك من حاجات المسافر، أما العدد الاخر وهو (٦٠٠,٠٠٠) فلا يمكن أن يتوفر لهم الطعام الكافي والماء لاجتياز منطقة صعبة، لأن هذا العدد سيضاف إليه النساء والأطفال فقد يصل العدد إلى حوالي المليوني إنسان، وهذا أمر مستبعد.

وبعد أن نجّى الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل من فرعون وجنوده تبدأ مشكلة موسى مع بني إسرائيل ويبدأ فصل طويل من المعاناة والإجهاد، فبعد أن خرج بنو إسرائيل مع موسى على أنهم آمنوا بدعوته، ويفترض أن يكونوا أصحابه الذين يطيعوه، فيعبدوا الله ويوحّدوه، ويدخلوا مع موسى من حيث أمره الله أن يتوجه بهم، إلاّ أنهم رفضوا الإيمان بدعوته وتجبّروا وعصوا موسى.

فالأمر الأول هو أنهم بعد أن نجاهّم الله من فرعون مرّوا على قوم يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة كتلك الأصنام، (قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)[1] فتركوا ذلك بعد تأنيب موسى لهم على هذا الطلب.

ثم طلبوا من موسى أن يأتيهم بالكتاب الذي وعدهم، فسأل موسى ربّه ذلك فأمره الله سبحانه وتعالى أن يتطهر ويصوم ثلاثين يوماً ويأتي جبل طور سيناء، ففعل موسى ما أمره الله، واستخلف على قومه أخاه هارون، وفي غيبته أضلهم السامري الذي جاءهم بعجل له خوار فعبدوه، ولما طلب منهم هارون ترك عبادته ونهاهم أطاعه بعضهم وعصاه آخرون[2] (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى)[3]، فلما رجع إليهم موسى ومعه التوراة فيها أمر الله تعالى أبوا أن يقبلوا منه وأن يعملوا بما جاء فيها.

ويعث موسى اثني عشر رجلاً من بني إسرائيل إلى فلسطين ليستطلعوا خبرها، فلما عادوا أخبروا أن فيها قوماً جبارين، ومع أن الله سبحانه وتعالى وعد موسى بأن يدخلوا

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص١٠٧، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٨٣-١٨٤.

(٣) سورة طه: الآية ٩١.

هذه الأرض إلاّ أنهم رفضوا ذلك وقالوا له بأنهم لن يدخلوها حتى يخرج أهلها[1]، قال تعالى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين* قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون)[2].

وحاول موسى معهم وتردد عليهم ليدخلوا معه إلى الأرض المقدسة، وبين لهم أن الله سبحانه وتعالى سَيُسَهّل عليهم دخولها إن أطاعوا وسمعوا قوله، إلاّ أن خوفهم من أهل فلسطين (الكنعانيين) الذين أطلقوا عليهم اسم الجبارين جْعلهم يرفضون طاعته ودخولها حتى وصل بهم الأمر أن طلبوا منه أن يذهب ليقاتل هو وربّه حتى يخرجوا الجبارين منها قبل أن يدخلوا إليها (قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون* قال ربّ إني لا أملك إلاّ نفسي وأخي فافرُق بيننا وبين القوم الفاسقين)[3].

وكانت النتيجة أن عاقبهم الله سبحانه وتعالى على هذا العصيان والتمرد بأن جعلهم يتيهون في الأرض (في صحراء سيناء) أربعين سنة قبل أن يدخلوا الأرض المقدسة[4] (قال فإنها محرَّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين)[5].

ولما كانت الأرض قفراً قليلة الماء قليلة النبات، تخوف موسى من قِلَّة الطعام فأنزل الله عليهم المن والسلوى[6]، قال تعالى: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن

---

(١) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٨٩-١٩٠.

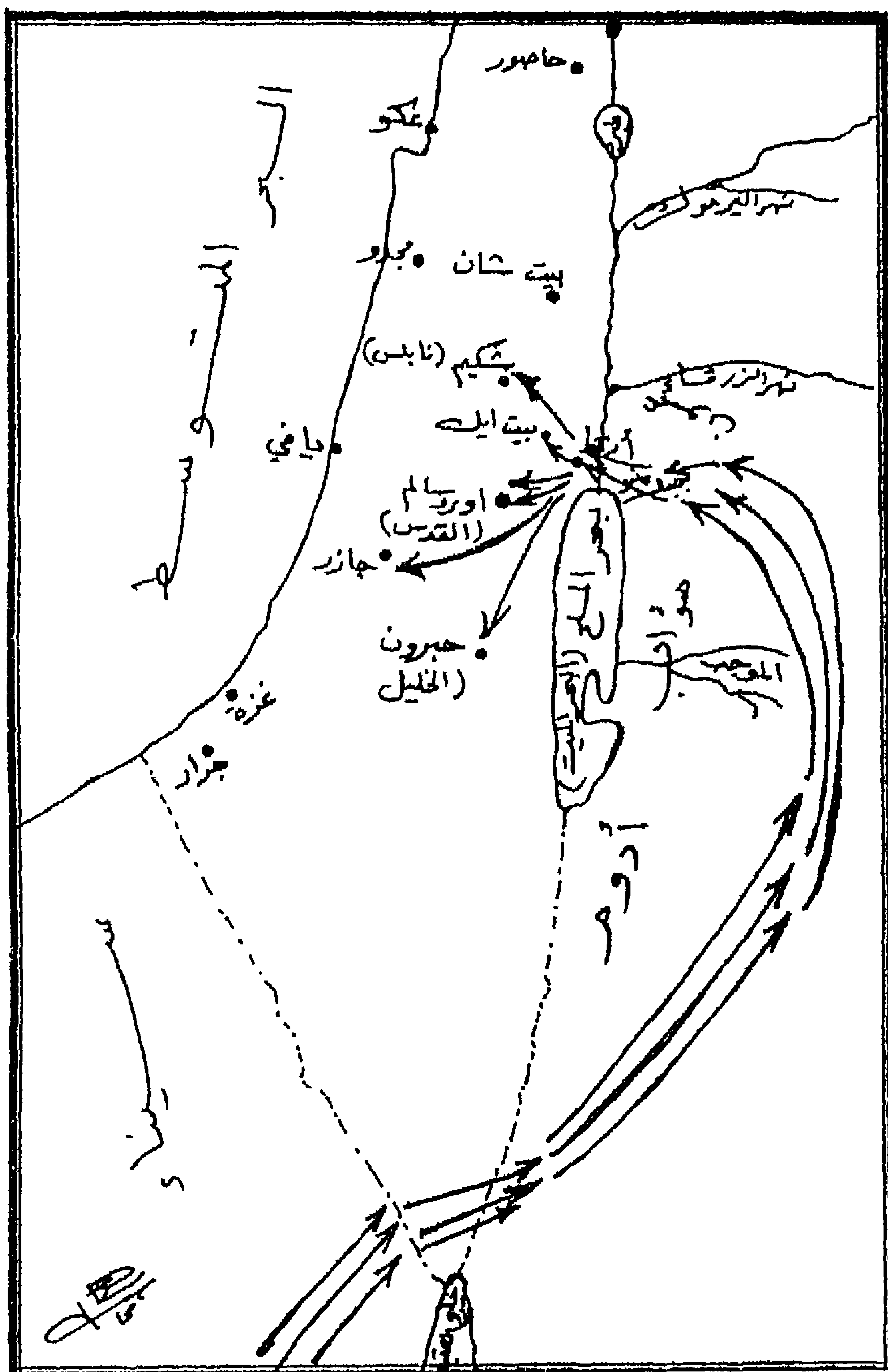
(٢) سورة المائدة: الآيات: ٢١-٢٢.

(٣) سورة المائدة: الآيات ٢٤-٢٥.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص٢٦٢، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٩٠، هار في بورتر: مختصر التاريخ، ص١١٩-١٢٠.

(٥) سورة المائدة: الآية ٢٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص١١٠، والمن طعام كالصمغ طعمه كالشهد والسلوى طائر يشبه السماني (انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٩١-٩٣).



عبور بني إسرائيل من مصر إلى فلسطين

والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[1]، وضرب موسى بعصاه الحجر فتفجرت منه الماء يشربوا منها جميعاً قال تعالى: (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم، كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)[2].

ولم يكتفِ بنو إسرائيل بما أنعم الله عليهم وما رزقهم من طعام وشراب وأخذوا يطلبون من موسى أن يدعوا ربه بأن يرزقهم أطعمة كثيرة، قال تعالى: (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحدٍ فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضبٍ من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)[3].

وهذا يشير إلى أن بني إسرائيل نتيجة عصيانهم وبطرهم لم يقبلوا بالطعام الطيب اللذيذ، وطالبوا موسى أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن ينبت لهم في الأرض من أنواع الطعام التي يعرفوها، ولما كانت هذه أطعمة تتوفر في أي بلد من القثاء والفوم (أو الثوم) والبصل والعدس، قال لهم موسى اهبطوا مصراً أي اذهبوا إلى مصر وهي أرض فرعون أو إلى أي بلد آخر ستجدوا هذه الأطعمة لأنها ليست أطعمة عزيزة كالطعام الذي منحكم الله سبحانه، لذلك جاء قوله لهم (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) توبيخاً لهم على استبدال طعام من ألذ وأطيب ما يجد الإنسان بل أطيب من كل ما يجد في هذه الأرض بطعام يتوفر في معظم البلاد، فكان ذلك بطراً منهم[4].

توفي هارون خلال هذه الرحلة وبقي موسى مع بني إسرائيل يقودهم لدخول فلسطين وتعب موسى كثيراً من بني إسرائيل الذين عصوا ولم يطيعوا أمره ولا أخذوا بما

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٤) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٩٧.

جاء به من عند الله، حتى هلك الجيل الذي خرج مع موسى وحل محلّه الجيل الذي ولد خلال هذه الرحلة الطويلة، ولما لم يتمكن بنوا إسرائيل دخول فلسطين (أرض كنعان) من الجنوب مرَّ بهم موسى من منطقة شرق الأردن على أرض آدوم ومؤاب، لكنهم تجنبوا هذه الممالك ومرّوا من المنطقة الفارغة حتى لا يصدموا بهم[1]، وانتهى بهم الأمر إلى منطقة مادبا شرقي الأردن.

احتلال فلسطين

توفي موسى عليه السلام قبل دخول فلسطين وكان قد استخلف يوشع بن نون على بني إسرائيل[2]، ويقال بأنه مات على جبل نبو وكان عمره (١٢٠) عاماً.

وخطط يوشع للدخول ببني إسرائيل إلى أرض كنعان بكافة الوسائل الممكنة، وكانت مدينة أريحا أول المدن التي سيدخلها بني إسرائيل لأنها كانت أقرب مدن فلسطين إليهم، وهنا تتحدث التوراة عما فعله بنو إسرائيل في مدينة أريحا من القتل والتنكيل والتدمير، ففي سفر يوشع أنهم قتلوا بحدّ السيف جميع ما في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، حتى البقر والغنم والحمير، وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلاّ الذهب والفضّة وآنية النحاس والحديد[3]، وكان دخولهم أريحا حوالي سنة ١١٩٠ ق. م.

بعد ذلك حاول بنو إسرائيل الوصول إلى مدينة القدس إلاّ أنهم فشلوا، وهاجموا مدينة عاي إلى الشرق من بيت إيل على طريق القدس وتعرضوا للهزيمة أول الأمر، إلاّ أن يوشع حاول دخولها مرات عديدة حتى دخلها، وفعل فيها كما فعل بأريحا[4].

كانت القدس في هذه الفترة تعرف باسم (يبوس) نسبة إلى سكانها اليبوسيين، وهم إحدى القبائل الكنعانية، وحاكمها (عبد حيبا)، الذي كتب إلى فرعون مصر يستنجد به

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٤.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص١٩٧، الكتاب المقدس: سفر التثنية/ الإصحاح ٣١(٢-٧).

(٣) الكتاب المقدس: سفر يشوع/ الإصحاح ٦ (٢١، ٢٤).

(٤) الكتاب المقدس: سفر يشوع/ الإصحاح ٧(٤-٥)، ٨ (٢٤-٢٨)، محمد أديب العامريك عروبة فلسطين، ص١٢١.

حينما بدأ العبرانيون بمهاجمة فلسطين، إلاّ أنه لم يحصل على النجدة من امنحوتب الرابع (أخناتون) الذي كان مشغولاً بديانة التوحيد في هذه الآونة[1].

وقام بنو إسرائيل بمحاولات عديدة لدخول مدينة القدس بعد ذلك إلاّ أنهم فشلوا على الرغم من أن الروايات التوراتية تذكر أنهم هزموا ملوك الحثيين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين[2]، وهو أمر لا يوثق به لأنه لو صدَّقنا بهذا فيفترض أن يكون بني إسرائيل سيطروا في عهد يوشع على أرض كنعان بأسرها والصحيح أنهم لم يتمكنوا من السيطرة إلاّ على الأجزاء الوسطى من أرض كنعان، ومع هذا لم يتمكنوا من دخول مدينة القدس أهم المدن الكنعانية.

وكما صمدت مدينة القدس، صمدت المدن الشمالية في فلسطين أمام هجمات بني إسرائيل وقاومت مدن مجدو وجازر وبيسان كل الهجمات العبرانية، كما صمدت في الجنوب المدن الساحلية التي كان يقيم بها الفلسطينيون وهي مدن غزة وجت وأسدود وقاوم الفلسطينيون مع الكنعانيين الغزو العبراني ومنعوهم من دخول هذه المدن، كما حرمت مدن عكا وصور وصيدا العبرانيين من دخولها لمدة قرن ونصف من الزمان[3].

تأسيس المملكة العبرانية في فلسطين

أ-عهد القضاة:

وبعد وفاة يوشع زحف يهوذا ببني إسرائيل على مدينة القدس، إلاّ أنه فشل في إخضاعها، وامر جيشه إحراق القدس انتقاماً من أهلها، ثم توجه جنوباً إلى الخليل

---

(١) محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١٢٢.

(٢) الكتاب المقدس: سفر يشوع/ الإصحاح ٩ (١-٢)، وتذكر الروايات أنهم قتلوا أدوني صادق ملك القدس وافرام ملوك يره ويافع ملك لخيش وهوهام ملك الخليل ودبيرو ملك عجلون (انظر إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١٠٩.

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١٠٩.

(حبرون) فاحتلها، وقتل عدداً كبيراً من سكانها[١]، ثم زحفوا إلى المدن الساحلية فاستبسل أهلها ولم يتمكن العبرانيون من دخولها.

بعد ذلك اضطربت أحوال بني إسرائيل وتفشى بينهم الفساد واتخذوا أصناماً آلهة لهم، فتمكن الكنعانيون من استعادة بعض المدن التي احتلها العبرانيون في عهد يوشع، وتعرّضوا للإذلال من قبل ملوك كنعان وشرق الأردن[٢]، وهنا استنجد بنو إسرائيل بالقضاة لتخليصهم مما وصلوا إليه وحكم القضاة بني إسرائيل من وفاة يوشع إلى أيام داؤد عليه السلام (أواخر القرن ١٢ والقرن ١١ ق. م).

والقضاة هم رؤساء وقادة تولوا قيادة بني إسرائيل في الحرب لدفع المعتدين عنهم، ولم يكونوا قضاة ولا ملوكاً، وكان إذا مات أحد القضاة لا يقيمون قاضياً مكانه إلى أن يقعوا في الشر ويتعرضوا للاستعباد والإذلال فيلجأوا إلى من يقودهم، وكان أكثر قضاتهم من سبطين هما سبط اللاويين وسبط منسي، وأشهر قضاتهم **دبورة** العبرانية التي تروي التوارة بأنها خلصتهم من ملك كنعان بمساعدة باراق[٣].

ومن القضاة جدعون وهو من سبط منسي وخلّص بني إسرائيل من قبضة المديانيين الذين كانوا يغيرون عليهم فلا يبقون لهم لا قوتاً ولا غنماً ولا بقراً[٤]. وكان المديانيون في غزوهم بني إسرائيل استخدموا الجمل المدجّن لأول مرّة، وهو أسلوب حرب جديد ساعدهم على الانتصار[٥]، ومنهم أيضاً شمشون بن ممنوح وهو من سبط دان، خلصهم من قبضة الفلسطينيين الذين استعبدوهم أربعين سنة[٦].

---

(١) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١١٠.

(٢) انظر الكتاب المقدس: سفر القضاة/ الإصحاح ٢،٣. بورتر: مختصر التاريخ، ص١٢٤، إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١١٠-١١١.

(٣) الكتاب المقدس: سفر القضاة/ الإصحاح ٤، ٥، فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٥.

(٤) الكتاب المقدس: سفر القضاة/ الإصحاح ٦، ٧.

(٥) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ج١ ص١٩٦.

(٦) الكتاب المقدس: سفر القضاة/ الإصحاح ١٣، ١٤، ١٥.

وانتهى عهد القضاة بتولي **طالوت** ملكاً على بني إسرائيل[١]، وهو الذي تسميه التوراة (**شاؤل**)[٢]، وذلك سنة ١٠٢٥ ق. م، وتذكر التوراة أن صموئيل الأول هو الذي اختار شاؤل ليكون ملكاً على بني إسرائيل[٣]، وكان يعاصر جالوت ملك الكنعانيين.

ولما طلب طالوت من بني إسرائيل المسير معه لمحاربة أعدائهم وامتحنهم الله فمنعم أن يشربوا من النهر إلاّ من اغترف غرفة بيده، فلم يلتزم إلاّ عدد قليل منهم بذلك، وقالوا عندما رأوا جالوت وجنوده لا طاقة لنا بهم، ووردت الإشارة إلى هذه القصة في القرآن الكريم (فلما فصل طالوت بالجنود قال إنَّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني، إلاّ من اغترف غرفة بيده، فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين)[٤].

ولم يثبت مع طالوت غير فئة قليلة مؤمنة فنصرهم الله وقتل داود جالوت بالمقلاع في هذه المعركة[٥]، وكان داؤد صغيراً، فزوجه طالوت ابنته ثم انتهى ملك بني إسرائيل إلى داؤد عليه السلام، قال تعالى: (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء)[٦]، واتخذ داؤد مدينة الخليل مقرّاً له بعد موت طالوت سنة ١٠٠٤ ق. م، وعمل على توحيد بني إسرائيل الذين كانوا منقسمين على أنفسهم قبل ذلك، واجتمع له الملك والنبوّة[٧].

---

(١) صموئيل أحد أنبياء إسرائيل وهو الذي اختار لهم طالوت ليكون ملكاً (انظر ابن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، باريز ١٩٠٣م، ج٣ ص٩٨، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٢٠٣، الكتاب المقدس: سفر صموئيل الأول/ الإصحاح ١٠.

(٢) الكتاب المقدس: سفر صموئيل الأول/ الإصحاح ٩.

(٣) ن. م، الإصحاح ٩(١٦، ١٧)، ١٠(١، ١٧-٢٤).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٨٦، محسن محمد صالح: الطريق إلى القدس ص٢٧.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٧) المقدسي: البدء والتاريخ، ج٣ ص١٠٠-١٠١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢ ص٩.

ب-المملكة العبرانية:

يعتبر داؤد عليه السلام المؤسس الحقيقي لمملكة بني إسرائيل في أرض كنعان، فقد تمكن عليه السلام من توسيع حدود الدولة التي تولى ملكها، فبدأ بتخليص بني إسرائيل من سيطرة الفلسطينيين، وأخضع ممالك آدوم ومؤاب وعمون لحكمه[١].

بعد ذلك توجه داؤد إلى المدينة المقدسة وقد فشل بنو إسرائيل من دخولها طوال الفترة السابقة التي زادت على القرنين من الزمان، فتمكن من دخولها وجعلها عاصمة له[٢] سنة ٩٩٧ ق. م.

ورزق الله سبحانه وتعالى داؤد عليه السلام العلم والحكمة وأنزل عليه كتاباً مقدساً هو الزبور، وكان ملكاً قوياً محارباً من الطراز الأول، وآلان الله له الحديد فتعلم صناعة الدروع وكان أول من عملها[٣]، قال تعالى: (ولقد ءاتينا داؤد منا فضلاً يا جبال أوّبي معه. والطيرَ وألنّا له الحديد أن أعمل سابغات وقدّر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير)[٤]، وذكرت كتب التاريخ أن الله سبحانه وتعالى جعل الحديد بين يديه كالشمع أو كالعجين يشكله كما يشاء دون حاجة إلى صهره في النار، وكانت هذه إحدى المعجزات التي أعطيت لداؤد عليه السلام.

وتمكن بنو إسرائيل في زمن داؤد من السيطرة على معظم فلسطين خاصة المناطق الجبلية، أما المناطق الساحلية فلم يتمكنوا من السيطرة عليها[٥]، وامتدت مملكته شمالاً حتى دمشق وأجبر ملكها على دفع الجزية، وتوفي داؤد بعد أن حكم مدينة القدس أربعين سنة وامتد ملكه من ١٠٠٤- ٩٦٣ ق. م.

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٢٠٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص١٢٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢ ص١٠.

(٤) سورة سبأ: الآيات ١٠-١١.

(٥) ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، دار النفائس، بيروت ١٩٨٤م، ص٣٥.

ثم جاء بعده ابنه سليمان عليه السلام وتولى ملك بني إسرائيل فيما بين عامي (٩٦٣-٩٢٣ق. م)، فوهبه الله الملك والنبوّة، وكان سأل الله سبحانه أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فاستجاب له، وسخّر له الإنس والجنّ والطير والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الإنس والجن حتى يجلس[١]، وذكرت قصة سليمان في القرآن الكريم قال تعالى: (وحُشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون حتى إذا أتوا على وادِ النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمانُ وجنوده وهم لا يشعرون)[٢].

وعلَّمه الله سبحانه منطق الطير أي لغة الطيور، والحيوانات، حتى كانت له قصة مع النملة وقصة مع الهدهد وقصة مع بلقيس مكلة سبأ، وهي بلقيس ابنة الهدهاد (انيشرح)، التي أرسل إليها الهدهد يدعوها إلى الإسلام وانتهى الأمر بإسلامها[٣]، وَورد ذكر لقصة بلقيس في القرآن الكريم، قال تعالى: (فمكث غير بعيد فقال: أحطت بما لم تحط به وجئتك من سباءٍ بنبأٍ يقين* إني وجدت امرأةً تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم)[٤].

واتصف عهد سليمان بالتطور والعمران واستخراج النحاس والحديد من أرض آدوم حيث أقيم معمل لصهر المعادن، وكان أكثر عماله من الكنعانيين والفينيقيين الماهرين في هذه الصناعة، ومنهم تعلَّم بنوا إسرائيل استخراج المعادن وصهرها[٥].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص١٢٨: ابن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج٣ ص١٠٦.

(٢) سورة النمل: الآيات ١٧-١٨.

(٣) حول قصة بلقيس انظر ابن الأثير: الكامل، ج١ ص١٣٢-١٣٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢ ص١٩-٢٤، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٢٣٠-٢٤٦.

(٤) سورة النمل الآيات ٢٢-٢٣.

(٥) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١٢٣.

ج-الهيكل المزعوم؟

لقد كثر الحديث عن هيكل سليمان الذي يزعم اليهود أنه أقامه في مدينة بيت المقدس ويعتبرون مكانه تحت بناء المسجد الأقصى المبارك، حتى أن كثيرا من المؤرخين العرب والمسلمين تحدثوا عن هذا الموضوع واعتبروه حقيقة.

وإنني لأعجب من أمرٍ كهذا يحدث ولا يرد له ذكر في القرآن الكريم، مع أن القرآن الكريم تحدث عن داؤد وسليمان وأكثر أعمالهما حتى التي تبدوا اقلّ أهمية بكثير من موضوع الهيكل كما تصفه الروايات المزعومة حتى عند مؤرخي العرب أو المسلمين، فقد وردت إشارات إلى أمور كثيرة من عهدي داؤد وسليمان وكان مؤرخو المسلمين يستشهدون على هذه الأحداث والأعمال بآيات من القرآن الكريم، إلاّ أنهم عندما تحدثوا عن الهيكل نجد أن حديثهم خلا من الاستشهاد بآية تشير إلى هذا البناء المزعوم[1].

والأمر الثاني أن أكثر روايات المؤرخين في هذا الموضوع مستمدة من التوارة وكُتبت التوراة في فترة لاحقة لظهور بني إسرائيل في فلسطين بأكثر من سبعة قرون، وكثير منها تم تدوينه بعد سبي اليهود، لذلك جاءت كثير من موضوعاتها لتربطهم بأرض كنعان (فلسطين) وبشكل خاص ربطاً دينياً، ليجدوا لهم مُسوّغاً يعيدهم إلى فلسطين، والروايات التوراتية في هذا الموضوع غير موثوقة.

الأمر الثالث هو أن من آمن بدعوة داؤد أو بدعوة سليمان لعبادة الله لم يكن كل بني إسرائيل الموجودون في أرض كنعان، ففي جميع المراحل منذ خروج بني إسرائيل مع موسى وحتى عهد سليمان الذي يزعمون أنه بنى لهم هيكلاً لم يتفق بنوا إسرائيل مع أنبيائهم حتى في أصعب الظروف بالنسبة لهم، وإنما كانوا يخالفون، ومن كان يتبع الأنبياء

---

(١) انظر مثلاً حديث العليمي عن هذا البناء والذي لم يطلق عليه اسم الهيكل وإنما اسم المسجد واعتبره المسجد الأقصى لأن سليمان كان نبي الله يدعو لعبادته، لذلك إذا بنى فإنه يقيم بيتاً للصلاة ولا يقيم غير ذلك أما الهيكل المزعوم فهم يدعون أنه أقيم للرب يهوه، فقد نصبوا آلهة لهم وكانت آلهتهم غير إله سليمان الذي هو الله سبحانه وتعالى/ (انظر عن البناء الأنس الجليل، ج١ ص٢١٩ وما بعدها).

كانوا أقلة، فإذا قبلنا أن داؤد أو سليمان بنى معبداً فإن هذا المعبد لم يكن لجميع اليهود وإنما لطائفة منهم وهم اتباع سليمان النبي الموحد الداعي لعبادة الله، فسليمان كان دائماً يدعو إلى الإسلام، فلما دعا بلقيس وقومها سبأ دعا إلى الإسلام قالت (قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم* ألاّ تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين)[1]، وإذا كان سليمان أقام معبداً لأتباعه المسلمين للصلاة فيه فلن يكون ضخماً كما تصوره الروايات ولن يحتاج إلى سبع سنين من البناء وآلاف مؤلفة من العمال والمهندسين لإنشائه، لتصلي فيه أعدادٌ قليلة، كما انه إذا بنى فلن يبنى هيكلاً لأن هذا اتهام لنبي الله بالشرك، وإذا بني فسوف يبني مسجداً لا هيكلاً.

والأمر الرابع هو أن كثيراً من اليهود لا يعترفون بهيكل في القدس وإنما يعتقدون بأن معبدهم في مكان آخر، فطائفة السامرة اليهودية تعتقد بأن هيكلها بُني فوق جبل جرزيم في مدينة نابلس، ومجموعة أخرى تعتقد أن معبدها أقيم في قرية (بيتين) شمالي القدس، ومجموعة ثالثة تعتقد أن هيكلها أقيم في منطقة تل القاضي (دان)، والمعبدان الأخيران من بناء الملك (يربعام) أول ملوك مملكة إسرائيل[2]، وعلى هذا تكون لليهود أربعة هياكل فأيها سيكون هيكلاً حقيقياً؟ ما نجد له دليلاً على وجوده، أم ما يزعمونه ولا يوجد دليل واحد مادي عليه؟

والأمر الخامس هو أن المواصفات التي أوردتها التوراة وأخذت عنها الكتابات الأخرى لا تنطبق على الاطلاق مع أي مبنى من مباني الحرم القدسي الشريف ولا مع الآثار والمباني التي عثر عليها المنقبون في جميع مناطق القدس[3].

وأخيراً إذا سلمنا وهذا هو الأقرب إلى التصديق أن داؤد وابنه سليمان من بعده عملا على إقامة معبد (مسجد) للصلاة وتوحيد الله، فإن هذا المسجد سيكون لمن يؤمن بالله من المسلمين لأداء صلاتهم فيه، ولا حق لمن يتخذ آلهة غير الله فيه كما فعل اليهود

---

(١) سورة النمل: الآيات ٢٩-٣١.

(٢) الدباغ: بلادنا فلسطين ج١ قسم١ ص٥٦٠-٥٦١.

(٣) وانظر خالد محمد غازي: القدس، ص٣٤.

الذين تركوا دين أنبيائهم فعبدوا الأوثان واتخذوا آلهة أصناماً وصنعوا لها تماثيل وهذا حدث في جميع المراحل التي عاشها بنو إسرائيل مع أنبيائهم حتى في هجرتهم مع موسى عليه السلام، لذلك كان الله سبحانه وتعالى يعاقبهم على طغيانهم وكفرهم، فلاحق لهم في مساجد داؤد وسليمان التي أقاموها لتوحيد الله عزّ وجلّ، وإنما الحق فيها لأتباعهم المؤمنين، وكان داؤد يصلي لله تعالى وكانت صلاته نموذجاً لصلاة المؤمن الصادق، فورد عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داؤد، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داؤد عليه السلام[1].

هذا إضافة إلى أن بعض المؤرخين أشار إلى أن البناء الذي أقامه سليمان في بيت المقدس هو المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، فلما أتّمه بنى لنفسه بيتاً في الموضع الذي فيه الآن كنيسة القيامة[2].

وتذكر دائرة المعارف البريطانية أنه لا يوجد ما يؤكد أن الهيكل كان موجوداً في حرم المسجد الأقصى، فتيطس عندما هدم المدينة سنة ٧٠م أدى عمله إلى طمس كافة معالمها، لذلك فإن البحث عن الهيكل عبث في عبث[3].

د- انقسام المملكة العبرانية

وفي أواخر عهد سليمان الذي لم يدم أكثر من أربعين سنة، ثار عليه الكنعانيون بقيادة ملك جازر، ولما فشل في القضاء على الثورة استنجد بفرعون مصر سثيشاق الأول، فقام الأخير بحملة عسكرية على فلسطين فاستولى على جازر وأحرقها، وكان ذلك مقدمة للسيطرة على فلسطين ودخول مدينة القدس[4].

---

(١) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص٣١، البداية والنهاية، ج٢ ص١٠.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٦٥.

(٣) انظر: Ency clopaedia of Britanniea, London 1963, vol 13, p6. ، محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١٥٠.

(٤) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم١، ص٥٦٢، بورتر: مختصر التاريخ، ص١٣٥.

وتوفي سليمان سنة ٩٢٣ ق. م وتكون بذلك دولة بني إسرائيل قد عاشت موحدة ما يقارب الثمانين عاماً وهي فترة حكم داؤد وسليمان عليهما السلام.

وبعد وفاة سليمان انقسم الأسباط إلى قسمين متصارعين على الحكم، فمن كان يسكن المناطق الشمالية منهم كانوا أغنى من غيرهم، وتأثروا بطقوس الديانة الكنعانية فعبدوا (ايل) إله الكنعانيين وتركوا عبادة يهوه إله إسرائيل[١]، ورفض هؤلاء الاعتراف برحبعام بن سليمان ملكاً عليهم واختاروا يربعام بن نابـاط ملكاً على إسرائيل التي أصبحت مملكة مستقلة في الشمال وجعلت نابلس (شكيم) عاصمة لها، وكان هؤلاء عشرة أسباط[٢].

أما السبطين الآخرين فجعلوا رحبعام بن سليمان ملكاً عليهم وكانت عاصمتهم مدينة القدس (أورشيلم)، وفي عهد رحبعام تعرضت القدس لغزو شيشاق فرعون مصر ودخلها سنة (٩٢٠ ق، م) فخرب المدينة ونهب كنوز الهيكل والقصر[٣].

أ. مملكة إسرائيل:

وامتد حكمها في الشمال ما بين ٩٢٣- ٧٢١ ق. م، وحاولت التوسع شمالاً على حساب الآموريين، إلاّ أن ظهور الآشوريين أوقف توسعهم حيث قام سرجون الثاني بحملة على إسرائيل فدخل عاصمتها السامرة وسبى رجالها إلى ميديا (أشور)[٤]، وبهذا زالت مملكة إسرائيل الشمالية.

ب-مملكة يهوذا:

وامتد حكمها من ٩٢٣- ٥٨٦ ق. م، تعرضت لغزو شيشاق في عهد رحبعام ودخلها سنة ٩٢٠ ق. م، وعندما غزا سرجون الثاني مملكة إسرائيل دفعت له يهوذا

---

(١) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١٢٩.

(٢) الكتاب المقدس: سفر الملوك الأول / الإصحاح ١٢، ١٣.

(٣) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٢١٥، وانظر، أسماء عبد الهادي الفاعور: فلسطين والمزاعم اليهودية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٥م، ص٣٥.

(٤) الكتاب المقدس: سفر الملوك الثاني / الإصحاح ١٧ (٦).

الجزية، وبقيت عرضة لغزوات المصريين تارة والبابليين تارة أخرى إلى أن غزاها **نبوخذ نصر الكلداني** (البابلي) في عهد **يهوياكين** (٥٩٨-٥٩٧ ق. م)، وأخذ الملك وعائلته ورؤساء اليهود مع حوالي عشرة آلاف من سكانها فسباهم إلى بابل وهو ما يعرف **بالسبي البابلي الأول**[١].

وعين نبوخذ نصر على يهوذا ملكاً وقطع له عهداً بالولاء التام، لكنه عاد وثار على البابليين، فعاد إليه نبوخذ نصر وحاصر مدينة القدس وأخذ ملكها صيدقياً أسيراً ودمر المدينة وغنم ما فيها، وأخذ من اليهود أربعين ألفاً وسباهم إلى بابل وهو ما عرف **بالسبي البابلي الثاني** وكان ذلك سنة ٥٨٦ ق. م، وبذلك انتهت مملكة يهوذا[٢].

هـ- بنو إسرائيل يتعلمون الحضارة الكنعانية

كان بنو إسرائيل في مصر قد امتلكوا الكثير من الأراضي وأتقنوا الزراعة وعملوا فيها، إلاّ أن الجيل الذي برع في هذا العمل توفي خلال رحلة الضياع التي تعرَّض لها بنوا إسرائيل بعد خروجهم من مصر، وكان الجيل الذي جاء بعدهم وهو جيل ولد على طريق التيه الإسرائيلي لا يتقن شيئاً، ويعيش حياة بدوية متنقلاً في الصحراء، بيوته الخيام، ولباسه من جلود الحيوانات.

ولما دخلوا أرض كنعان تعلموا من أهل البلاد بناء البيوت والسكن فيها، وأقاموا في المدن الكنعانية بعد أن كانوا متنقلين، وبذلك انتقلوا من حياة الرعي إلى المدنية[٣].

وتعلم العبرانيون من الكنعانيين الزراعة والصناعات المنزلية كالغزل والنسيج، فأرض كنعان كانت أرض زراعية عرفت زراعة الزيتون وكروم العنب والتين والرمان، كما كانت أرض حنطة وشعير وهذا باعتراف التوراة[٤]، وكانت للقمح أهمية كبيرة لأنه

---

(١) محسن محمد صالح: الطريق إلى القدس ص٣٣.

(٢) الكتاب المقدس: سفر الملوك الثاني / الإصحاح ٢٥ (١٨-٢١).

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١١٢.

(٤) الكتاب المقدس: التثنية/ الإصحاح ٨ (٨).

الغذاء الرئيسي، فعرفوا طحن الحبوب وصناعة الخبز عن طريق التنور، وعرفوا عصر الزيتون، واقتبس العبرانيون المصباح الكنعاني الذي استعمل فيه زيت الزيتون للإضاءة واستخدموه سبعة قرون قبل أن يستوردوا المصابيح من بلاد الرافدين حوالي سنة ٥٠٠ ق. م.(١).

وتعلموا صناعة الثياب، وكانت ثيابهم وحليهم وخزفهم تتبع الأساليب والأزياء الكنعانية، فكانوا ينسجون الملابس من الصوف والكتان حيث كان يزرع الكتان في مناطق من فلسطين خاصة في أريحا قبل قدوم العبرانيين إليها(٢).

ومن الأمور التي تعلمها بنو إسرائيل في أرض كنعان طقوس العبادة والطواف والعزف على الآلات الموسيقية والغناء والاحتفال بالأعياد والرقص أمام تابوت العهد وهي أمور كان يستخدمها الكنعانيون في طقوسهم، ثم اقتبسها العبرانيون عنهم(٣)، وصاروا يرقصون أمام تابوت العهد.

فطقوس الهيكل تستدعي العزف على الآلات الموسيقية، حيث كانوا يغنون على أنغام الصُّنوج والرَّباب والقيثارات(٤)، وكانت الأغاني ترافق الموسيقى، ومن أقدم الأغاني أغنية دبورة التي تذكر انتصاراً لبني إسرائيل على الكنعانيين(٥).

وتعلَّم العبرانيون اللغة الكنعانية، ثم اشتقوا لغتهم منها ومن لغات أخرى هي الآرامية والسريانية الكلدانية(٦)، فالأسفار الأولى من التوارة كتبت باللغة الآرامية.

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٢٢٦.

(٢) ن، م، ج١ ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١١٣.

(٤) الكتاب المقدس: سفر الأيام الأول/ الإصحاح ٢٥ (١، ٦).

(٥) الكتاب المقدس: سفر القضاة/ الإصحاح ٥ (٢-٣١)، فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج٢ ص٢٢٤.

(٦) فيليب حتي: تاريخ سوريا،ج١ ص١١٣.

الفصل الرابع

القدس محط أنظار الشعوب والأمم

١. الآشوريون

٢. البابليون

٣. الفرس

٤. اليونان

٥. الثورة المكابية

٦. الرومان

٧. بناء الكنائس في مدينة القدس

الآشوريون

بدأ الغزو الآشوري لفلسطين منذ عهد ملكهم شلما نصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م)، وقاموا بغزوها عدَّة مرّات[1]، وحدث تفاهم بين الملك الآشوري تجلات بيلاصر الثالث خليفة شلمانصر وبين آحازبن يوثام ملك يهوذا على أن يقوم الآشوريون بضرب إسرائيل والقضاء عليها في الشمال لقاء كميات كبيرة من الذهب والفضّة[2]، إلاّ أن أكثر محاولات الآشوريين لم تكن ناجحة.

أما أكبر العمليات الموجهة ضد إسرائيل فكانت على يد سرجون الآشوري الذي دمّر حصون السامرة واستولى عليها سنة ٧٢١ ق. م فقضى على مملكة إسرائيل ورحّل أهلها من اليهود إلى الخابور وحرّأن وميديا[3].

وبعد ذلك استهدفت تحركات الآشوريين في فلسطين مدينة القدس، فقام كل من سرجون وسنحاريب من بعده بعدد من الحملات العسكرية على يهوذا وأجبروها على دفع الجزية، وأخضعوا عدداً كبيراً من مدن فلسطين[4].

"البابليون"

وصل الكلدانيون إلى حكم بابل سنة ٦١٢ ق. م، فحلوا محل الآشوريين، فانتهج ملك يهوذا (يهوياقيم) سياسة معادية للدولة البابلية (الكلدانية)، وتحالف مع ملك مصر (نخاو) ضد البابليين، وكان الفراعنة سيطروا على مملكة يهوذا بعد معركة مجدو سنة ٦٠٨ ق. م، فقرَّر (نابوبيلاصر) ملك بابل استعادة المناطق التي استولى عليها فرعون مصر،

---

(١) أحمد سوسة: مفصل / العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١م، ص ٥٨٥، أسماء فاعور: فلسطين، ص٣٦.

(٢) الكتاب المقدس/ سفر الملوك الثاني/ الإصحاح ص١٦ (٧-٨).

(٣) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص ١٣٦، أسماء فاعور: فلسطين ص٣٦.

(٤) الكتاب المقدس: سفر الملوك الثاني / الإصحاح ١٨، ١٩، خالد العك: تاريخ القدس، ص٧٩.

فأرسل ابنه (نبوخذ نصر) على رأس جيش كبير تمكن من إلحاق الهزيمة بالمصريين (سنة ٦٠٥ ق. م)[١] فبدأ نجم الدولة البابلية في الصعود بعد ذلك.

ثم قام البابليون بغزو القدس، وحاصرها نبوخذ نصر فمات ملكها يهوياقيم وخلفه ابنه (يهوياكين) الذي اعلن الاستسلام لمملكة بابل، فقام نبوخذ نصرّ بترحيل عدد كبير من اليهود إلى بابل وهو السبي الأول لهم على يد البابليين[٢] سنة ٥٩٧ ق. م.

عين نبوخذ نصر (صدقيا) ليكون ملكاً على يهوذا وقطع عليه العهد بالولاء، فلما خان عهده للبابليين، قام الملك البابلي نبوخذ نصر بتجريد حملة عسكرية لتأديب يهوذا وملكها صدقيا، فتمكن من دخول المدينة، وتدَّعي التوارة أنّه حطّم الهيكل المزعوم في القدس، وسبى اليهود مرة أخرة إلى بابل[٣] سنة ٥٨٦ ق. م فقضى بذلك على مملكة يهوذا، وبذلك يكون اليهود قد تعرَّضوا للسبي مرتين إلى بابل وكلاهما على يد نبوخذ نصَّر.

الفرس

بدأ ظهور الدولة الفارسية على المسرح الدولي في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، وبعد أن سيطر ملكها قورش (كورش) على ليديا في آسيا الصغرى سنة ٥٣٩ ق. م تحرك إلى العراق فتمكن من تدمير مملكة بابل سنة ٥٣٨ ق. م لتزول بذلك الدولة البابلية وتحل محلها الدولة الفارسية كقوة عظمى في الشرق القديم، وهنا يذكر فيليب حتي أن العصر السامي انتهى وبدأ عصر جديد هو العصر الهندو أوروبي، وانتهى دور الإمبراطوريات السَّامية[٤].

وحظي اليهود في زمن الفرس باهتمام كبير خاصة من قبل الملك الفارسي قورش الذي أصدر أمراً يسمح فيه بعودة كل الأجناس التي كانت في المنفى إلى البلاد التي كانوا

---

(١) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١٣٨.

(٢) انظر الكتاب المقدس: سفر الملوك الثاني/ الإصحاح ٢٤.

(٣) الكتاب المقدس: سفر الملوك الثاني / الإصحاح ٢٥، أسماء فاعور: فلسطين ص٤٠.

(٤) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٢٣٩.

يعيشون فيها بما في ذلك اليهود، وكان اليهود أكثر المستفيدين من هذا القرار، فسمح لهم قورش بالعودة إلى فلسطين، فعادت منهم أعداد كبيرة وبقيت أعداد أخرى في بابل لأنه ترك الأمر لهم أو انَّه خيرهم بين العودة أو البقاء فبقي أكثر الأغنياء في العراق[١].

استهدف كورش من السماح لليهود بالعودة إلى فلسطين الإفادة منهم في المشاركة بحروبه ضد الأعداء، وتعريفه بالمسالك المؤدية إلى فلسطين لمعرفتهم بها فيكون من السهل عليه دخولها، والإفادة منهم في حروبه ضد مصر[٢] ، ومن لم يشترك معه في الحرب كان يفرض عليه دفع الأموال من الذهب والفضة ليتمكن من تجهيز الجيش والانفاق عليه[٣].

انعم الفرس على اليهود في عهد الملك داريوس الفارسي (دارا) الذي تولى الحكم سنة ٥٢١ ق. م بانعامات كثيرة لحاجتهم إلى دعم اليهود، فسمحوا لهم بإعادة بناء الهيكل المزعوم في القدس، وهنا لابد من الإشارة إلى أن كتابة التوراة بدأت منذ وقت قريب، ونشطت في فترة السبي البابلي، ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن من كتب التوراة فكرٌ قبل كل شيء بإيجاد الطريقة المناسبة التي يمكن من خلالها ربط اليهود بمدينة القدس باعتبارها أهم مدن فلسطين التي احتلها اليهود بعد دخولهم إلى أرض كنعان، لذلك نسجوا قصة الهيكل التي اخترعوها من أذهانهم بعد أن ابتعدوا في المنفى عن الأرض المقدسة، ولتأكيد ما زعموه، فقد نسجوا قصة على نفس المبدأ نسبوا فيها إلى قورش ما زعم أنّ الرَّب أوصاه ببناء الهيكل في أورشيلم[٤].

ولما بدأ اليهود ببناء الهيكل المزعوم، أخذوا في إعادة بناء أسوار مدينة القدس التي لا تتطابق ولا يمكن لها أن تطابق مواصفات الهيكل المزعوم لا بالشكل ولا الابعاد، ومع لك فإن الكثير من المؤرخين والكتاب صدَّق ما ورد في التوارة من مزاعم نسجها خيال أحبار اليهود ممن سطروا التوراة، واعتبروا ذلك إعادة لبناء الهيكل المزعوم، والأمر لا يقتضي

(١) رفيق شاكر النتشة وآخرون: تاريخ مدينة القدس، دار الكرمل، عمان ١٩٨٤م، ص٣٤.
(٢) محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص ١٥٨-١٥٩.
(٣) انظر الكتاب المقدس: سفر عزرا / الإصحاح الأول والثاني.
(٤) الكتاب بالمقدس: سفر عزرا / الاصحاح الأول (١-٣).

أكثر من العودة للتدقيق في الكتابات التوراتية التي لم تدوَّن إلاَّ بعد فترة الانقسام لمملكة اليهود وسبيهم خارج الأرض المقدسة، ومن هناك بدأت تظهر قصة الهيكل الذي لم يكن له وجود إلاَّ في أفكار اليهود وتاريخهم، فتمكنوا من تحويله إلى قصّة صدّقها من لا يجيدون قراءة أفكار اليهود وتاريخهم، ووافقهم عليها من تتطلب مصلحته قبولها وتحقيقها على أرض الواقع كالفرس أنذاك، وعملاء الصهيونية العالمية اليوم في عالم الغرب.

ولم يقبل العرب بسياسة الفرس فأعلنوا الاحتجاج وثاروا ضد الفرس وضد اليهود، وهاجموا عمال اليهود الذين شرعوا في تجديد الأسوار في عهد قمبيز[١]، حتى لا يمنحوا اليهود شرعية بسكوتهم على ادّعاء باطل، فأصدر (سمر يدس) أمراً سنة ٥٢٢ ق. م بوقف عملية البناء لامتصاص نقمة الثوار[٢] الذين لا زالوا يشكلون أهل البلاد والغالبية الكبرى في أرض كنعان، ولم يتم تنفيذ مشروع اليهود إلاّ في عهد دارا (دار يوس) سنة ٥١٥ ق. م[٣].

"اليونان"

تولى الاسكندر ابن فيليب اليوناني عرش مقدونيا سنة ٣٣٦ ق. م، ويعرف الاسكندر في التاريخ باسم (الاسكندر الكبير)، والبعض يسميه (ذو القرنين)[٤]، إلاّ انه غير ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم، فعصر ذلك الرجل يسبق هذا العصر بفترة طويلة، والأرجح أنه كان قريباً من فترة إبراهيم الخليل عليه السلام.

وفي سنة ٣٣٤ ق. م حقق الاسكندر نصراً كبيراً ضد أكبر أعداء اليونان، فهزم الفرس في معركة ايسوس (مكان الاسكندرونه حالياً)، وهرب غريمه داريوس الثالث ملك الفرس، فكان هذا النصر نقطة التحول التي جعلت نجم الاسكندر يصطع بعد ذلك لأن بلاد الشام ومصر والعراق ستفتح أبوابها ليدخلها فاتحاً ويصبح سيدها بلا منازع.

---

(١) انظر الكتاب المقدس، سفر عزرا، الاصحاح ٤ (٤-١٦).

(٢) الكتاب المقدس: سفرا عزرا/ الاصحاح ٤ (٢١-٢٤).

(٣) أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود، ص٦١٦، أسماء فاعور: فلسطين ص٤٣.

(٤) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١٤٧.

ولما تقدم الاسكندر إلى سوريا سنة ٣٣٣ ق. م دعا (يهويا داع) وكان حبر اليهود، دعا إلى طاعته، فرفض الطاعة لاستمراره على الولاء للفرس، فأغضب الاسكندر الذي قرر تأديب اليهود[١] ، لذلك توجه إلى مدينة القدس بعد انتهائه من فتح مدينتي صور وغزّة وهما المدينتان اللتان رفضتا استقبال الاسكندر فاضطر لمحاصرة المدينتين حتى أخضعهما لحكمه، واستولى على مخازن التوابل الضخمة في مدينة غزّة[٢].

ويذكر المؤرخ يوسيفوس أن الحبر الأكبر في مدينة القدس تدارك الأمر، فلما علم بتوجه الاسكندر إلى المدينة، جمع اليهود وأمرهم فصاموا وصلّوا وتصدقوا، ثم خرجوا لاستقباله خارج المدينة يتقدمهم الكهنة لابسين حللاً بيضاء، معلنين ندمهم وطالبين العفو[٣] وقابله الكاهن الأكبر بالترحاب ومضى معه حتى دخل القدس، فلما رأى الاسكندر هذا الاستقبال الحافل أكرم رئيس الكهنة وعفا عن اليهود، وأعفاهم من دفع الجزية في السنة السابعة[٤] ، وفرح اليهود كثيراً بدخول الاسكندر إلى المدينة.

بعد وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق. م، اقتسم قواده امبراطوريته فكان نصيب سلوقس شمال الشام (سوريا)، ونصب بطليموس مصر وجنوب بلاد الشام، وخضعت فلسطين بما فيها القدس لدولة البطالمة[٥] ، وبقيت تحت حكمهم حتى سنة ١٩٨ ق.م حينما تمكن الملك السلوقي من تحقيق انتصار كبير على البطالمة في معركة (بانيون)، فانتقلت السيادة في جنوب بلاد الشام إلى الدولة السلوقية، وتبعت القدس بذلك للحكم السلوقي.

---

(١) هارفي بورتر: مختصر التاريخ القديم، ص ٣٣٥.

(٢) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٢٥٤-٢٥٥.

(٣) يوسيفوس: التاريخ، المكتبة العمومية، بيروت، ص٢٧-٢٨. هارفي بورتر: مختصر التاريخ، ص٣٣٥، خالد محمد غازي: القدس، ص٣٨، مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢، ص٥٥.

(٤) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم ٢ ص٥٦.

(٥) انظر الحنبلي: الأنس الجليل، ج١ ص٢٦٣.

وفي عهد الملك انطيوخوس الرابع (أبيفانيس ١٧٥-١٦٣ ق. م) حاول صبغ اليهود بالصبغة الهلينية، فضغط على اليهود لترك تقاليدهم وآدابهم واستبدالها بتقاليد اليونان وآدابهم وحاول إلغاء الطقوس اليهودية واستبدال إلههم (يهوة) بالإله (زيوس الأوليمبي) وعيَن كاهناً وثنياً في مدينة القدس، وحرَّم الختان، فلم يوافقه على ذلك إلاّ قلة قليلة من اليهود، وبدأت تظهر المعارضة اليهودية لهذه الأفعال مما أدى إلى نشوب ما يعرف بالثورة المكابية سنة ١٦٨ ق. م[(١)].

الثورة المكابية ١٦٨ ق. م

قام بالثورة (يهوذا) الملقب بالمكابي، أي المطرقة، وهو ابن كاهن بسيط اسمه متاثياس (متابيه) وهو من الأسرة الهاسمونية، فقد ثار على السلوقيين وانتصر عليهم عدّة مرّات، فقد أقام يهوذا واخوته عصابات غير نظامية شملت عدداً كبيراً من اليهود، وكان يعتصم بهم في الجبال ويتجنب المواجهة المباشرة معهم حتى تمكنوا من العودة إلى القدس في (٢٥ كانون الثاني سنة ١٦٤ ق. م) فاتخذوا هذا اليوم عيداً لهم يحتفلون فيه سمي (عيد الأنوار)[(٢)].

أسس اليهود حكماً ذاتياً في مدينة القدس، وصار الحكم وراثياً في ذريَّة يهوذا المكابي، ثم أقاموا حكماً ملكياً في عهد الامبراطور ديمتريوس الثاني، فاعترف به السلوقيون، وسمحوا لهم بسك النقود[(٣)]، ويبدو أن نفوذ اليهود بعد ذلك أخذ يزداد حتى تمكن ملكهم اسكندر جانيوس من مد نفوذه إلى بعض أجزاء شرق الأردن واطلقوا عليها اسم (بيريا)، إلاّ آن هذا لا يشمل البلاد التي كانت تقوم فيها دولة الأنباط العربية في جنوب الأردن، إذ كان من الصعب على أية قوّة اجتياز بلاد الأنباط التي تحطمت أمامها هجمات اليونان في القرن الثالث قبل الميلاد.

---

(١) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٢٦٧- ٢٦٨، محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص٣٥.

(٢) ظفر الإسلام خان: تاريخ القدس القديم، ص٧٧، محسن صالح: الطريق إلى القدس ص٣٦، وهناك من يسميه عيد حانوكا (هانوكة)/ انظر فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٢٦٨.

(٣) محسن صالح: الطريق إلى القدس، ص٣٦.

واختلف أبناء اسكندر جانيوس على الحكم بعد وفاة أمهم (سالوم الكسندرا) التي تولت الحكم بعد زوجها، واتجه **هيركانوس** إلى الأنباط فطلب حق اللجوء السياسي إليهم فآووه ثم طلب مساعدتهم ضد أخيه **أرسطوبولوس** فنصروه، إلاّ أن قدوم الرومان إلى بلاد الشام سنة ٦٣ ق. م جعل القدس تدخل ضمن السيادة الرومانية، فنصَّب **بومبي** الروماني هيركانوس الثاني كبيراً للكهنة في مدينة القدس(١).

الرومان

زحف القائد الروماني (بومبي) على الشرق وتمكن من احتلال سوريا سنة ٦٤ ق. م فحوَّلها إلى ولاية رومانية وسماها (ولاية سوريا)(٢)، ثم زحف على فلسطين، وحاصر مدينة القدس سنة ٦٣ ق. م، وسلَّم أرسطوبولس الثاني نفسه للرومان بينما رفض أتباعه الاستسلام، فهاجم بومبي المدينة بمساعدة هركانوس، وهدم أسوارها وحصونها وجعلها تابعة للحكم الروماني، ويقسم تاريخ مدينة القدس خلال العصر الروماني إلى ثلاث مراحل هي(٣):

١-المرحلة الأولى (٦٣ ق. م- ٧٠م)، وتمتد من دخول بومبي حتي دخول تيطس لها.

٢-المرحلة الثانية (٧٠-٣٣٧م)، وتمتد حتى نهاية حكم الامبراطور قسطنطين.

٣-المرحلة الثالثة (٣٣٧-٦٣٦م). وتمتد حتى تحرير المسلمين للمدينة.

فتبدأ المرحلة الأولى بدخول بومبي المدينة سنة ٦٣ ق. م، الذي حاصر المدينة، وضربها بالمجانيق وبطش بسكانها، فخضعت المدينة للرومان، وتم تجريد هركانوس من منصب الملك وسُمح له بأن يبقى في منصبه رئيساً للكهنة فقط، وقام (يوليوس قيصر) بتعيين أنتباتر مستشار هيركانوس نائباً عنه في فلسطين سنة ٤٨ ق. م(٤).

---

(١) انظر ظفر الإسلام: تاريخ فلسطين القديم، ص٨٠-٨٤.

(٢) فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج١ ص٣٠٩.

(٣) خالد محمد غازي: القدس، ص٤٠.

(٤) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢، ص٥٩-٦٠.

وفي سنة ٤٠ ق. م، عاد الفرس وتمكنوا من الاستيلاء على بلاد الشام بما فيها القدس، إلاّ أنهم لم يتمكنوا من البقاء فيها طويلاً حيث استطاع الرومان استعادتها سنة ٣٨ ق.م، وعينوا (هيرودس بن أنتيباتر) الآدومي ملكاً على اليهود سنة ٣٧ ق.م، وكان موالياً للرومان، وعلى عداء مع الأسرة المكابية اليهودية[١].

قام هيرودس بإنشاء مبنى ضخم في القدس هو (القصر الملكي)، وحدائق متصلة بالقصر، كما أقام مسرحاً للتمثيل والرقص، وملعباً للشباب والشابات، وهذا لا يعجب اليهود لأنه مخالفاً لطقوسهم، ولكنه لم يُلق عناية لاعتراضهم على ذلك، فأطلق عليه الرومان لقب (الملك هيرودس)[٢].

وشهدت هذه الفترة ولادة السيد المسيح عليه السلام في مدينة بيت لحم في عهد أغسطس قيصر[٣]، ولما بلغ عمره ثلاثين سنة أوحى الله تعالى إليه وأرسله إلى الناس[٤]، وأعطاه المعجزات، فكان يداوي المرضى ويبريء الأكمه والأبرص[٥]، ويحيي الموتى، وتنزل عليه المائدة، ووردت إشارات إلى المعجزات التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لعيسى عليه السلام، قال تعالى: (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القدس، تُكلّم الناس في المهد وكهلاً، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإذ تخلقُ من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبريء الاكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني، وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحرٌ مبين)[٦].

---

(١) ن. م، ج٩ قسم٢، ص٦٠، خالد محمد غازي: القدس، ص٤١.

(٢) إبراهيم الشريقي: أرض كنعان، ص١٦٠.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ص٧٠، الكتاب المقدس: حتى٢/ ويقال بأن عيسى ولد سنة ٤م.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١ ص١٧٩، الحنبلي: الأنس الجليل ج١ ص٢٧١.

(٥) الكتاب المقدس: حتى ٩، ١٠.

(٦) سورة المائدة: الآية ١١٠.

عاش عيسى عليه السلام ما يقارب الثلاثين عاماً أمضاها في امتثال أمر الله تعالى ونشر تعاليمه التي جاء بها والتي تدعو إلى المحبة والسلام والرقي بالانسان وإطاعة الله تعالى، ولم يكن من السهل على الناس تقبل تعاليمه أمام ما كان سائداً من مظاهر الاهتمام بالحياة الدنيا، وعبادة الأوثان.

وفي سنة ٧٠م أرسل الامبراطور الروماني سباسيان ابنه **تيطس** على رأس جيش كبير إلى بلاد الشام ليقوم بتحرير مدينة القدس التي لا يزال اليهود يقومون فيها بأعمال الفساد ومناوأة الحكم الروماني، فدخل المدينة ودمَّر المباني الموجودة فيها التابعة لليهود، وقتل عدداً كبيراً منهم، ونفى عدداً آخر خارج المدينة وخارج فلسطين كلها، وباع الأسرى اليهود بأثمان زهيدة(١).

ويعتبر عام ٣١٣م نقطة تحول في تاريخ مدينة القدس والمنطقة بأسرها حيث اعتلى الامبراطور **قسطنطين** عرش الامبراطورية الرومانية، وكان ميالاً للنصرانية فاعتنقها وأصدر مرسوماً يسمح فيه باطلاق الحريات الدينية في جميع ولايات الامبراطورية الرومانية، وأصبحت النصرانية الديانة الرسمية للدولة(٢) ، وبدأ بناء الكنائس في مدينة القدس فكانت أول كنيسة أقيمت فيها كنيسة القيامة، أما المكان الذي زعم اليهود أن فيه الهيكل فجَعلته هيلانة مطرحاً لقمامات البلد نكاية باليهود(٣).

وفي سنة ٣٩٥م وبعد وفاة الامبراطور ثيودسيوس انقسمت الامبراطورية الرومانية بين ولديه **هونوريوس وأركاديوس**، فتولى هونوريوس الامبراطورية الرومانية الغربية (المقدسة) وعاصمتها روما، وتولى أركاديوس الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) وعاصمتها بيزنطة (القسطنطينية)، وتضم بلاد الشام بما فيها فلسطين والقدس.

---

(١) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين ج٩ قسم٢ ص٦٨-٦٩، خالد العك: تاريخ القدس، ص٩١.

(٢) محمود العابدي: قدسنا، ص٣٨.

(٣) أسماء فاعور: فلسطين، ص٥٠.

وشهدت فلسطين نوعاً من الاستقرار في الفترة البيزنطية مما ساعد على انتعاش الحياة الاقتصادية ونمو العمران، ففي عهد الامبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) كثرت المباني الدينية من الكنائس والأديرة.

ولم يعكر صفو المنطقة أكثر من الحروب التي شنّها كسرى أبرويز بجيوشه على سوريا سنة ٦١٤م، وتمكن من وصول مدينة القدس، فقام بأعمال التخريب وامتدت يد الخراب إلى القبر المقدس (كنيسة القيامة)، وكنائس أخرى كثرة، وانضم اليهود إلى الفرس في هذه الحروب، إلاّ أن سيطرة الفرس على البلاد لم تدم طويلاً، فاستطاع هرقل القيام بحملة عسكرية تمكن فيها من استرداد مدينة القدس وفلسطين سنة ٦٢٨م[١] ، وبقيت القدس تحت السيطرة البيزنطية حتى تمكن المسلمون من فتحها سنة ٦٣٦م.

بناء الكنائس في مدينة القدس

يعود بناء أول الكنائس في مدينة القدس إلى الفترة الرومانية، وإلى عهد الامبراطور قسطنطين الكبير، عندما قامت أم الامبراطور **القديسة هيلانة** بزيارة مدينة القدس (إيلياء) سنة ٣٢٦م، وكانت مهتمة بالديانة المسيحية، وأحضرت معها الأموال لتنفيذ بعض المشاريع العمرانية، وتمكنت بالتعاون مع المطران مكاريوس التحقق من الأمكنة التي ارتادها المسيح عليه السلام، وقامت ببناء **كنيسة القيامة**[٢] ، ويعتقد المسيحيون أن كنيسة القيامة فيها المكان الذي يضم قبر المسيح عليه السلام قبل رفعه إلى السماء، وتم تدشين هذه الكنيسة سنة ٣٣٥م[٣].

وبني في مدينة القدس وقريباً من كنيسة القيامة عدد من الكنائس، في مناطق متقاربة أو متباعدة، ويذكر فايز جابر أن قسطنطين بنى وأمه هيلانة كنيسة (ايليون) على جبل

---

(١) انظر خالد العك: تاريخ القدس، ص١٣٩، ١٤٠.

(٢) انظر محمود العابدي: قدسنا، ص ٣٨، محسن محمد صالح: الطريق إلى القدس، ص٤١، فايز جابر: القدس، ص٣٦.

(٣) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢، ص٧٥.

الزيتون[1] ، وأن هيلانة اختارت هذا الموقع لأنه يوجد فيه الكهف الذي أماط فيه المسيح اللثام إلى حوارييه عن الكثير من المعجزات[2].

وفي سنة ٥٢٧م تولى جستنيان حكم الامبراطورية الرومانية، وبالرغم من قيام اليهود باشعال الثورات، إلاّ أنه تمكن من اخمادها، وشهد عصره إنشاء عدد من الكنائس والأديرة خاصة في مدينة القدس وما حولها، فبنيت كنيسة (العذراء) سنة ٥٢٩م[3] ، وكنيسة (ماري نوفا) سنة ٥٤١م[4] ، وفي سنة ٥٣٠م قرَّر المجلس الكنسي جعل مدينة القدس مقرّاً للبطريكية المسيحية[5].

وتعتبر كنيسة القيامة أعظم الأمكنة المقدسة عند المسيحيين، وتقع الكنيسة في وسط مدينة القدس، ويقال بأنها تشتمل على القبر المقدس ومكان صلب السيد المسيح، وتعرضت الكنيسة للهدم والتدمير عدّة مرَّات منها بعد احتلال الفرس لفلسطين سنة ٦١٤م، ولما استرد هرقل المدينة أعيد بناء الكنيسة مرة أخرى.

وتهدمت سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي، ثم أعيد بناؤها في خلافة ابنه الظاهر لاعزاز دين الله، وفي الفترة الصليبية جمعت عدد من الكنائس في كنيسة واحدة كبيرة، وأشرف على بنائها المهندس المعماري الفرنسي سنة ١١٤٠-١١٤٩م وبنيت على الطراز القوطي الشائع في أوروبا[6].

وفي سنة ١٨٠٨م تعرضت الكنيسة للحريق فسقطت القبة وتحطم هيكل القبر المقدس، ثم سمح السلطان العثماني للمسيحيين بإعادة بنائها سنة١٨١٠م، وشاركت

---

(١) وهي الكنيسة التي يذكر محسن صالح أنها كنيسة الصعود (انظر محسن صالح: الطريق إلى القدس ص٤١).

(٢) فايز جابر: القدس، ص٣٧.

(٣) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢، ص٧٦.

(٤) فايز جابر: القدس، ص٣٧.

(٥) خالد غازي: القدس، ص٤٣.

(٦) محمود العابدي: قدسنا، ص٣٨، فايز جابر: القدس، ص٣٧.

الدول الأوروبية بعملية البناء، وأصبح لجميع الطوائف المسيحية نصيب في هذه الكنيسة، وكنيسة القيمة مكاناً للحج عند جميع الطوائف المسيحية.

ومن الكنائس التي بنيت في القدس الجسمانية، وتقع في سفح الجبل في طورزيتا، وفيها قبر السيدة مريم والمغارة التي يقال بأن المسيح اختلى بها عن أعين الذين أنكروه، وفيها نزل عليه الإنجيل[1].

---

(١) أوليا جلبي: سيا جتنامة، ترجمة كامل العسلي/ ضمن كتاب بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان ١٩٩٢م، ص٢٤٧-٢٤٨.

الفصل الخامس

إسلامية القدس وتجديد الهوية العربية

١. الإسراء والمعراج

٢. تحرير القدس والعهدة العمرية

٣. المدينة تحت حكم بني أمية

٤. مسجد قبة الصخرة المشرفة

٥. المسجد الأقصى المبارك

"الاسراء والمعراج"

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنَّه هو السميع البصير)(١).

والإسراء من السُّرى وهو السير بالليل، وأسريت سِرْتُ ليلاً، وسريت إذا سرت ليلاً(٢).

والمعراج من عرج الشيءُ فهو عَريج: ارتفع وعلا، قال أبو ذؤَيب:

كما نوَّر المِصْباحُ للعُجْمِ أمْرَهم... بُعَيْدَ رُقاد النائمين عَريجُ

وفي التنزيل: تعرج الملائكة والرُّوح إليه، أي تصعد، والمَعْرَج الطريق الذي تصعد فيه الملائكة، والمِعراج السُّلَّم، ومنه ليلة المعراج(٣).

وفي ليلة ٢٧ رجب في السنة الثانية عشرة من النبوَّة أسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى القدس(٤)، وقيل قبل الهجرة بسنة أي في السنة الثالثة عشرة من البعثة(٥) وهو الأرجح وقيل قبل الهجرة بثلاث سنوات(٦)، وورد ذكر الإسراء في القرآن الكريم بقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنَّه هو السميع البصير)، فالمسجد الحرام مكة والمسجد الأقصى بيت المقدس.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص١٧٩/ مادت سرا.

(٣) ابن منظرو: لسان العرب، ج٧، ص٨٧/ مادة عرج.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٢ ص١٥٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣ ص١٠٧.

(٥) انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج١ ص٢١٤.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٢ ص٣٣.

وحُمل النبي صلى الله عليه وسلم على البراق[1]، حتى أتى بيت المقدس وانتهى البراق إلى موقفه الذي كان يقف فيه، فربطه جبريل في موقفه وهو مربط الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم[2].

وجُمع الأنبياء للمصطفى عليه الصلاة والسلام فرأى منهم إبراهيم وموسى وعيسى وأمَّ بهم فصلّوا في المسجد الأقصى[3]، ولم يكن مبنياً ببنائه المعروف اليوم، وإنما كان مكاناً للصلاة وعبادة الموحدين المؤمنين بالله تعالى: فكان هذا الاجتماع للأنبياء تكريماً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وإيذاناً بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه وهي تعاليم رسالة الإسلام مع صلاحيتها لكل زمان ومكان[4].

ثم أخذ جبريل النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى صخرة بيت المقدس الموجودة في الحرم القدسي، ومن هناك عرج به إلى السموات العلى (إلى سدرة المنتهى)، واستقبله الأنبياء في السماء احتفاءً بمقدمه وزيادة في تكريمه عليه الصلاة والسلام، وهناك فرض الله سبحانه وتعالى عليه وعلى المسلمين الصلوات الخمس[5]، ثم عاد من رحلته هذه إلى مكة وفي ليلته، فلما أخبر الناس بما حدث له أثار ذلك العجب والاستغراب ولم يصدقوا ذلك حتى أُخبر أبا بكر فكان أول المصدقين له لما عرف عن النبي أنه لا يخبر إلاّ بما يحدث حقيقة، فقال أبو بكر: إنني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك.

---

(١) البراق دابة بيضاء سريعة العدو ما بين الحمار والبغل، كان يركبها الأنبياء وتضع خطوها عند أقصى طرفها (انظر محمد عبد القادر أبو فارس: في ظلال السيرة النبوية/ الإسراء والمعراج، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ص١٥).

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢ ص٢١٤.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية،دار الجليل، بيروت، ج٢ ص٢٤٣-٢٤٤، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١ ص٢١٤، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٢٩٥.

(٤) محمد أبو فارس: الإسراء والمعراج، ص٢٢.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢ ص٢٥٣-٢٥٥، ابن الجوزي: المنتظم، ج٢ ص١٥٩-١٦١، ابن الأثير: الكامل، ج٢ ص٣٤-٣٦.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هو وأصحابه وهم في مكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه، أي بينه وبين بيت المقدس وإلى أن هاجر إلى المدينة فكان يصلي إلى بيت المقدس واستدبر الكعبة، وكان يُحب أن تكون قبلته الكعبة لأنها قبلة إبراهيم عليه السلام، وكان يكثر الدعاء إلى الله تعالى حتى جاء أمر الله تعالى بتحويل القبلة إلى الكعبة في السنة الثانية للهجرة[1]، قال تعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)[2].

وقد ربطت رحلة الإسراء والمعراج بين المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد الأقصى في مدينة القدس من خلال الإسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما ربطت بين المسجدين الحرام والأقصى وبين السماء من خلال رحلة المعراج التي وصلت بالنبي إلى سدرة المنتهى وهذا تأكيد على قدسية المسجدين وأهميتهما معاً، فربط بينهما أولاً برحلة من مكة إلى القدس ثم ربطهما معاً بالسماء بمعراج النبي من المسجد الأقصى وهذا دليل عظيم على مكانة المسجدين وأراد الله سبحانه أن يبين العلاقة العظيمة بين المسجدين وقدسيتهما، وإلاّ لكان بالامكان أن تكون رحلة المعراج من المسجد الحرام مباشرة إلى السماء[3].

ثم جاءت أهمية المسجد الأقصى في هذه الرحلة التي فرض الله سبحانه وتعالى فيها الصلاة على المسلمين وجعل المسجد الأقصى قبلتهم في هذه الصلاة زيادة في التأكيد على أهمية المسجد الأقصى الذي بدأ مسجداً لتوحيد الله تعالى وتنزيهه بعيداً عن مظاهر الشرك والخطيئة، وهذا يدعم كونه بيتاً من بيوت الله الطاهرة المقدسة.

وكانت معجزة الإسراء والمعراج مكافأة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وتكريماً له على جهاده الدائب وصبره في مواجهة أعداء الإسلام الذين أصرّوا على التمسك بعادات الجاهلية في الشرك والضلال، كما جاءت لتملأ قلب النبي عليه الصلاة والسلام

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣ ص٢٥٢-٢٥٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٣) انظر محمد أبو فارس: الإسراء والمعراج، ص٢٧.

ثقة بقدرة الله تعالى وتزيده قدرة على مواجهة أعداء الإسلام في تلك الظروف العصبية[1].

تحرير القدس والعهدة العمرية

كانت مقدمات التحرير الإسلامي لبلاد الشام بما فيها مدينة القدس من خلال السرايا والبعوث التي وجهها النبي محمد صلى الله عليه وسلم باتجاه جنوب بلاد الشام ابتداءً من معركة مؤتة سنة ٨هـ/ ٦٣٠م[2]، وبعث أسامة بن زيد الذي أتمَّ إنفاذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١١هـ/ ٦٣٣م[3].

وفي خلافة أبي بكر وبعد أن فرغ من حرب المرتدين كتب إلى جميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد في سبيل الله، فسارع الناس إلى تلبية دعوته، وجهّز خالد بن سعيد بن العاص بجيش وطلب منه أن ينزل تيماء ولا يغادرها فيدعو من حوله من القبائل العربية للانضمام إليه استعداداً للقتال وألاّ يسمح للمرتدين بمشاركتهم هذا الاستعداد أو الانضمام إلى جيش المسلمين، وأن ينتظر حتى يأتيه أمر الخليفة، فاجتمعت إليه أعدادٌ كبيرة من المتطوعين[4].

وحَشَدَ أبو بكر خمسة جيوش إسلامية لتقوم بتحرير بلاد الشام من السيطرة البيزنطية ونشر الإسلام بين أهلها، كان أولها جيش خالد بن سعيد وهو جيش احتياط تمّ حشده في تيماء فكان أول لواء عقده أبو بكر إلى الشام وذلك بهدف تأمين طريق المسلمين إلى بلاد الشام.

ونتيجة إتساع بلاد الشام قسم أبو بكر القوّة الإسلامية إلى عدّة أقسام لأنه لا يسهل على قائد واحد السيطرة على المناطق المتباعدة، فقسم باقي قوة المسلمين إلى أربعة جيوش

(١) انظر محمد أبو فارس: الإسراء والمعراج، ص٢٢.

(٢) ابن هشام: السيرة، ج٥ ص٢٢، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢ ص١٢٨، الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٣٦.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٢٢٣-٢٢٤.

(٤) الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٣٨٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢ ص٧١.

عدا جيش الاحتياط، وجعل قيادتها العليا لأبي عبيدة عامر بن الجراح فجعل عمرو بن العاص قائداً لجيش وجهته فلسطين وطلب منه أن يسلك طريق أيلة وهي الطريق الساحلية وتعرف بطريق (المُعرقة)[1]، وبعث يزيد بن أبي سفيان على جيش جعل وجهته دمشق، وشرحبيل بن حسنة على جيش وجهته الأردن، وأبا عبيدة عامر بن الجراح على جيش وجهته حمص، وطلب من القادة الثلاثة أن يسلكوا طريق تبوك[2]، وكان مع كل قائد منهم ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف جندي، وما زال أبو بكر يمدهم بالرجال حتى صار مع كل منهم ما بين (٧٠٠٠-٧٥٠٠) رجل[3]، وقدَّم أبو بكر نصائحه وتوجيهاته لقادة الجيش قبل انطلاقهم إلى بلاد الشام، ودعاهم أن يلتزموا آداب الإسلام في الحرب، بألاّ يقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً، ولا إمرأة، وألاّ يمثلوا ولا يقطعوا شجرة، فإن رسالتهم نشر الإسلام وتحقيق السلام.

وسار عمرو بن العاص حيث أمره أبو بكر باتجاه بلاد الشام من الطريق الغربية قريباً من الساحل، وكان يستنفر من يمرُّ به من الأعراب فنفر معه أناس كثيرون من القبائل العربية من بلي وعذرة وبلقين وقضاعة[4]، وكان لا يمر بمكان حتى يتغلب عليه دون حرب، ولم تُبدِ القبائل العربية أية مقاومة لحملة عمرو بن العاص، ويبدو أنها كانت تنتظر من يتقدم لتخليصها من سيطرة بيزنطة، لكنها متخوفة بسبب القوة الكبيرة التي تملكها الدولة البيزنطية.

وكانت أول المعارك التي خاضها المسلمون ضد الدولة البيزنطية في وادي عربة، حيث نزل قادة الروم في جمع من العسكر يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل، وتمكن المسلمون

---

(١) ذكر ابن عساكر هذه الطريق باسم الطريق المغربية على أيلة، ولعله الأصوب لأن الطريق تأخذ باتجاه الغرب لتنتهي إلى العقبة (انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢ ص٦٩).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص١١٦، الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٣٩٠، ابن الأثير: الكامل، ج٢ ص٢٧٦.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص١١٦.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١ ص١٣٠، محمد محاسنة:تاريخ الأردن، ص١٠٧.

من إلحاق الهزيمة بهم، فقد توجه إليهم أبو أمامة الصدي بن عجلان بأمر من يزيد بن أبي سفيان الذي قدم نجدة لعمرو بن العاص وهزمهم، ثم أتى قرية الداثنة من قرى غزة، فهزم من فيها من الروم وقتل أحد بطارقتهم[1].

وبعد معركة اليرموك توجه عمرو بن العاص إلى فلسطين ففتح عدداً كبيراً من مدنها منها نابلس واللد ورفح وغزة وعسقلان وغيرها[2]، ثم توجه إلى مدينة القدس فنزلها جيش المسلمين في فصل الشتاء، ولما انتهى أبو عبيدة من تطهير المناطق الشمالية في بلاد الشام انضمَّ إلى عمرو بن العاص وتولى حصار المدينة بنفسه.

وحاصر المسلمون المدينة أربعة أشهر حتى ضاق أهلها بالحصار فطلبوا من بطريرك المدينة (صفرونيوس) أن يخرج إلى المسلمين ليفاوضهم، فخرج صفرونيوس إلى المسلمين وسألهم، فعرضوا عليه الإسلام أو الجزية أو القتال، فلما رأى ذلك طلب منهم أن يجري الصلح ويحقن الدماء، ولكنه طلب أن يكون صلح مدينتهم على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[3].

وكتب أبو عبيدة إلى عمر في المدينة، فلما وصله الخبر جمع المسلمين واستشارهم، ثم استخلف على المدينة علي بن أبي طالب وتوجه إلى الشام حتى قدم الجابية وقد وافاه أمراء الأجناد[4]، وصالح أهل إيلياء (بيت المقدس)[5] وكتب لهم أماناً على أنفسهم وأموالهم، وأعطاهم حرية البقاء في المدينة أو الخروج، مع الاحتفاظ بحق إقامة طقوسهم ما سالموا المسلمين والتزموا العهد معهم، وسمي العهد الذي منحه أمير المؤمنين لأهل القدس باسم (العُهدة العمرية)، وأورد ابن جرير الطبري نص هذا الصلح كما يلي:

---

(١) البلاذري:فتوح البلدان، ص١١٧، الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٤٠٦، ابن الأثير: الكامل، ج٢ ص٢٧٧.

(٢) انظر ابن الأثير: الكامل، ج٢ ص٣٤٧-٣٤٨.

(٣) انظر الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٦٠٨، ابن الأثير: الكامل، ج٢ ص٣٤٨.

(٤) الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٦٠٨، ابن الأثير: الكامل، ج٢ ص٣٤٨.

(٥) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٧٧.

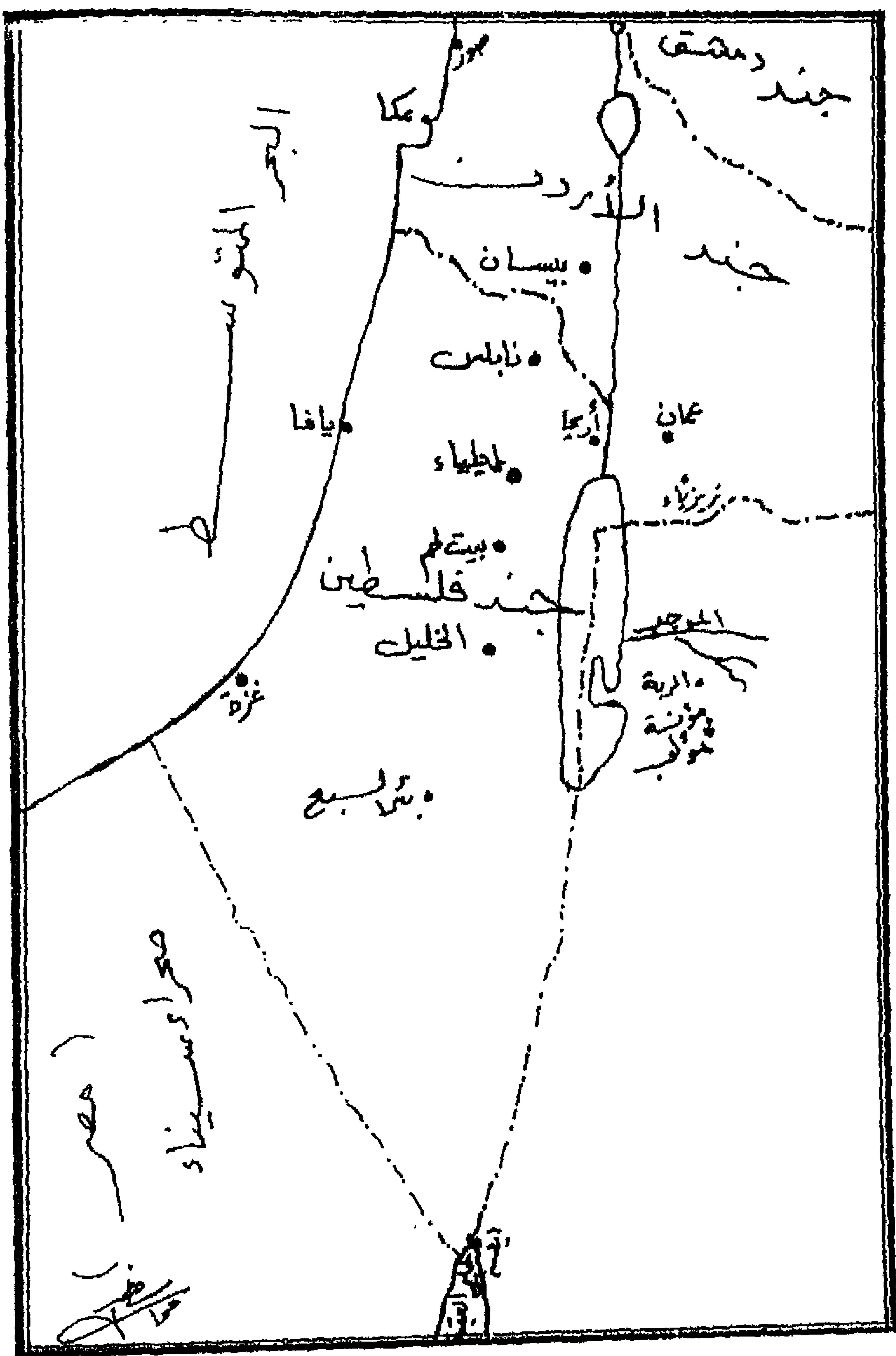
(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخْرجوا منها الروم واللصوت (أي اللصوص)، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومَن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحبَّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصُلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن شاء سار مع الروم،ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف،ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة)[1].

فكان هذا أماناً عظيماً، حقن دماء أهل المدينة، ودماء المسلمين بدل أن يخوضوا حرباً، وانتشر جوٌّ من الألفة في المدينة، وبهذه الروح الإسلامية الرائعة كان فتح مدينة بيت المقدس سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م، ودخل الخليفة عمر بن الخطاب إلى المدينة وصلى في محراب داؤد[2]، ثم طلب أن يَدلوه على موضع الصخرة فدلّوه، وحفروا حتى أزالوا القمامة عنها وظهرت[3].

(١) الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٦٠٩، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٧٧-٣٨٨.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٨٠.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٦١١، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٨٠.



جند فلسطين في العصر الإسلامي

وأولى المسلمون مدينة القدس عناية خاصة باعتبارها مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبلتهم الأولى، ولما وردمن أحاديث في فضائلها وفضائل مسجدها (المسجد الأقصى)، وجعلها المسلمون مركز جند فلسطين.

فإدارياً قسم عمر بن الخطاب بلاد الشام إلى أربعة أجناد هي جند الأردن وجند فلسطين وجند دمشق وجند حمص، وبما أن الساحل الشامي كان طويلاً ومعرَّضاً لتهديدات البيزنطين من جهة البحر كان لابد من تقسيمه على الأجناد لكي يتمكن كل جند من الدفاع عن المدن الساحلية التابعة له ضد غارات البيزنطيين على السواحل، فكانت مدن عرقه وجبيل وصيداء وبيروت تابعة لجند دمشق، ومدن اللاذقية وجبلة وبانياس وأنطرسوس تابعة لجند حمص، وصور وعكا تابعتين لجند الأردن، أما قيسارية ويافا وعسقلان وغزة فكانت تابعة لجند فلسطين[(١)].

وجعل عمر ولاية الشام كله تابعة لأبي عبيدة عامر بن الجراح الذي ولاه قيادة جيوش الفتح في بلاد الشام لمكانته وثقته به، ولما أعطى عمر الأمان لأهل القدس (إيلياء) قسمت فلسطين إلى قسمين، قسم مع الرملة وقسم مع القدس، فجعل على نصفها الأول **علقمة بن حكيم** وأنزله مدينة **الرملة**، وعلى القسم الآخر **علقمة بن مجزر** وأنزله مدينة **القدس**[(٢)]، وكانا تابعين لأبي عبيدة أمير الشام، ويذكر الطبري أن علقمة بن مجزر بقي والياً على فلسطين حتى وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٣)]، وعين **سلامة بن قيصر** إماماً للصلاة في مدينة القدس[(٤)]، وفي خلافة عثمان بن عفان جُمعت أجناد الشام إلى معاوية بن أبي سفيان وبقي والياً حتى نهاية العصر الراشدي.

---

(١) انظر اليعقوبي: البلدان/ طبعة ليدن ١٨٩١م، ص٣٢٤، ٣٢٧، البلاذري: فتوح البلدان ص١٢٤، ١٤٤، ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: ص٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٠١، نجدة خماش:الشام في صدر الإسلام، دار طلاس، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، من ٢١٤- ٢١٥.

(٢) الطبري: الرسل والملوك، ج٣ ص٦١٠، نجدة خماش: الشام في صدر الإسلام، ص٢٣٢.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٤ ص٢٨٩.

(٤) عارف العارف: المفصل في تاريخ مدينة القدس، ج١ ص١٠١.

القدس تحت حكم بني أميّة

بعد استشهاد علي بن أبي طالب كرمّ الله وجهه سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م ومبايعة أهل العراق للحسن بن علي بن أبي طالب بالخلافة، حدثت مفاوضات بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان انتهت إلى تنازل الحسن بن علي لمعاوية بن أبي سفيان فبويع بالخلافة[١]، واجتمعت كلمة المسلمين بعد فُرقة وشقاق بين صفوف المسلمين، فسمي هذا العام بعام الجماعة.

وكانت فلسطين بما فيها القدس جزء من ولاية الشام التي توّلاها معاوية في خلافة عمر بن الخطاب، ثم ولاّه عليها عثمان بن عفان، فلما استشهد عثمان بقي معاوية والياً عليها واستقلّ بها، فكان اهل بلاد الشام هم أنصار معاوية في خلافه مع علي بن أبي طالب ومطالبته بالثأر لعثمان بن عفان، وكان معاوية يُدعى بالشام أميراً[٢].

ولما انتقلت الخلافة إلى معاوية، بُويع له في مدينة بيت المقدس، ودعي بأمير المؤمنين[٣]، وعين حكيم بن علقمة نائباً له على فلسطين، واتخذ سلام بن قيصر والياً على مدينة بيت المقدس[٤]، وفي عهده زار الأسقف الفرنسي (أركولفوس) سنة ٥١هـ/ ٦٧٠م مدينة القدس ومكث فيها حوالي عام تقريباً، وكتب عن رحلته إليها، فوصف سور المدينة وأبوابها، وأشار إلى أن الخشب الذي كان يستخدم للبناء والوقود، كان يحمل إلى المدينة على الجمال من غابة تبعد ثلاثة أميال إلى الشمال من الخليل[٥].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص١٦٠، ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت ١٩٩٠م ج١، ص١٨٤-١٨٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣ ص٢٠٣.

(٢) الطبري: الرسل والملوك، ج٥ ص١٦١.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٥ ص١٦١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨ ص١٧. وانظر سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت ١٩٩٦م، ص١٤-١٥.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٩٣، حمد أحمد عبد الله: بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، ص٧١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج١ ص١٣٨، شفيق جاسر: تاريخ القدس ص١٩٦.

ويذكر ابن طاهر المقدسي أن بيت المقدس كان خراباً إلى قدوم الإسلام، فعمّره عمر ابن الخطاب، ثم من بعده معاوية بن أبي سفيان[1]، ولعل هذا الإعمار كان للمسجد الأقصى الذي لم يكن بناءه قائماً عند فتح المسلمين للمدينة، فيذكر أن عمر بن الخطاب اختطّ المسجد الذي سمي بمسجد عمر، ثم أضاف إليه وزاد في بنائه معاوية بن أبي سفيان، أما البناء الحقيقي للمسجد والذي بدأ يستقرُّ عليه المسلمون فتمَّ إنجازه في خلافة الوليد بن عبد الملك.

واهتم معاوية بن أبي سفيان بأهل الذمة خاصةً نصارى مدينة القدس، وجميع النصارى في دولة الخلافة الإسلامية، ويذكر بأنه كان يتردد على مدينة القدس، فبعد مبايعته بالخلافة قام بزيارة الجلجلة وصلّى هناك، ثم قَصَدَ الجشمانية وهبط منها إلى قبر السيدة مريم وصلَّى هناك[2].

واستعمل معاوية بعض النصارى في مهماته ووظائفه، فكان على ديوان الخراج في الشام سرجون بن منصور الرومي[3]، وابن آثال النصراني على خراج حمص.

ويقال بأن معاوية كان ميالاً للنصارى لأن أمّه ميسون الكلبية مسيحية ولكونه نشأ في كنف أمه وأخواله المسيحيين، وأنه اعتاد على مخالطة المسيحيين في دمشق، ولعل السبب الأهم في اهتمامه بالنصارى هو أن الإسلام يدعو إلى التسامح مع أهل الكتاب الذين يعيشون في رعاية دولة المسلمين، ومن الأولى أن يكون خليفة المسلمين مثلاً في ذلك.

وكان الأخطل التغلبي الشاعر المشهور من النصارى المقربين له، وهو أحد رفاقه، وتولى يوحنّا الدمشقي منصباً رفيعاً لمعاوية، لكنه عاد واعتزل الوظائف الحكومية في أوائل

---

(١) ابن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، باريز ١٩٠٣م، ج٤ ص٨٧.

(٢) انظر نبيه عاقل: خلافة بني أمية، ص٤٧، فلها وزن: تاريخ الدولة العربية، ص١٥٨. شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص١٩٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨ ص١٤٨.

خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٤م، ولجأ إلى دير سابا في الجنوب الشرقي لمدينة القدس وانقطع للعبادة، وألّف عدداً من الكتب أشهرها كتاب (ينبوع الحكمة)[١].

وبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م انتقلت الخلافة إلى ابنه يزيد بن معاوية، فشهد عهده الكثير من الفتن والاضطرابات الداخلية لعدم رضى بعض المسلمين من أهل الحجاز عن بيعته كالحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وغيرهما[٢]، وانتهى الأمر بخروج عبد الله بن الزبير على الحكم الأموي والانفصال بالحجاز، فأقام إمارة مستقلة في مكة لا تدين لحكم بني أمية، وحاول اجتذاب أهل الولايات الإسلامية أو السيطرة عليها واخراج بني أمية منها كما حدث في الكوفة والبصرة، غير أن ذلك لم يطُل كثيراً، فبعد وصول الخلافة إلى عبد الملك بن مروان سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م أخذ يعد القوّة ويحاصر ابن الزبير في مكة، فضيَّق عليه حتى تمكن من دخول مكة حيث قبض على ابن الزبير وقتله[٣].

وفتحت ثورة عبد الله بن الزبير المجال أمام من يرغب في الحط من شأن بني أمية، فاتّهم عبد الملك بن مروان بأنه تخوّف أن يأخذ عبد الله بن الزبير البيعة من حجاج الشام، فأراد منعهم من الحج إلى مكة، وتحويل الحج إلى بيت المقدس[٤]، لذلك أقام لهم بناءً يعوّضهم عن الحج إلى مكة، فبنى مسجد قبة الصخرة المشرفة، غير أن هذا أمر ليس له ما يدعمه وإنما كان الاهتمام بمدينة القدس الذي ظهر جلياً في خلافة عبد الملك بن مروان لما كانت تتمتع به المدينة من قدسية على مرّ التاريخ، وإن ما فعله هو إعطاء هذه المدينة المقدسة العناية التي تليق بها، ولحبِّ عبد الملك بن مروان لمدينة بيت المقدس وزيادة اهتمامه بها فقد كان يحبُّ الإقامة فيها[٥].

---

(١) شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص١٩٧-١٩٨.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١ ص٢٢٦-٢٢٧.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٦ ص١٨٧-١٨٨، المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩١م، ج٣ ص١٣٠-١٣١، ابن الأثير: الكامل: ج٤ ص٢٢.

(٤) انظر ما أورده اليعقوبي في كتابه: التاريخ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩٣م، ج٢ ص١٧٧-١٧٨، محمد حسنين هيكل: الامبراطورية الإسلامية، ص١٧٩-١٨٠.

(٥) انظر شوقي شعث: القدس الشريف، ص٣٠.

ولما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ/ ٧١٥م، كان في مشارف البلقاء فتوجه إلى بيت المقدس وجاءته الوفود فيها تبايعه، فذكر المقدسي صاحب كتاب مثير الغرام أنهم لم يروا وفادة أهنا من تلك الوفادة، فكان سليمان يجلس في قبة في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة ويتقبل التهاني، وكانت قد بسطت البسط بين يدي قبته عليها النمارق والكراسي فيجلس سليمان ويأذن للناس بالدخول، فيدخلون عليه ويجلسون على الكراسي والوسائد وإلى جانبه الأموال والكسي وآنية الذهب والفضّة وكتّاب الدواوين بين يديه، فيدخل وفد الجند ويتقدم صاحبهم يتكلم عنهم وعمن جاءوا من عنده[1].

ورغب سليمان في الإقامة ببيت المقدس واتخاذها منزلاً[2]، وهمّ بتحويل عاصمة ملكه من دمشق إلى بيت المقدس، فكان لمدينة القدس والٍ خاص وقاضٍ خاص نظراً لمكانتها الخاصة، واستشار سليمان ودرس إمكانية اتخاذها عاصمة، فوجد أن المراكز الإدارية كانت قواعد للمقاتلة وتلبي حاجاتهم إلى المراعي والمناخ وتكون مرتبطة مباشرة بشبه الجزيرة العربية، ولم تكن بيت المقدس وحرمها مناسبة لهذا الغرض لذلك عاد سليمان وتخلى عن الفكرة التي همّ بها.

وكان سليمان أحد الخلفاء الذين بنوا لهم قصوراً في مدينة القدس للإقامة فيها خلال زيارتهم للمدينة، واكتشفت آثار بعض هذه القصور في الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية من المسجد الأقصى[3].

ويذكر اليعقوبي أن سليمان بن عبد الملك بعد أن حجّ سنة ٩٧هـ/ ٧١٦م انصرف من مكة إلى بيت المقدس ونزل فيها، فطاف المجذمون بمنزلة وضربوا أجراسهم حتى منعوه من النوم، فسأل عنهم فأخبر بما يلقاه الناس منهم، فأمر بإحراقهم وقال: لو كان في

---

(١) أحمد بن محمد المقدسي: مثير الغرام بفضائل القدس والشام، المطبعة العصرية، يافا ١٩٤٦م، ص٤٥، أحمد بن علي السيوطي: اتحاف الأخصّا، ج٢ ص٤٣.

(٢) أحمد بن محمد المقدسي: مثير الغرام، ص٤٥، شوقي شعث: القدس الشريف، ص٣٠.

(٣) الموسوعة الفلسطينية: الطبعة الأولى ١٩٨٤م، القسم العام، الملجد الثالث ص٥١١-٥١٢.

هؤلاء خيرٌ ما ابتلاهم الله بهذا البلاء، فكلمه عمر بن العزيز في ذلك فأمسك عنهم وأمر أن يعزلوا في قرية ولا يخالطوا الناس(١).

وثار أهل فلسطين ضد بني أمية في أواخر عهد الأمويين مرتان هما:

الأولى: في خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٥م، فبعد مقتل الوليد ابن يزيد(٢)، ثار أهل فلسطين على عاملهم **سعيد بن عبد الملك** الذي استعمله الوليد ابن يزيد، فطردوه وأحضروا **يزيد بن سليمان بن عبد الملك** ليتولى أمرهم، وكان أولاد سليمان ينزلون فلسطين وأهل فلسطين يحبونهم لجوارهم، فلما بلغ خبرهم أهل الأردن ولّوا عليهم **محمد بن عبد الملك** واجتمعوا مع أهل فلسطين على قتال يزيد بن الوليد، وكانت سيادة أهل فلسطين **لسعيد بن روح بن زنباع وضبعان بن روح بن زنباع**، فلما وصل خبرهم إلى يزيد بن الوليد أرسل إليهم سليمان بن هشام بن عبد الملك في أهل دمشق وأهل حمص ومعهم **السفياني** وكانوا يزيدون على ثمانين ألف رجل، وراسلهم يزيد بن الوليد، وبذل لهم المال والولاية فأقنع أهل فلسطين ورحلوا وبقي أهل الأردن حيث تمكن الجيش الذي قاده سليمان بن هشام من دخول قراهم ونهبها فتجرأ أهل الأردن على الانقلاب على محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان فعادوا إلى قراهم وبايعوا يزيد بن الوليد، كما بايع أهل فلسطين وبذلك تمكن الأمويين من التخلص من ثورة فلسطين والأردن(٣).

والثانية: في خلافة مروان الثاني (ابن محمد)، وهي من أخطر الحركات المناهضة لحكمه، حيث خرج **ثابت بن نعيم الجذامي** وهو من أهل فلسطين على مروان الثاني، وأخذ يحرّض سكان القرى على خلع طاعة مروان، وقاد حملة من أهل فلسطين ضد بني أمية، فتوجه إلى طبرية وعليها الوليد بن معاوية بن مروان، فقاتلها ورد عليه أهلها، فأمر

---

(١) اليعقوبي: التاريخ، ج٢ ص٢٢٤.

(٢) الطبري: الرسل والملوك، ج٧ ص٢٥٢، المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ص٢٣٥.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٧ ص ٢٦٦-٢٦٩، ابن الأثير: الكامل، ج٤ ص٢٧١.

مروان الثاني قائده أبا الورد بن الكوثر بالمسير إليهم، فلما اقترب من طبرية خرج أهلها إلى ثابت فقاتلوه حتى انهزم وتفرّق أُصحابه فانصرف إلى فلسطين[١].

ولاحقه أبو الورد إلى فلسطين فالتقوا واقتتلوا ثانية، ثم تعرّض ثابت مرة أخرى وأسر ثلاثة من أولاده وحملوا إلى مروان الثاني في دمشق بينما اختفى ثابت مع ولده رفاعة إلى أن تمكن منه والي فلسطين الجديد الرماحس بن عبد العزيز الكناني فقبض عليه وأرسله إلى دمشق حيث قتل مع أولاده[٢].

واهتم خلفاء بني أمية بعد أن صاروا خلفاء المسلمين في بلاد الشام بنشر الثقافة العربية الإسلامية في مدن الشام، واحتلت مدينة بيت المقدس المقام الأول لمكانتها الدينية ولوجود المسجد الأقصى فيها وهو أولى القبلتين ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك كثر العلماء في المسجد الأقصى في شتى ميادين المعرفة وكثر فيه القراء والمحدثون والمفسرون والفقهاء، حيث كانوا يدرسون فيه ويدرّسون علوم الدين الإسلامي من قراءات وتفسير وأسباب نزول وغير ذلك، وبذل الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعمر بن عبد العزيز جهوداً كبيرة في تعليم أهل الشام، وأهل بيت المقدس خصوصاً، فأوفدوا القراء والحفاظ والعلماء إلى المدينة وأغدقوا عليهم من أسباب الرق والمعيشة[٣].

فيذكر أحمد بن محمد المقدسي أنه ورد عن إبراهيم بن أبي عبلة -وهو من كبار علماء الحديث ورواته- أنه كان يقول: (يرحم الله الوليد وأين مثل الوليد، كان يعطيني قصاع الفضّة فأقسمها على قرّاء مسجد بيت المقدس)[٤].

---

(١) الطبري: الرسل والملوك، ج٧ ص٣١٤-٣١٥، ابن كثير: البداية والنهايه، ج١٠، ص٢٥، سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص١٧٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٤ ص٢٨٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص٢٥.

(٣) انظر زيدان كفا في وآخرون: القدس عبر العصور، جامعة اليرموك ٢٠٠١م، ص٨٣-٨٤.

(٤) المقدسي:مثير الغرام ص٤٥، أحمد بن علي السيوطي: إتحاف الأخصّا، ج٢ ص٤٣، جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٢م، ص٢٢٤.

وكان أيضاً سليمان بن عبد الملك يكرم العلماء ويحترمهم[1]، لذلك ازدهرت الحركة العلمية في مدينة القدس، فأمَّها العلماء وأقاموا فيها.

أما اليهود فقد حرِّم عليهم الإقامة في المدينة منذ خلافة عمر بن الخطاب، واستمر ذلك في عهد الخلفاء الراشدين، وفي صدر الدولة الأموية، فلم يجرؤ أحدٌ من يهود على دخول المدينة والإقامة فيها، فلما كانت خلافة عبد الملك بن مروان استخدم اليهود في أعمال النظافة وخدمة المساجد في مدينة القدس، وهما مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك[2].

مسجد قبة الصخرة المشرفة

توجد أهم المباني الإسلامية في مدينة القدس في المنطقة التي تعرف باسم الحرم القدسي الشريف، ويوجد الحرم في ذلك المكان المقدس الذي يشكل قمة جبل موريا، وهي منطقة واسعة تبلغ مساحتها (١٤٠٩٠٠) متراً، أي ما يقارب (١٤١) دونماً[3].

فهذا هو المكان الذي انتهى إليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء ومنه عُرج به إلى السموات العلى، وفيه صلى النبي عليه الصلاة والسلام بالأنبياء والمرسلين ليلة الإسراء والمعراج[4]، وفي هذا الحرم أقام عبد الملك بن مروان المسجد المشهور المعروف بمسجد قبة الصخرة المشرفة، وكذلك بنى ابنه الوليد أو أتم بناء المسجد الأقصى المبارك.

---

(١) السيوطي: إتحاف الأخِصّا، ج٢ ص٤٣-٤٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم: ص١٧١.

(٣) شفيق جاسر أحمد: تاريخ القدس، ص٢٠٩، عفيف البهنسي: الشام الحضارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٦م، ص١٦٣.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٢٩٥.

يعتبر مسجد قبة الصخرة المشرفة من أهم المباني الإسلامية التي أقامها الأمويون في مدينة القدس في مكان يتوسط الحرم الشريف وحول الصخرة المقدسة (صخرة بيت المقدس)، ويعود بناء هذا المسجد إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان[١] (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٤م)، فابتدأ في بنائها سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م وأتم بناءها سنة ٧٢هـ/ ٦٩٢م[٢].

واختلف المؤرخون في ذكر الأسباب التي دفعت الخليفة عبد الملك بن مروان لبناء هذا المسجد، فيذكر اليعقوبي أن عبد الملك منع أهل الشام من الحج، فعبد الله بن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضجَّ الناس وقالوا: تمنعنا من حجِّ بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا؟ فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: (لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس)، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة وعلّق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة، وأخذ الناس يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أميّة[٣].

---

(١) انظر اليعقوبي: التاريخ، ج٢ ص١٧٨، المقدسي البشاري: أحسن التقاسي ص١٦٨-١٦٩، ابن الفقيه:مختصر كتاب البلدان، ص٩٧، أحمد بن محمد المقدسي:مثيرالغرامص٤١، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٠٠، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١ ص١٨٨، وهناك من ينسب خطأ بناء مسجد قبة الصخرة إلى الوليد بن عبد الملك (انظر عبد العزيز الدوري:القدس في الفكر الإسلامي، ص١٠، شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢٠٢-٢٠٣).

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٠٠.

(٣) اليعقوبي: التاريخ، ج٢ ص١٧٧-١٧٨، وانظر أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١ ص١٨٨.

وعوّل بعض الدارسين المحدثين على هذا الأمر واتهموا الخليفة عبد الملك بن مروان بأنه حوّل حجّ المسلمين من مكة إلى بيت المقدس(١)، إلاّ أن هذا الإتهام مرفوض لأسباب كثيرة منها: أن موضوع الحج هو فريضة من الله سبحانه وتعالى لا يستطيع لا عبد الملك ولا غيره إلغاءها أو استبدالها، قال تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)(٢)، فالحج لا يكون لغير البيت الحرام بنص القرآن الكريم، ولا يستطع عبد الملك أن يغيرّ للمسلمين أمراً نصَّ عليه القرآن الكريم وعلى مكانه.

ومنها أن عبد الملك بن مروان كان أحد العبّاد الفقهاء القارئين للقرآن الكريم، وشهد له بعض أهل العلم والدين أمثال عبد الله بن عمر ونافع(٣)، فلا يعقل أن يقدم رجل مؤمن عابد قاريء للقرآن الكريم على ارتكاب خطأٍ جسيم، ومخالفة دينية كبيرة تجعل صاحبها محط احتقار من جميع المسلمين، بل ومخالفة تخرج صاحبها من الإسلام، هذا ولم ينقطع الحج إلى مكة في خلافة عبد الملك بن مروان(٤)، لكن ربما كانت توجَّه نصائح لحجاج الشام حتى لا يتعرضوا لاستمالةٍ من قبل عبد الله بن الزبير الذي استقلّ بالحجاز، فاستغلّ أعداء بني أمية هذا واتهموا عبد الملك بأنه حوّل الحجَّ إلى بيت المقدس.

واتخذ بعض الكتاب المحدثين والمستشرقين من هذا ذريعة لتوجيه الإتهام ليس فقط لعبد الملك وحده وإنما لجميع خلفاء بني أميّة من بعده أيضاً، ففي كتاب القدس لبرشيم وسولانج أن عبد الملك بن مروان منع أهل الشام من الحجّ إلى مكة وقام بتشييد قبة كبيرة وجميلة فوق الصخرة، وركب عليها ستائر من الحرير وعيّن عليها إماماً، ثم أمر الناس

---

(١) انظر فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج٢ ص١٢٩، محمد حسنين هيكل: الامبراطورية الإسلامية ص١٧٩-١٨٠، Creswell: Eraly Muslim Architcure, New Yourk. 1979. p 65.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٣) انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩ ص٦٦-٧٠: جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢١٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥ ص٢٢٨، حمد أحمد عبد الله:بيت المقدس، ص٧٧.

بالطواف لاتمام شعائرهم الدينية كما يفعلون حول الكعبة،وقد دام هذا الطواف حتى آخر حكم الأمويين[1]، وهذا غير صحيح.

أما الأسباب الحقيقية التي دفعت عبد الملك لبناء مسجد قبة الصخرة المشرفة في مدينة القدس فهي ترجع إلى المكانة الدينية التي تتمتع بها مدينة القدس عند المسلمين، إذ أن فيها القبلة الأولى لهم وهو المسجد الأقصى المبارك، وفيها الحرم القدسي الشريف الذي يحتضن المسجد المذكور(الأقصى المبارك)، كما يضم الصخرة المقدسة التي وقف عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم لّما عُرج به إلى السماء وحول هذه الصخرة المباركة كان بناء عبد الملك لمسجد قبة الصخرة.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدلُّ على فضل بيت المقدس وفضل الصلاة في مسجد بيت المقدس[2]، وأنه من المساجد التي تشدُّ إليها الرحال.

وفي الحرم الشريف كان المسلمون يقيمون صلاتهم ويتعبدون إلى الله تعالى، فلما تولى عبد الملك بن مروان أراد أن يقيم لهم بناءً يقيهم حرَّ الصيف وبرد الشتاء[3]، ونظر عبد الملك إلى روعة الكنائس في بيت المقدس فأراد أن يقيم للمسلمين مسجداً يضاهي بضخامته وروعته وجماله ما كان لكنائس النصارى في مدينة القدس وفي فلسطين[4]، فورد عند المقدسي أن عبد الملك لّما رأى عظم قبة القمامة وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين، فنصب على الصخرة قبة أعظم وأروع[5]، هذا بالإضافة إلى أنه أراد من عمله التقرب إلى الله تعالى طلباً للأجر والثواب.

---

(١) برشيم وسولانج: القدس في أعمال فان برشيم، دار الشام، دمشق ١٩٩٤م، ص٣٢.

(٢) انظر ناصر خسرو: سفر نامة ص٦٧، السيوطي اتحاف الأخِصّا، ج١ ص١٣٨، العليمي: الأنس الجليل ج١ ص٣٤٩.

(٣) شمس الدين السيوطي: إتحاف الأخِصّا، ج١ ص٢٤١، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٠١.

(٤) برشيم وسولانج: القدس، ص٣٢، محمد أحمد عبد الله: بيت القمدس، ص٧٦.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٥٩.

ولم يقدم عبد الملك على تنفيذ مشروعه إلاّ بعد أن استشار رعيته، فكتب إلى عماله في الأمصار ليأخذوا رأي الرعية ويكتبوا إليه، فوردت عليه الكتب من الأمصار بأن رأي أمير المؤمنين رأياً موفقاً رشيداً مع دعائهم له بالتوفيق(١).

وكانت في منطقة الحرم القدسي صخرة تعرف بصخرة بيت المقدس، وهي من الحجر الصلد غير المشذّب، تشبه شكل المستطيل طولها ١٨ متراً وعرضها ١٣ متراً تقريباً، وارتفاعها حوالي مترين(٢)، وترجع قدسية هذه الصخرة إلى الأمور التالية:

أ. الاعتقاد بأن إبراهيم عليه السلام همَّ بذبح ولده عليها قرباناً لله تعالى، فافتداه الله بكبش عظيم، وأن آثار أقدام إسحاق عليها(٣).

ب. الاعتقاد بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقف على هذه الصخرة في رحلة الإسراء والمعراج، قبل أن يعرج إلى السماء، فلامستها قدماه الشريفتان، أو أنه وضع يداه الشريفتان عليها(٤).

ج. ما يعتقده بعض المسلمين من أن أنهار الجنة تخرج من تحت هذه الصخرة(٥).

د. لوجودها في منطقة الحرم القدسي الشريف الذي يضم مسجداً من أعظم المساجد وأقدسها وهو المسجد الأقصى الذي هو أولى القبلتين.

لهذا أراد عبد الملك بن مروان أن يكون المسجد الذي عزم على بنائه يضم هذه الصخرة، بحيث تكون وسط المسجد ويقام فوقها قبة تشير إلى مكانها.

---

(١) شمس الدين السيوطي: إتحاف الإخِصّا، ج١ ص٢٤١، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٠١.

(٢) وانظر ابن بطوطة: الرحلة: دار صادر، بيروت ١٩٩٢م، ص٥٨.

(٣) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٧.

(٤) ن. م، ص٦٨.

(٥) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٩٣، غرس الدين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس ١٨٩٤م ص٢٠، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٣٥٧.

ولما توفرت له كل الأسباب المسوغة لمشروعه قرّر أن يبدأ العمل، فجمع الصّناع والمهندسين ورصد لعمارة المسجد خراج مصر سبع سنين(١)، وكلّف مهندسين مشهورين بالإشراف على هذا البناء وهما من فلسطين:

١ - رجاء بن حياة الكندي: من بيسان وهو من شيوخ أهل الشام ومن جلساء الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز.

٢- يزيد بن سلام: مولى عبد الملك بن مروان وهو من أهل بيت المقدس.

وصف عبد الملك ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع الذين استقدمهم للعمل في البناء، فصنعوا له قبة صغيرة موجودة الآن شرقي قبة الصخرة يقال لها قبة السلسلة، فأعجبه تكوينها وأمر ببناء القبة فوق الصخرة كهيئتها(٢).

وشرع المهندسان رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام بالإشراف على البناء الذي بدأ سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م أو سنة ٦٨هـ/ ٦٨٨م، فتمّ إنجاز البناء على أروع ما يكون البناء في سنة ٧٢هـ/ ٦٩٢م، فأحكموا البناء ولم يبق لمتكلم فيه كلام، لما ظهر فيه من الدقة والإتقان وحسن البناء.

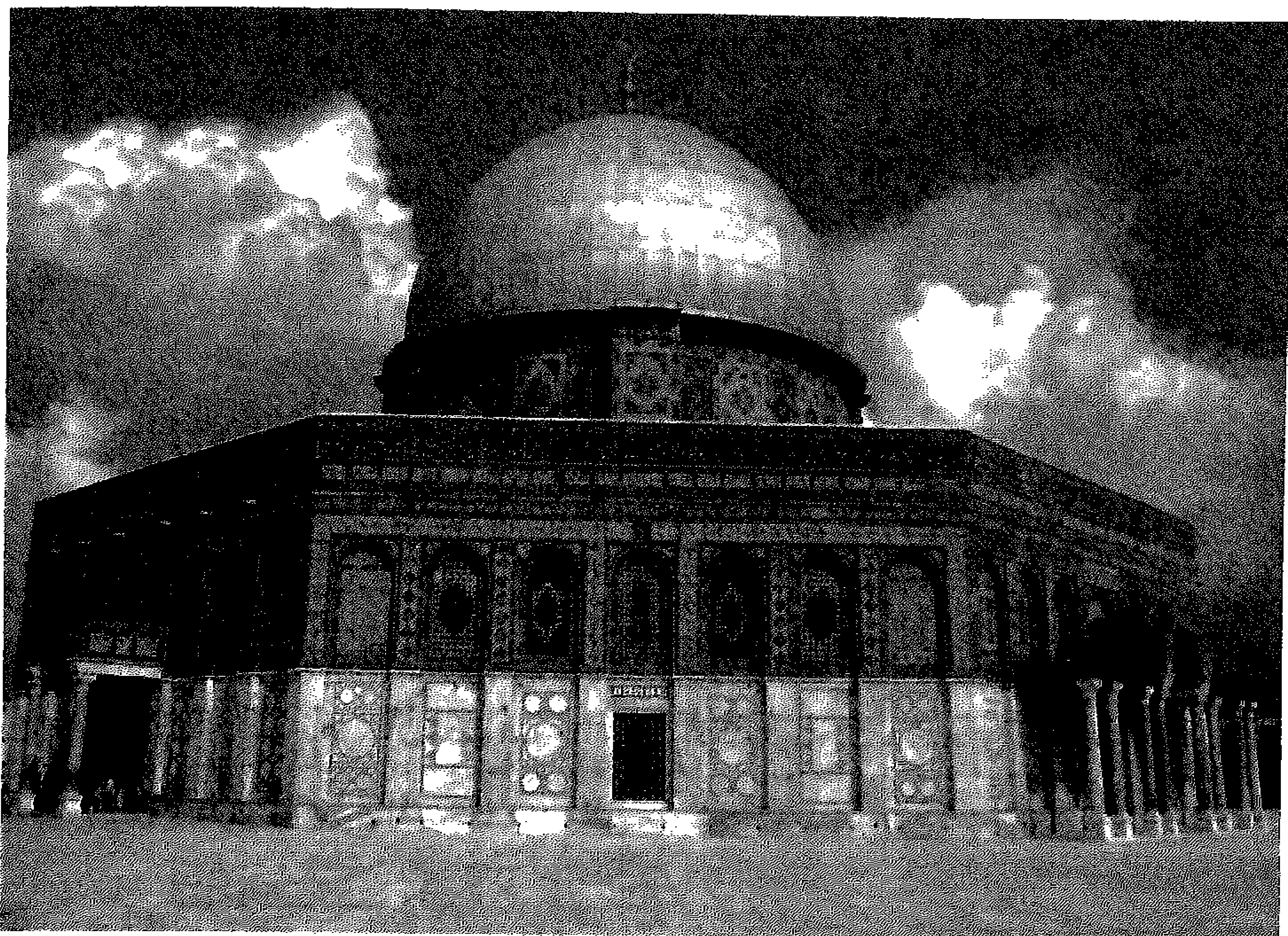
وكتب رجاء ويزيد إلى الخليفة عبد الملك في دمشق بانتهاء البناء كما أراد أمير المؤمنين، وقد بقي من المال الذي رصد للنفقة عليه مائة ألف دينار، ولأمير المؤمنين أن يصرفها فيما أحبّ، فأمر بأن تصرف جائزة للمهندسين، إلاّ أنهما رفضا قبولها واعتبروا أن واجبهما أن ينفقا على المسجد من ماليهما، فكتب إليهما عبد الملك بأن تسبك النقود وتفرغ على القبة، فسكبت وأفرغت على القبة(٣).

ورتب عبد الملك بن مروان من يقوم على خدمة مسجد قبة الصخرة المشرفة، فخصّص لها (٣٠٠) ثلاثمائة شخص تمّ شراؤهم من بيت المال -وكلما مات واحد منهم حلّ محلّه ولده أو ولد ولده أو شخص من أهل بيته، وكان فيهم عشرة من اليهود لا

(١) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٠١.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٠١، عفيف البهنسي: الشام الحضارة، ص١٦٥.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٠٢.



مسجد قبة الصخرة المشرفة

تؤخذ منهم الجزية، ثم زيدوا إلى عشرين من أبنائهم لتنظيف الساحات في الصيف والشتاء وتنظيف المطاهر التي حول الجوامع، كما خُصّص عشرة من النصارى لعمل الحُصر وكنسها، وتنظيف القني التي تجري فيها صهاريج الماء، بالإضافة إلى عدد من اليهود لعمل القناديل والأضوية الزجاجية(١).

واستمر هؤلاء اليهود في خدمة المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة في خلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك وفي خلافة سليمان بن عبد الملك، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أخرجهم وأبطل عملهم(٢)، وجعل خدمة الحرم القدسي مقصورة على المسلمين.

وأمر خلفاء المسلمين بأن تغسل الصخرة وتطيب مرتان في الأسبوع وفي كل اثنين وخميس؛ حيث يأتون بالزعفران فيُدقُّ ويطحن ويُخمَّر مع المسك والعنبر والماورد الجوري، ثم يأتي الخدّام ويغتسلون ويتطهرون ويلبسون ثياباً جديدة من الحرير أعدّت خصيصاً لهذه الغاية، ثم يأخذون العطور والأطياب ويلطخون به الصخرة، ثم يأتون بمجامر الذهب والفضّة ويجعلون فيها العود والند والمسك والعنبر ويدورون بالبخور حولها حتى كانت رائحة البخور والأطياب تملأ الأسواق المجاورة، وبعد الانتهاء من تطييبها يؤذن للناس بالدخول إليها(٣).

وصف البناء

مسجد قبة الصخرة المشرفة مثمن منتظم(٤) طول ضلعه ٢٠,٦ متراً، وارتفاع الجدران الخارجية للبناء ٩,٥٠متراً، ويعلو الجدران حاجز السقف بارتفاع ٢,٦٠متراً(٥)،

---

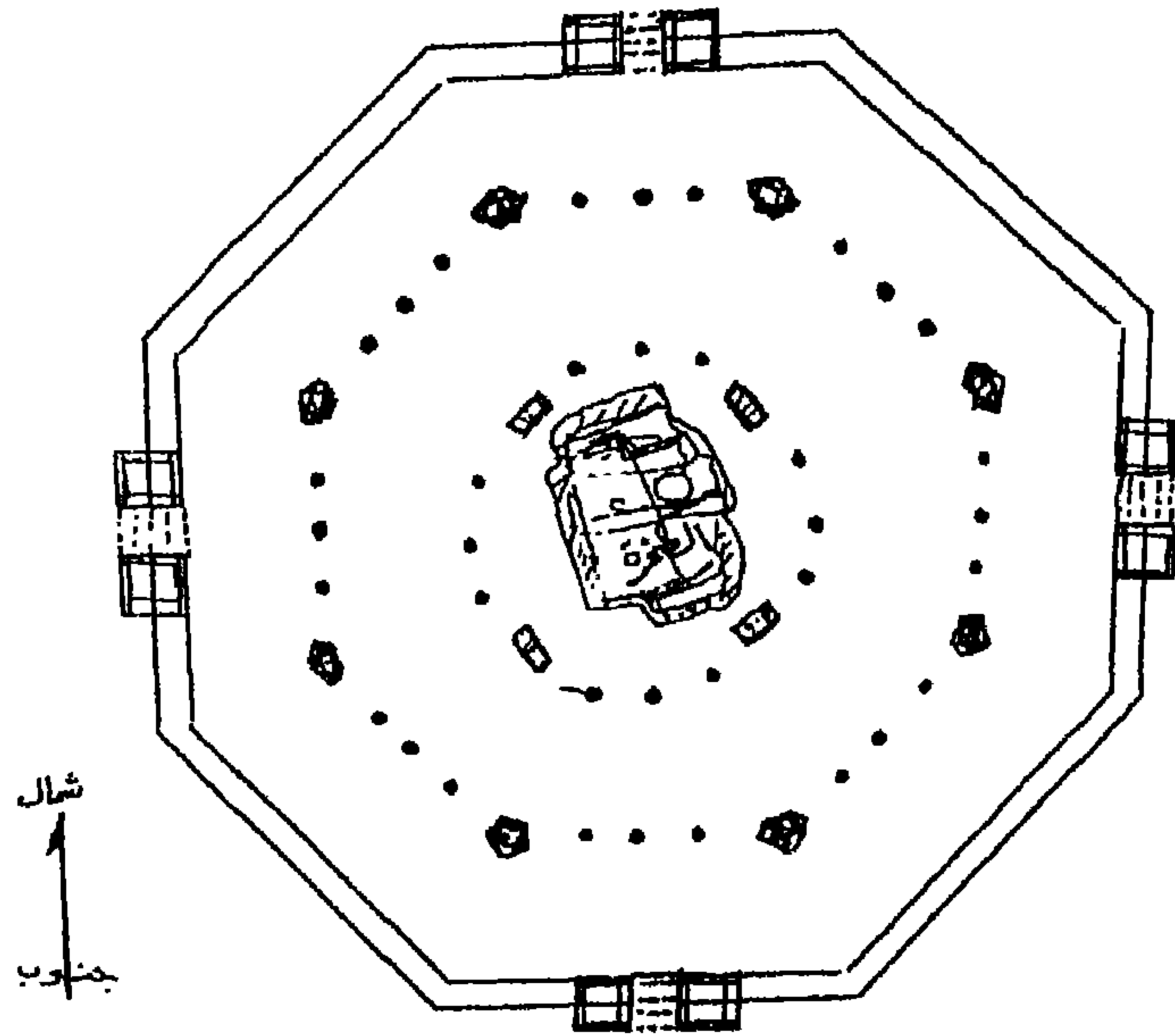
(١) السيوطي: اتحاف الأخِصّا، ج١ ص٢٤٤-٢٤٥.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٣، محمد أحمد محمود: المسجد الأقصى في الكتب المقدسة ص١٢٨.

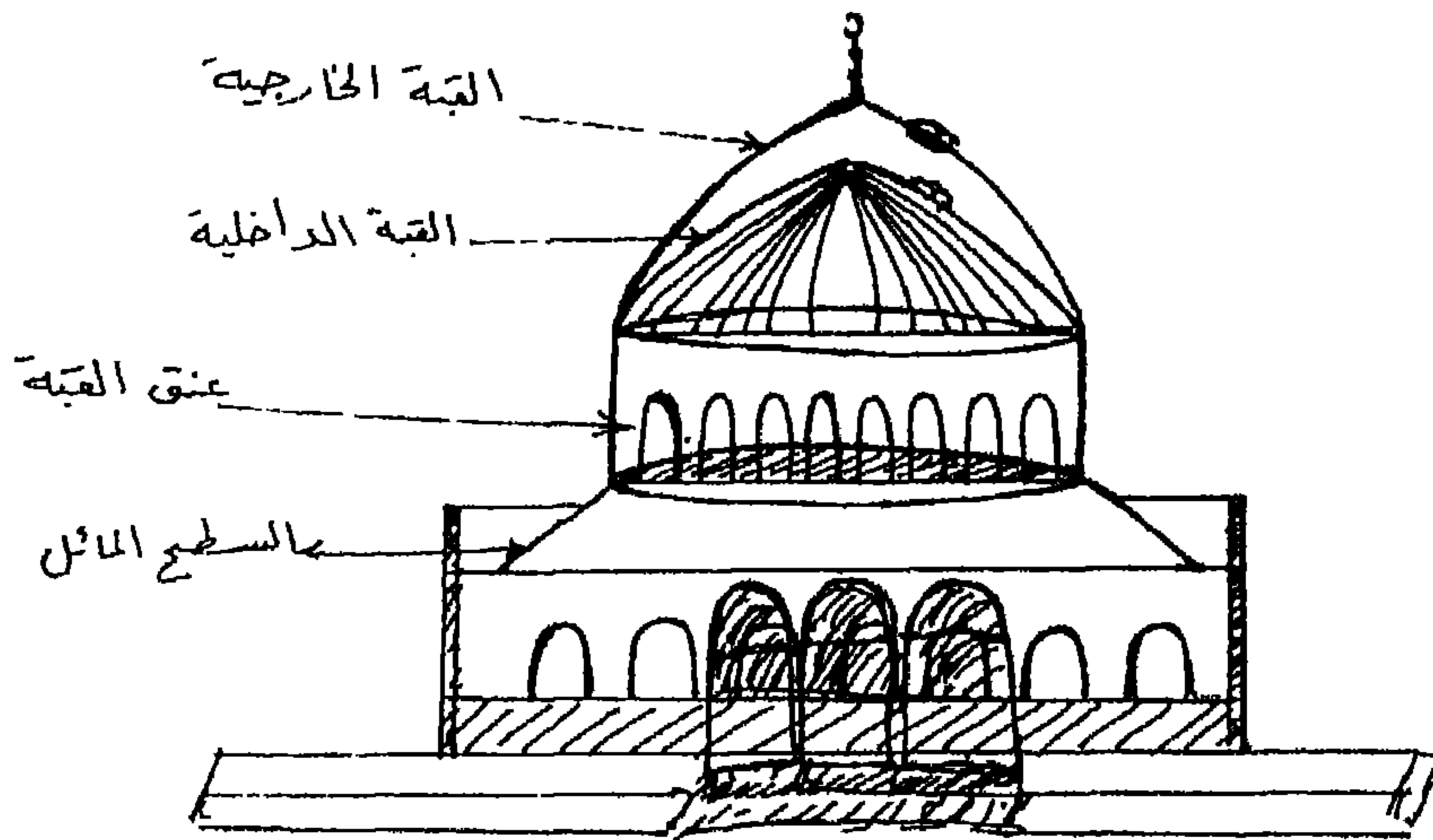
(٣) السيوطي: إتحاف الإخِصّا، ج١ ص٢٤٢-٢٤٣.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم ص١٦٩.

(٥) كرزول: الآثار الإسلامية الأولى ص٣٥، عفيف البهنسي: الشام الحضارة ص١٦٧.



مخطط مسجد قبة الصخرة المشرفة



مقطع أمامي لمسجد قبة الصخرة المشرفة

وفي وسط هذا المثمن مثمن آخر من القواعد (دعائم) والأعمدة، طول ضلعه ٤٥ , ١٤ متراً وظيفته المساعدة في حمل السقف ما بين القبة والجدران الخارجية، وكان السقف من الخشب ومغطى بالرصاص وهو منحدرٌ قليلاً إلى الخارج[١].

المثمن الداخلي يتكون من ثمانية دعائم وبين كل دعامتين عمودين فيكون هناك ١٦ عموداً[٢]، تمَّ الوصل بينها وبين الدعائم بأقواس مزينة بالرسوم الجميلة، وفوقها أفاريز كتب عليها بالخط الكوفي آيات من القرآن الكريم[٣]، وداخل المثمن الداخلي توجد أربعة دعائم وبين كل دعامتين ثلاثة أعمدة، بحيث تشكل معاً دائرة، وتربط بين الدعائم والأعمدة الأقواس التي أقيم فوقها رقبة (عنق) Drum لتحمل القبة التي تعلو الصخرة، فالصخرة موجودة داخل الدائرة المذكورة.

ويبلغ قطر القبة ٤٤ , ٢٠ متراً، وتتكون من طبقتين (قبتين)، إحداهما داخلية من الخشب، وأخرى خارجية وهي العليا ومكسوة بصفائح من النحاس المذهب[٤].

أما نوافذ البناء التي استخدمت لإدخال النور إلى داخل البناء لإضاءته فقد توزعت على الجدران الخارجية وعنق القبّة، فكان في كل جدار من الجدران الخارجية سبعة محاريب (نوافذ) اثنتان مغلقتان من الأطراف، وخمسة في الوسط مفتوحة هي التي يدخل منها النور، وبما أن للبناء ثمانية أضلاع، فإن عدد النوافذ المفتوحة فيها يكون أربعون (٤٠) نافذة، وفي عنق القبة (الرقبة) توجد (١٦) نافذة، فيكون مجموع نوافذ البناء (٥٦) نافذة[٥]، وفوق كل نافذة من هذه النوافذ زخرفة جميلة، هي آية قرآنية، والنوافذ مغطاة بأنواع الزجاج[٦].

---

(١) كرزول: الآثار الإسلامية، ص٣٦.

(٢) Creswell: Eraly Muslim Architcure, New Yourk. 1979. p 65

(٣) عفيف البهنسي: الشام الحضارة، ص١٦٧.

(٤) ابن الفقيه:مختصر البلدان، ص٩٧، كرزول: الآثار الإسلامية، ص٤٨.

(٥) Creswell: Architecture, vol d,p 69

(٦) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٩٧.

وللبناء أربعة أبواب محوريّة، وكل بابين متقابلين، ويبلغ عرض كل باب منها ٢,٦ متراً وارتفاعه ٣,٤ متراً، وفوق كل باب من هذه الأبواب نافذة ذات قوس نصف دائري، وكانت هذه الأبواب من الخشب[1]، ويتقدم كل باب من هذه الأبواب سقيفة مقامه على أعمدة.

ويشتمل مسجد قبة الصخرة المشرفة على لوحات فنيّة رائعة سواءً على جدران البناء الخارجية، أو داخل البناء، فكان البناء مغطّى في الأصل بالذهب والفسيفساء المتعددة الألوان، إلاّ أنها استبدلت في عهد السلطان سليمان القانوي سنة ١٥٥٢م بطبقة من القاشاني النادر الجميل[2]، فقد تعرّض البناء لأحداث متعددة قبل ذلك أتلف الكثير من أجزاء هذه الطبقة فأجريت ترميمات كثيرة للبناء.

وفي داخل البناء فإن الدعائم والأعمدة رخامية وذات تيجان مذهبة وفسيفساء خضراء وزرقاء ومذهبة، وواجهات البناء الداخلية مغطاة بطبقة من الفسيفساء الزجاجية الملونة بزخارف جميلة بالألوان الأخضر والأزرق والأحمر والأبيض والذهبي، وتشتمل على موضوعات زخرفية رائعة منها: أشكال هندسية وكتابات ونباتات وأزهار وكؤوس ومزهريات، فتوجد فيها رسوم الأشجار الطبيعية، فتشتمل على أشجار النخيل والزيتون واللوز، وأشجار الفاكهة كالعنب والرمان ورسومات لأوراق الأشجار[3].

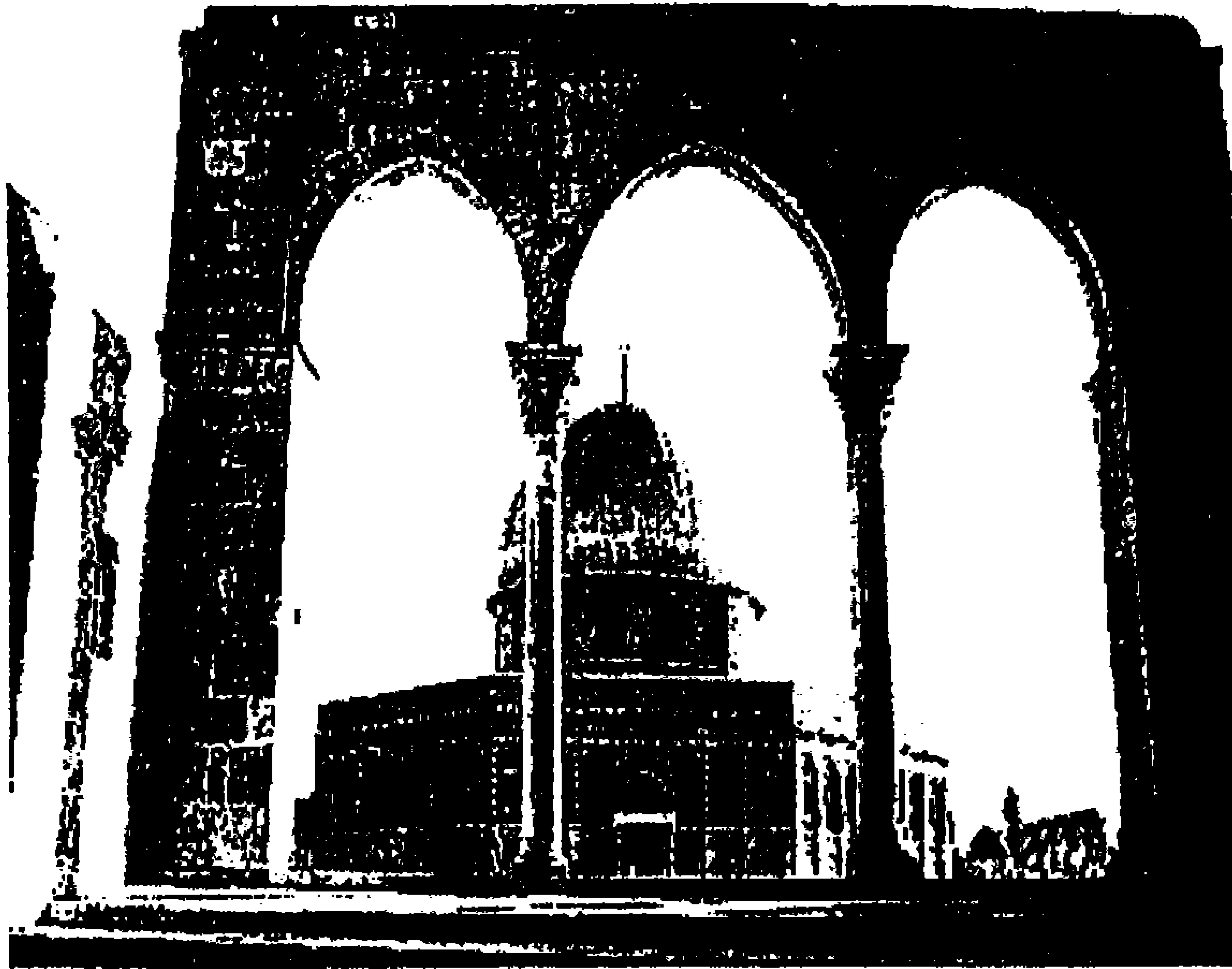
وتوجد في بعض رسومات الفسيفساء رسوماً للنجوم والأهلة، كما توجد صور ورسوم للأشكال الهندسية المختلفة من أجمل ما أبدعت يد الفنانين، هذا بالإضافة إلى الكتابات القرآنية بالخط الكوفي بحيث ظهرت في غاية الروعة والجمال، وهي تشكل لوحات فنيّة تعلو قسماً من واجهات البناء ومكتوبة على أرضية زرقاء داكنة من الزخارف الفسيفسائية في الجزء العلوي من المثمن الداخلي.

---

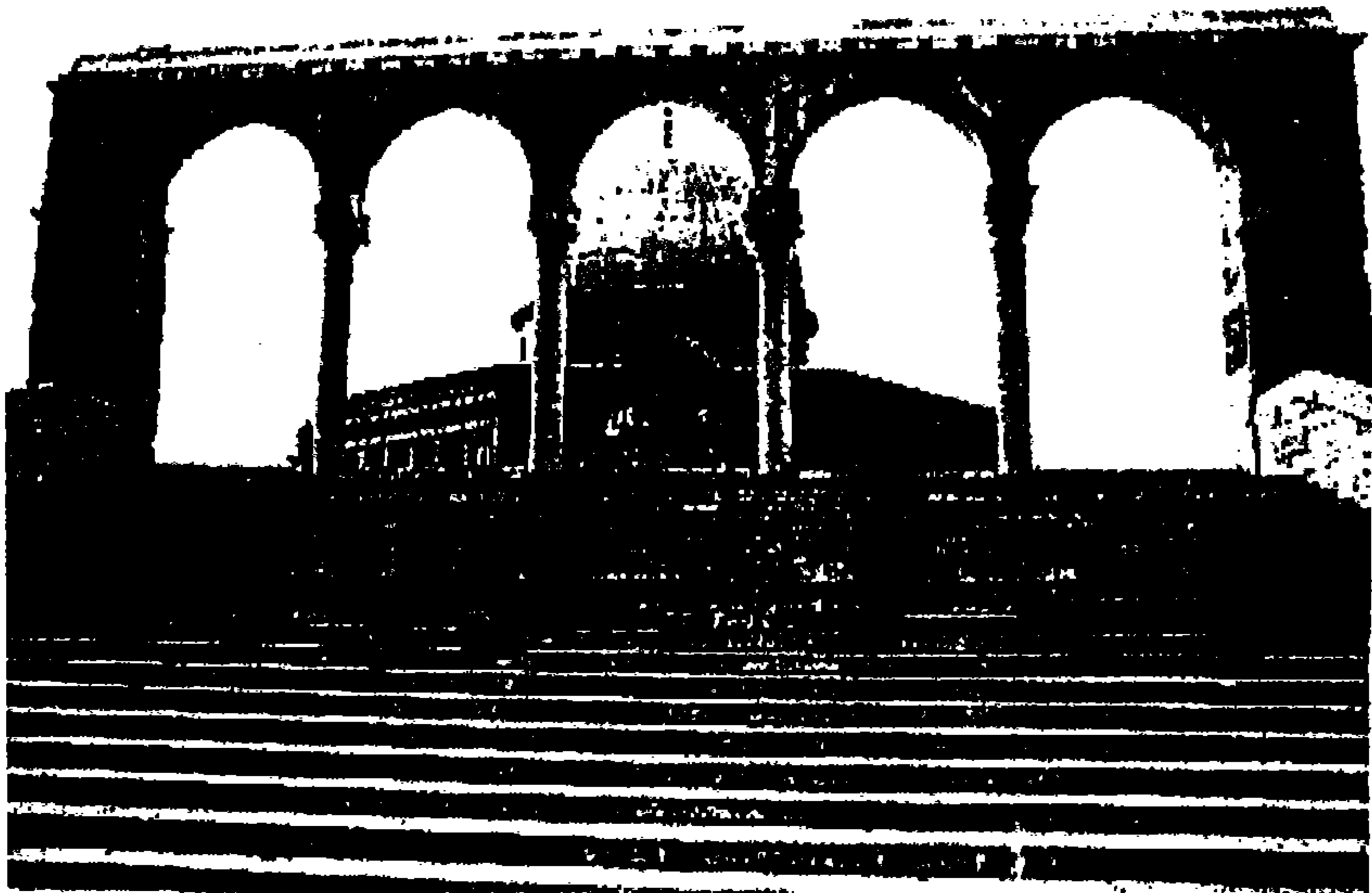
(١) انظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٦٩، كرزول: الآثار الإسلامية ص٤١.

(٢) كرزول: الآثار الإسلامية، ص٥٠.

(٣) كمال الدين سامح: العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م، ص٢٥-٢٦.



البائكة الغربية في الحرم القدسي



واجهة البائكة الشرقية في الحرم القدسي

وتشاهد في رسومات هذا البناء لفائف الكرمة تخرج من المزهريات في الوسط وتشكل الحناءات لليمين واليسار، وتخرج منها عناقيد العنب وأوراق الكرمة ذات خمسة رؤوس[1].

وما ورد في وصف هذا المسجد عند كل من ابن الفقيه وابن بطوطة ما يشير إلى عظمة هذا البناء وروعته، فيقول ابن الفقيه: (وفرش القبة رخام أبيض، وسقوفها بالذهب الأحمر، وفي دور حيطانها وفي أعلاها ستة وخمسون باباً مزججة بأنواع الزجاج، والباب ستة أذرع في ستة أشبار، والقبة بناها عبد الملك بن مروان على اثني عشر ركناً وثلاثين عموداً، وهي قبة على قبة عليها صفائح من الرصاص وصفائح من النحاس مذهبة، جَذْرها من داخل وخارج ملبّس بالرخام الأبيض)[2].

أما ابن بطوطة فيقول: (وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً، قد توفّر حَظّها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة وكذلك داخلها، وفي ظاهرها وباطنها أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يُعجز الواصف، وأكثر ذلك مغشي بالذهب، فهي تتلألأ نوراً، وتلمع لمعان البرق، يحار بصرُ متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها)[3].

المسجد الأقصى المبارك

ورد ذكر المسجد الأقصى في لقرآن الكريم بقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[4]، وكان المسجد الأقصى عند ذلك يعني كل منطقة الحرم القدسي،

---

(١) كرزول: الآثار الإسلامية، ص٤٤.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٩٧.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م، ص٥٨.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١.

وهو المكان الذي أسري بالنبي محمد صَلى الله عليه وسلم إليه وصلى فيه بالأنبياء والمرسلين.

ولما فتح المسلمون مدينة القدس أقام الخليفة عمر بن الخطاب المسجد الأقصى في الجهة الجنوبية من الحرم الشريف، ولعله المسجد الذي سمي بمسجد عمر، وكانت مساجد المسلمين تُبنى آنذاك من الخشب واللبن على الأغلب، ولذلك فهي لا تعمر طويلاً[1]، فلما كانت خلافة عبد الملك بن مروان جدّد بناءه أو بناه إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة المشرفة، إلاّ أن بناءه لم يكتمل، فأتمّ بناءه الوليد بن عبد الملك.

واختلف المؤرخون في أن يكون تمّ بناؤه في خلافة عبد الملك بن مروان أو في خلافة ابنه الوليد، فيذكر المقدسي أن عبد الملك بنى عليه بحجارة صغار حسان[2]، كما أورد الحنبلي أن بناء المسجد الأقصى تمّ في خلافة عبد الملك بن مروان[3]، وفي اتحاف الأخِصّا لشمس الدين السيوطي (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) أن عبد الملك بن مروان حين همَّ ببناء صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى قدم من دمشق إلى بيت المقدس[4].

ويبدو أن عبد الملك بدأ ببناء مسجد قبة الصخرة، أما المسجد الأقصى فكان بناؤه موجوداً، لكنه كان بحالة سيئة ويحتاج إلى تجديد وتوسعة، لذلك شرع الخليفة عبد الملك بالبناء في خلافته، إلاّ أن البناء لم يكتمل، فأتمّه ابنه الوليد[5]، ومن هنا جاء الاختلاف في أن يكون البناء من انجاز عبد الملك أو ابنه الوليد.

اتخذ البناء الشكل البازليكي المستطيل، وهو نظام كان شائعاً في بناء الكنائس في بلاد الشام قبل مجيء الإسلام، وقد وصف ابن الفقيه بناء المسجد الأقصى، فذكر بأن طوله كان ألف ذراع وعرضه سبعمائة ذراع، وقال بأن فيه أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود،

---

(١) حمد أحمد عبد الله: بيت المقدس، ص٩٤.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٦٨.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١١.

(٤) شمس الدين السيوطي: إتحاف الأخِصّا، ج١ ص٢٤١.

(٥) شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢٠٣-٢٠٤.



المسجد الأقصى المبارك

وخمسمائة سلسلة نحاس، ويُسرج فيه كل ليلة ألف وستمائة قنديل؛ وفيه من الخدم مائة وأربعون خادماً، ويصرف له كل شهر مائة قسط من الزيت لتستخدم في قناديل الإضاءة، وله ثمانمائة ألف ذراع من الحصر كل سنة، وفيه خمسة وعشرون جبّاً للماء[1]، وفيه ستة عشر تابوتاً للمصاحف المسبَّلة، وفيه أربع منابر للمطوعة وواحد للمرتزقة، وله أربعة مياضيء، وفيه ثلاثة مقاصير للنساء[2].

وورد وصفه عند ابن عبد ربّه باختلاف بسيط، فيذكر أن طول المسجد سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعاً، وعرضه أربعمائة وخمسة وخمسون ذراعاً بذراع الإمام، ويُسرج في المسجد ألف وخمسمائة قنديل، وفيه تسعة الآف وتسعمائة خشبة وخمسون باباً وستمائة وأربعة وثمانون عموداً، وفيه ثلاثة مقاصير للنساء، وستمائة سلسلة لتعليق القناديل، وفيه عشرة محاريب وخمس عشرة قبة، وأربعة وعشرون جّباً للماء، وأربع مناور للمؤذنين، وله مائتان وثلاثون مملوكاً يقبضون الرزق من بيت مال المسلمين ويصرف لكل منهم كل شهر سبعمائة قسط من الزّيت وثمانية آلاف من الحصر كل عام[3].

وتعرّض بناء المسجد الأقصى لمؤثرات عديدة، فتأثر بالهزّة التي حدثت سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، وأعيد ترميمه في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م[4]، وأعيد بناؤه من جديد في خلافة المهدي العباسي سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م، حيث وقع البناء، الذي أمر بتجديده أبو جعفر المنصور، فلما تولى المهدي وكان المسجد خراباً، فأمر ببنائه من جديد وقال: (رثّ هذا المسجد وطال، وخلا من الرجال، أنقصوا من طوله وزيدوا

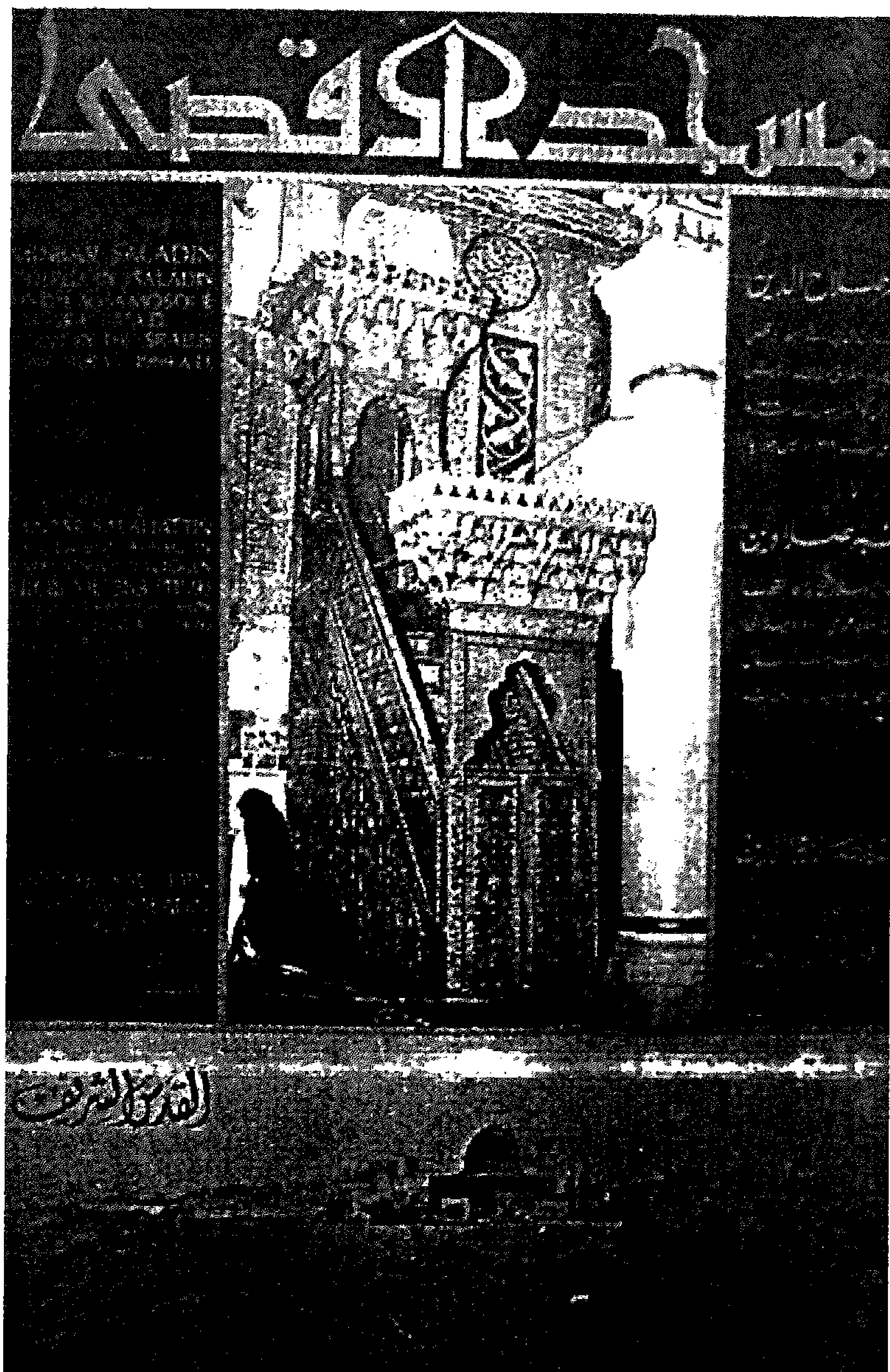
---

(١) ورد عند ابن الفقيه أنه كان فيه خمسة وعشرون ألف جبّ للماء، وهذا خطأ لأن هذا يعني أن مساحة الحرم مضاعفة لا تتسع لهذا العدد الهائل من الآبار (انظر ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٩٦).

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص٩٦-٩٧.

(٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص٩٦-٩٧.

(٤) ابن عبد ربة: العقد الفريد: تحقيق عبد المجيد الترمسيني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج٧ ص٢٩٠-٢٩١.



منبر صلاح الدين

في عرضه)[1]، وكان نظر إلى شكل البناء فوجد أنه طويل جداً وأن طوله لا يناسب عرضه، فأمر بإجراء تعديل على طول البناء وعرضه، فبني المسجد على الشكل الذي هو عليه اليوم، حيث يبلغ طول المسجد (٨٠) ثمانون متراً، وعرضه (٥٥) خمسة وخمسون متراً[2].

وكان للمسجد سبعة أبواب أكبرها الباب الأوسط وهو الباب الرئيس، وكان ملبساً بالنحاس – وكان بيت الصلاة فيه يتكون من (٢٦) رواقاً وتتوسط الرواق الأوسط قبة لطيفة تحملها أعمدة رخامية أقيمت فوقها عقود تحمل القبة[3]، والجزء المسقوف من المسجد يقع عند الحائطين الجنوبي والغربي، وسقف البناء من الخشب المنقوش المحلى بالزخارف والمغطى بصفائح من الرصاص[4].

(١) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٤، حسين مؤنس: المساجد، ص١٨٧.

(٢) عفيف البهنسي: الشام الحضارة، ص١٧٥.

(٣) حسين مؤنس: المساجد، ص١٨٧-١٨٨.

(٤) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٦٢-٦٣.

الفصل السادس

استمرار الهوية عربية إسلامية

١. مقدمة

٢. العصر العباسي

٣. هارون الرشيد والقدس

٤. ثورة المبرقع اليماني

٥. الطولونيون

٦. الإخشيديون

٧. الفاطميون

٨. علماء القدس في العصر الإسلامي

استمرار الهوية عربية إسلامية

مقدمة:

سقطت دولة بني أميّة سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، وتولى العباسيون الخلافة في العالم الإسلامي[١]، وكانت فلسطين في العصر العباسي جنداً تابعاً لدمشق من الناحية الإدارية، وعين عليها أبو العباس يحيى بن جعفر الهاشمي حتى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م، فعين عليها عمّه عبد الله بن علي، ثم عمّه صالح بن علي إلى سنة ١٣٤هـ/ ٧٥١م[٢].

وفي خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) فصلت فلسطين عن ولاية الشام باعتبارها منطقة لها أهمية لوجود مدينة القدس فيها حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين ومسرى الهدى محمد صلى الله عليه وسلم، وعين عليها المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الذي أساء السيرة في أهل فلسطين مما دفعهم للشكوى عليه فقدموا اعتراضهم إلى عاصمة الخلافة فتمّ عزله عن فلسطين، إلاّ أن الخلافة عادت لاستعماله عليها مرّة أخرى مما أثار نقمة أهل فلسطين فتمردوا عليه، فلما قام الخليفة بزيارة القدس سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٨م بعد عودته من الحج، خفف من نقمة أهل فلسطين وغضبهم على دولة الخلافة[٣].

وتحدث المقدسي البشاري عن المسجد الأقصى في العصر العباسي فذكر بأنه كان أحسن من جامع دمشق، غير أن الزلزلة التي حدثت في خلافة أبي جعفر المنصور ألحقت بالمسجد أضراراً كبيرة فطرحت المغطى، ودمّرت بعض أجزائه، ولم تكن خزينة الدولة تفي بإعادة بنائه على ما كان مما دفع الخليفة للإستعانة بأمراء الأطرف من ولاة المسلمين

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٤ ص٣٢٢-٣٢٤.

(٢) ن. م، ج٤ ص٣٤٠، ٣٤٤.

(٣) انظر المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ص٣٣٤، ابن الأثير: الكامل، ج٤ ص٣٦٥، زيدان كفافي وآخرون: القدس عبر العصور، ص١١٠.

وسائر القواد التابعين لدولة الخلافة، فامتثلوا أمره وقام كل واحدٍ منهم ببناء رواق من أروقة المسجد حتى عاد أحسن مما كان عليه من قبل(١).

وهناك الكثير من المعلومات المتضاربة عن مدينة القدس خلال العصر العباسي، فمن يذكر زيادة اهتمام الخلفاء بالمدينة، ومن يذكر تردي أحوال المدينة خاصة ما يتعلق بمعاملة أهل الذمة، ولعل هذا عائد لتضارب مصالح واتجاهات وأراء وانتماءات من كتب عن المدينة، إلاّ أن الذي لا شك فيه أن مدينة القدس بقيت في المقام الأول بين مدن الشام خلال العصر العباسي، رغم وجود شيء من الجفوة عند سقوط الخلافة الأموية وهذا أمر طبيعي، ربما بسبب حذر السلطة الجديدة وتخوفها من بقاء أهل المدينة على ولائهم لبني أمية.

أما أن مدينة القدس أهملت في العصر العباسي إهمالاً تاماً فهذا غير صحيح، بل ربما حظيت باهتمام زائد قياساً بالمدن الأخرى لوجود المقدسات الإسلامية الكبرى فيها وفي طليعتها المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة.

وتحامل بعض المؤرخين، فذكر المنبجي أن المنصور سار إلى فلسطين فعسف الناس جميعاً وضيَّق على أهلها تضييقاً شديداً حتى لم يبق إنسان خاشع ولا طوّاف ولا حمال ولا حفّار قبور ولا فلاح ولا متصوّف ولا صنف من صنوف الناس حتى ألزمهم الخراج وأخذ أموالهم(٢)، وهذه مبالغة وتحامل على الخليفة.

ونسي بعض من كتب بهذه الصورة القاتمة أن أموال الخراج تم تسوية جبايتها منذ خلافة عمر بن عبد العزيز ولا مانع أن يدفعها المسلم إذا عمل في أرض الخراج لأن الخراج إيجار للأرض ولا مانع أن يدفعه المسلم وغير المسلم.

أما ما قيل من أن المنصور لم يكن من طبعة التقصير في حق القدس وأن ما حدث من ظلم وعسف للقدس وأهل فلسطين كان بسبب سياسة ولاته الذين بالغوا في تطبيق

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) انظر زيدان كفافي وآخرون، القدس، ص١١١.

أوامره وأشتطوا في جمع الضرائب[1]، فهذا إشارة إلى ضعف الخليفة المنصور واتهامه بالقصور، ولم يكن المنصور كذلك، بل كان قوّياً حازماً فلا قصَّر ولاته، وكان استعماله لعمال البريد لموافاته بأخبار كبار رجال الدولة في الولايات البعيدة هو أمرٌ لصالحه لا عليه لأنهم كانوا يزودونه بتقارير دائمة عن أحوال الولايات والبلدان التابعة لدولة الخلافة الإسلامية[2].

التطورات التي طرأت على المدينة في العصر العباسي

تعرضت مدينة القدس لهزّة أرضية حدثت سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨م وقعت بسببها أجزاء من المسجد الأقصى من شرقيّة وغربيّة، وبقيت حتى خلافة أبي جعفر المنصور، ولما كانت خزينة الدولة قليلة المال فهي دولة لا تزال في بداياتها ومسؤولياتها كثيرة، لذلك لجأ المنصور إلى اتخاذ إجراء يسهل اصلاح المسجد الذي كان يحتاج إلى مبلغ كبير من المال، فأمر بقلع الصفائح الذهبية والفضيّة التي كانت على أبواب المسجد، فقلعت وضربت دنانير ودراهم أنفقت على عمارة المسجد[3].

ومن مظاهر اهتمام أبو جعفر المنصور بمدينة القدس أنه قام بزيارتها على دفعتين: الأولى سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م بعد آدائه فريضة الحج، حيث توجه من المدينة المنورة إلى القدس، فصلّى في مسجدها وعاد من هناك إلى العراق، فمرَّ في طريقه على مدينة الرقّة[4].

---

(١) ن. م، ص١١١.

(٢) انظر الطبري: الرسل والملوك، ج٨ ص٩٦.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٣، أحمد بن محمد المقدسي: مثير الغرام، ص٥٣.

(٤) الطبري: الرسل والملوك، ج٧ ص٣٠٥، ابن الأثير: الكامل، ج٤ ص٣٦٥، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م، ج٢٢ ص٨١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص٧٧.

وكانت الزيارة الثانية سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م عندما توجّه لزيارة الشام ومنها توجَّه إلى بيت المقدس للزيارة[1]، فيذكر اليعقوبي أن الخليفة أبا جعفر المنصور ولّى في هذه السنة يزيد بن حاتم المهبلي على المغرب، وخرج يودعه حتى أتى بيت المقدس[2]، فكانت المدينة تحظى باهتمام الخليفة وعنايته لأهميتها الدينية باعتبارها مسرى النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

أما عن أهل الذمة في مدينة القدس، فيقال بأن المنصور منع اليود في سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م من بناء كنائس جديدة سواءً في القدس أو في غيرها من البلاد، وأمرهم أن يظهروا الصليب، وفرض الجزية على الرهبان والكنائس، وفوّض اليهود أمر جبايتها، وعزل الموظفين النصارى عن ديوان الخراج، وفي سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢م فرض على المسيحيين واليهود أن تكون لهم علامة فارقة[3] تميزهم حتى يعرفوا من بين المسلمين.

وفي سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٤م تعرّضت فلسطين لهزة أرضية فتهدم بناء المسجد الأقصى الذي أقامه الخليفة أبو جعفر المنصور، ولما رفع الأمر إلى الخليفة المهدي ورأى المسجد خراباً أمر بإعادة بنائه على شكل جديد، فقال: دقَّ هذا المسجد وطال وخلا من الرجال، أنقصوا من طوله وزيدوا في عرضة[4]، فأعيد بناء المسجد على طراز جديد بحيث أنقصوا من طوله وزادوا في عرضه، فأخذ المسجد شكله النهائي وهو الشكل الذي بقي عليه حتى العصر الحديث[5].

وكانت مدينة القدس تتأثر بالأحداث التي تتعرض لها بلاد الشام، فعند ما حدثت الخلافات والفتن بين القبائل العربية قام المهدي بزيارة إلى الشام واصطحب معه رجال

---

(١) الطبري: الرسل والملوك، ج٨ ص٤٤، ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٣٧، النويري: نهاية الأرب، ج٢٢ ص١٠٠.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٣٢٧.

(٣) شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢١٦.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٤.

(٥) وانظر كرزول: الآثار الإسلامية الأولى ص٢٨٠-٢٨٢.

إدارته لتسوية هذه الخلافات، واستمع إلى شكوى أهل فلسطين، فأمر بعزل واليها إبراهيم ابن صالح، لكنه قام بإعادته إليها بناء على تدخل خاله يزيد بن منصور الذي كان يرافقه في هذه الزيارة(١).

وفي سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م قام الخليفة المهدي بزيارة بيت المقدس بعد أن خرج مع ولده الرشيد الذي أرسله لغزو الروم(٢)، فيذكر الطبري أنه وصل إلى بيت المقدس فصلّى فيه ومعه العباس بن محمد بن صالح وعلي بن سليمان وخالد بن يزيد بن منصور(٣)، وعند اليعقوبي أن زيارة المهدي هذه كانت سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٢م، فيقول بأن المهدي خرج يريد الشام وصار إلى بيت المقدس، فأقام بها أياماً وانصرف(٤)، وربما كانت هذه زيارة أخرى لبيت المقدس غير زيارته الأولى فقد كانت بيت المقدس محل اهتمام الخليفة المهدي وجميع خلفاء المسلمين.

وفي أوائل القرن (٣هـ/ ٩م) تعرضت مدينة القدس لزلزال تهدم بسببه المسجد الأقصى(٥)، ومسجد قبة الصخرة المشرفة، فكلف المأمون عبد الله بن طاهر للإشراف على إعادة البناء سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م.

وشهد عصر المأمون العباسي إصلاحات واسعة للمباني الدينية في مدينة القدس خاصة مسجد قبة الصخرة التي تضرَّرت بأحداث الزلزال، وتخللت عمليات الاصلاح استبدل اسم الخليفة عبد الملك بن مروان الباني الحقيقي للمسجد باسم الخليفة المأمون، إلاّ أن ذلك تم اكتشافه لأن التاريخ الحقيقي لبناء المسجد بقي على حاله دون تغيير وهو سنة ٧٢هـ فدلّ ذلك على أن صاحب البناء الحقيقي هو الذي يتفق وجوده مع هذا التاريخ وهو الخليفة عبد الملك بن مروان.

---

(١) زيدان كفافي وآخرون: القدس عبر العصور، ص١١٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٠ ص١٥٠، وانظر ابن الجوزي: المنتظم، ج٥ ص٣٠٦.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٨ ص١٤٨.

(٤) اليعقوبي: التاريخ، ج٢ ص٣٤٢.

(٥) حسين مؤنس: المساجد، ص١٨٧.

ووجد نقش مكتوب فوق القناطر التي تحمل التثمينة الوسطي من بناء مسجد قبة الصخرة نصُّه: (بنى هذه القبة عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين، فليقبلها الله منه ويرضى عنه)، أما النص الحقيقي لهذه الكتابة فهو: (بنى هذه القبة عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين، تقبل الله منه ورضي عنه)[١].

هارون الرشيد والقدس

تعتبر فترة الخليفة هارون الرشيد أهم فترات التاريخ العباسي بالنسبة لمدينة القدس، سواءً على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي ومن خلال العلاقة مع الدولة الفرنجية التي كانت على اتصال بالنصارى الموجودين في مدينة القدس.

ففي خلافة الرشيد سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م وقعت فتن في بلاد الشام بين القيسية واليمانية، وتأثرت فلسطين والقدس بهذه الأحداث حيث قُتلت أعداد كبيرة من الناس في هذه الفتن، وكان والي الشام للرشيد هو ابن عمه موسى بن عيسى الذي تمكن من إخماد الفتن، وذكر احد الشعراء هذه الحادثة في شعره فقال[٢]:

قد هاجت الشام هيجا — يشيب رأس وليده
فصبَّ موسى عليها — بخيله وجنوده
فدانت الشام لما — أتى بنسخ وحيده
هذا الجواد الذي بذّ — كل جودٍ بجوده

ثم تكررت هذه الفتن بين قيس ويمن سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م فغضب هارون الرشيد، وندب جعفر البرمكي في جماعة من الأمراء والجند للتوجه إلى الشام والقضاء على صراع القبائل فدخلها جعفر وانقاد له الناس وأخمد الفتن[٣]، وتأثرت مدينة القدس بالأحداث

---

(١) زيدان كفافي وآخرون: القدس عبر العصور، ص١١٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص١٧٣-١٧٤.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٨ ص٢٦٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص١٨١.

الناجمة عن الخلاف بين أبناء هارون الرشيد الأمين والمأمون شأنها شأن جميع البلاد الإسلامية[1].

وشهدت فترة خلافة هارون الرشيد علاقات حسنة بين الدولة الإسلامية ودولة الفرنجة، وساعد على قيام هذه العلاقة المراسلات التي أجراها بطاركة مدينة القدس مع شارلمان ملك الفرنجة مما كان له أحسن الأثر على سكان المدينة من النصارى الذين زاد اهتمام المسلمين بهم، مع أنهم كانوا قبل ذلك يلقون كل رعاية من المسلمين ويعاملون أحسن معاملة، إلاّ أن هذه الفترة تميزت بإعطائهم امتيازات جديدة حيث سمح لمجموعة من الرهبان إقامة مؤسسات دينية واجتماعية جديدة في القدس لخدْمة الحجاج فيها كان أهمها إقامة نزلٍ على جبل الزيتون، وبناء مكتبة وبيمارستان لرعاية الحجاج النصارى الذين يقومون بزيارة القدس[2].

وكانت معاملة هارون الرشيد معاملة حسنة لجميع النصارى في ولايات الدولة، وهذا شأن جميع خلفاء المسلمين وفي كل العصور، وكانت العادة أيام هارون الرشيد أن يخرجوا يوم عيد الفصح في موكب كبير وهم يحملون الصلبان بأيديهم، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية والقيام بتثقيف العائلات الكبيرة، فأصبح يوحنا بن ماسوية مشرفاً على التعليم في أيامه[3].

وكل الرعاية والعطف من جانب المسلمين لا يخالف كونهم أهل ذمة وعليهم الالتزام بما فرضه الإسلام عليهم من تبعات لذلك كان هارون الرشيد يلزمهم بلبس الزنارات وأن تكون قلانسهم مضروبة وان يجعلوا شراك نعالهم متينة وألاّ تركب نساؤهم الرحائل[4]، وأن يخالفوا المسلمين في هيئتهم في لباسهم وركوبهم[5].

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٥ ص١٥٠-١٦٣.

(٢) زيدان كفافي وآخرون: القدس عبر العصور ص١١٣.

(٣) ابن البطريق: التاريخ، ج٢ ص٣، شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢١٨، Drapper: The intellectual Development of Europe, vold. P 392.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص٧٢، شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢١٨.

(٥) الطبري: الرسل والملوك، ج٨، ص٣٢٤.

وحدثت عدّة سفارات بين الخليفة هارون الرشيد وشارلمان ملك الفرنج، وكان شارلمان هو البادىء بالمراسلات عندما أرسل وفدين إلى هارون الرشيد عامي ١٨٢هـ/ ٧٩٧م و١٩٢هـ/ ٨٠٧م ثم أرسل هارون الرشيد سفارتين أيضاً الأولى عام ١٨٦هـ/ ٨٠١م والثانية عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م، وكذلك بعث بطريرك مدينة القدس عدّة سفارات إلى شارلمان حيث عاد السفراء يحملون المساعدات والهدايا التي استعانوا بها على بناء الكنائس والمؤسسات المختلفة[١].

ويقال بأن الخليفة بعث إلى شارلمان في سفارته الثانية هدايا نفيسة تضم أقشمة حريرية وعطور وأواني نحاسية وساعة مائية عجيبة[٢]، وتعتبر هذه العلاقة موضوع خلاف بين المؤرخين المحدثين لأن المصادر العربية لم تتحدث عن هذه العلاقة.

ثورة المبرقع اليماني

ومن أهم الأحداث التي شهدتها مدينة القدس وفلسطين في العصر العباسي ثورة المبرقع اليماني أو المقنع (أبو حرب) الذي أعلن العصيان بفلسطين سنة ٢٢٧هـ/ ٨٣١م[٣].

ثار المبرقع أبو حرب في خلافة المعتصم بن هارون الرشيد، ورفع العلم الأبيض، وكان سبب خروجه على الخلافة أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب عنها وفيها زوجته وقيل أخته، ولما أرادت منعه من ذلك ضربها بسوط كان معه، ولما عاد زوجها أخبرته وبكت وهي تشتكي إليه، فأخذ أبو حرب سيفه ومشى إلى الجندي وهو غافل فقتله ثم هرب[٤].

لبس أبو حرب برقعاً حتى لا يعرف واعتصم في جبل من جبال الأردن، ولما طلبه السلطان لم يعرف له خبر، فقد كان يظهر بالنهار متبرقعاً، فإذا جاءه أحد ذكره وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يذكر الخليفة ويعيبه[٥].

---

(١) مجيد خدوري: الصلات الدبلوماطيقية بين الرشيد وشارلمان، بغداد ١٩٣٩م، ص٣٣.

(٢) شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢٢٠، مجيد خدوري: الصلات الدبلوماطيقية ص٣٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٢٦٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص٣٠٧.

(٤) الطبري: الرسل والملوك، ج٩ ص١١٦.

(٥) الطبري: الرسل والملوك، ج٩ ص١١٦، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٦٤.

استجاب لأبي حرب عدد كبير من الفلاحين وأهل القرى، وكان يزعم أنه أموي، وزعم بعض من تبعه أن السفياني يملك الشام، ولما كثر أتباعه ووصل خبره إلى المعتصم وكان مريضاً تخوف من استمرار ثورته وعصيانه، وقد تبعه عدد كبير من الناس منهم رجلان من أهل دمشق، وجماعة من رؤساء اليمانية منهم رجل يعرف بابن بيهس، حتى زاد أتباعه على مائة ألف مقاتل[1].

كلف المعتصم رجاء بن أيوب الحضاري للقضاء على تمرد المبرقع، فبعثه في ألف من الجند، فلما رآه في عالم كثير من الناس كره مواقعته وعسكر في مقابلته حتى جاء أوان الزراعة وعمل الأرض، فانصرف من كان معه من الفلاحين إلى أعمالهم ولم يبق معه أكثر من ألفي رجل، والتقى المعسكران، ولما تأمل رجاء جند المبرقع قال لأصحابه: ما أرى في عسكره رجلاً له شجاعة وفروسية غيره فلا تعجلوا عليه، فإنه سيظهر لأصحابه ما عنده من الشجاعة، فإذا حمل عليكم فأفرجوا له، وكان ما أراده رجاء وما لبث أن حمل المبرقع عليهم، فأفرج له أصحاب رجاء حتى جاوزهم، ثم رجع فأفرجوا له حتى أتى أصحابه، ثم حمل عليهم مرّة ثانية، فلما أراد الرجوع أطبقوا عليه، فأحاطوا به وأخذوه أسيراً واقتادوه إلى دار الخلافة في سامراء[2].

وهناك من يرى أن الخليفة بعث إليه رجاء وكان قد اجتمع إلى المبرقع خمسين ألفاً فقاتله رجاء ، وأسر ابن بيهس وقتل من أصحاب المبرقع أكثر من عشرين ألفاً وأسر المبرقع فحمله إلى سامراء[3]، وفي هذا مبالغة شديدة.

---

(١) الطبري: الرسل والملوك، ج٩ ص١١٦ –١١٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص٣٠٧.

(٢) الطبري: الرسل والملوك، ج٩ ص١١٧، ابن الأثير: الكامل: ج٥ ص٢٦٤–٢٦٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص٣٠٨.

(٣) الطبري: الرسل والملوك، ج٩ ص١١٧، ابن الأثير: ألكامل: ج٥ ص٢٦٥.

الطولونيون

وبعد منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أخذ الضعف يتسلل إلى السلطة المركزية في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، خاصة مع انشغال الخلافة العباسية بحركة الزنج[1]، وأتيح لأحمد بن طولون أن يتولى حكم بلاد الشام ومصر، فدخلت القدس تحت حكم بني طولون الذين أولوا فلسطين عناية كبيرة لأهميتها الدينية، وكان مركز فلسطين في هذه الفترة قد انتقل من مدينة القدس إلى مدينة الرملة التي صار لها مكانة بارزة بعد ذلك، وبقيت فلسطين تحت حكم الاخشيديين الذين أقاموا حكماً وراثياً في مصر والشام وامتد من سنة ٢٦٤-٢٩٢هـ/ ٨٧٨-٩٠٥م[2].

ولما استعادت الدولة العباسية سلطتها على فلسطين وبلاد الشام بعد سقوط دولة بني طولون، أمر الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) بإصلاح قبة الصخرة المشرفة، كما أمر بتزويد كل باب من أبوابها بمدخل خشبي ضخم وجميل، وكان ذلك سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م[3].

الإخشيديون

وفي سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٢م برز محمد بن طغج الإخشيد كقائد بارز في مواجهة الفاطميين الذين أخذوا بتهديد حدود مصر الغربية،، وتمكن من ردهم عن مصر، وكان

---

(١) حركة الزنج هي ثورة قامت ضد الدولة العباسية قادها علي بن محمد بن عبد الرحيم سنة ٢٥٦هـ/ ٨٨٦م واستهدفت تحرير الزنوج ورفع مستواهم، وتحسين أحوال الفلاحين في رفع منازلهم وامتلاكهم الأموال والمنازل (انظر ابن الأثير: الكامل، ج٥ ص٣٤٦-٣٤٩، يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م، ص١٢٢-١٣٠).

(٢) انظر خليل عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ٢٠٠٠م، ص٢٥٢، فاروق عمر فوزي: الوسيط في تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان ١٩٩٩م، ص٩٨-٩٩.

(٣) زيدان كفافي وآخرون: القدس، ص١٢١.

تولى الشام من قبل فبعث إليه الراضي تقليداً بمصر إضافة إلى بلاد الشام وذلك سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م، وأصبحت القدس ضمن الأملاك الإخشيدية.

وكان على الإخشيد الذي أصبح والياً على فلسطين والشام أن يواجه تحركات القبائل العربية التي حاولت الاعتداء على قوافل الحجاج العائدة من الحجاز[١]، وتعرضت فلسطين لغزو القرامطة، ورغم محاولات الإخشيديين وقف هذه الهجمات إلاّ أنها انتهت سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م بفرار الحسن بن طغج الإخشيد من عاصمة فلسطين (الرملة) إلى مدينة القدس ليحتمي فيها، وأجبر على دفع الإتاوة للقرامطة[٢].

اهتم الإخشيديون بمدينة القدس، وكان لها مكانة عظيمة عندهم حتى أنهم أوصوا بأن يدفنوا فيها؛ فدفن فيها محمد بن طغج الإخشيد، وعلي بن الإخشيد وكافور الإخشيدي، وكان أكثر أمرائهم يخصصون أوقاتاً معينة يقومون فيها بزيارة القدس والإقامة فيها للعبادة والراحة[٣].

الفاطميون

أقام الفاطميون الخلافة الفاطمية بالمغرب (تونس) سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، وفي سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م أرسل المعز لدين الله قائده الشهير جوهر الصقلي إلى مصر فتمكن من فتحها وضمها للدولة الفاطمية[٤]، فأرسل جوهر بدوره القائد الشهير جعفر بن فلاح الكتامي باتجاه بلاد الشام، حيث وصل إلى مدينة الرملة وتمكن من السيطرة عليها سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م[٥]، وبذلك خضعت باقي مدن فلسطين بما فيها مدينة القدس للحكم الفاطمي، قبل أن يتوجه شمالاً للسيطرة على مدينة دمشق سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م.

---

(١) فاروق عمر فوزي ومحسن محمد حسين: الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي، دار الشروق، عمان ١٩٩٩م، ص١٠٠.

(٢) خليل عثامنة: فلسطين، ص٢٥٩، وانظر فاروق عمر: الوسيط: ص١٠٢.

(٣) فاروق عمر: الوسيط، ص١٠٣، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام المجلد الثالث، ص٥١٢.

(٤) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٤ ص٣٠.

(٥) ن. م، ج٤ ص٣٢.

لقد كان الفاطميون على المذهب الفاطمي الإسماعيلي وهو مذهب شيعي، بينما كان أهل القدس وفلسطين مسلمين من أهل السنة، وهناك خلافات كثيرة بين الشيعة والسنة ولهذا لم يكن من السهل تحقيق الاستقرار والهدوء في المدن الشامية، ولم تقبل بالسيادة الفاطمية التي تعمل دائماً على الترويج للمذهب الإسماعيلي، لذلك واجه الفاطميون صعوبات كثيرة في حكم فلسطين والقدس على وجه الخصوص، وكان أمراء فلسطين والقدس هم بنو الجراح من قبائل طي.

ولدينا نصوص عن اثنين من جغرافيي المسلمين المعاصرين للفترة الفاطمية، أحدهما ابن مدينة القدس وهو المقدسي (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، والثاني الرحالة الشهير ناصر خسرو والذي قام بزيارة المدينة سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م(١)، فقد سجلا لنا وصفاً رائعاً للمدينة ويعطي صورة عن حالها في الفترة التي عاشا فيها، وابدأ بذكر بعض ما سجله المقدسي ابن المدينة، حيث أورد في كتابه أحسن التقاسيم بأن هواء المدينة (سجسج لا حر ولا برد شديد... وبنيانهم حجر لا ترى أحسن منه، ولا أتقن من بنائها، ولا أعفّ من أهلها، ولا أطيب من العيش ُبها ولا أنظف من أسواقها، ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدها. عنبها خطير وليس لمعتنقها من نظير، وفيها كل حاذق وطبيب... أما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال والأشياء المتضادة، كالاترج واللوز، والرطب والجوز والتين والموز) (٢).

وقال ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) في وصفها: (وسواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها، والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء، والخيرات بها كثيرة ورخيصة، وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألفاً مَن مِنْ زيت الزيتون، يحفظونها في الآبار والأحواض، ويصدرونها إلى أطراف العالم، ويقال إنه لا يحدث قحط في بلاد الشام) (٣).

---

(١) ناصر خسرو: سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، مطبوعات البنك الدولي للمعلومات ص٥٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٣) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٥٥-٥٦.

وذكر أن فيها أسواق جميلة وصناع كثيرون، ولكل جماعة منهم سوق خاصة، وبها مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف المقرر لهذا المستشفى[1]، وهذا يعني اهتمام الفاطميين بإقامة المؤسسات العامة في القدس كالمستشفيات ودور العلم.

إلاّ أن المدينة التي كانت مساجدها عامرة بحلقات التعليم والتدريس قبل قدوم لفاطميين أخذت تتراجع حتى خلت من مجالس التعليم وربما يعود ذلك إلى الاهتمام بالترويج للمذهب الفاطمي الذي لا يقبله أهل القدس السنة، وأشار إلى ذلك المقدسي بقوله: (الفقيه فيها مهجور والأديب غير مشهور، لا مجلس نظر ولا تدريس قد غلب عليها النصارى واليهود، ،خلا المسجد من الجماعات والمدارس)[2]، وتراجع التدريس على مذاهب أهل السنة، بينما نشطت الجماعات الأخرى مثل الكرامية[3] التي كان لها خوانق ومجالس في مدينة القدس[4]، لذلك كانت قليلة العلماء كما يقول المقدسي[5].

وشهدت هذه الفترة اهتمام خلفاء الدولة الفاطمية بالمدينة والتسامح مع أهلها من النصارى واليهود باستثناء فترة الحاكم بأمر الله الفاطمي التي تقلبت فيها سياسته مع أهل الذمة وغيرهم حتى مع المسلمين، ففي خلافة والده العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) حظي اليهود والنصارى بتسامح كبير، واستخدمهم العزيز في الوظائف والأعمال الحكومية على نطاق واسع حتى شكا المسلمون من استئثارهم

---

(١) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٥٦، ٥٧.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٦٧، وانظر أسماء فاعور: فلسطين ص٦٩.

(٣) الكرامية إحدى فرق المشبهة الغالية وتنسب إلى محمد بن كرام، وهم يزعمون أن الله تعالى جسم لا كالأجسام (انظر عبد الله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص١٤٤-١٤٥).

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٢.

(٥) ن. م، ص١٦٧.

بالدولة دون المسلمين[1]، وتزوج الخليفة العزيز من امرأة نصرانية وجعل أخاها بطريركاً على مدينة القدس[2].

وتعرضت مباني مدينة القدس أيام الفاطميين للتدمير أو الخراب بسبب الزلازل أو الهزات الأرضية التي أصابت المدينة، ففي سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م سقطت القبة الكبيرة التي على صخرة بيت المقدس أو أجزاء منها[3]، فأعيد بناؤها في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م، وقيل إن الحاكم بأمر الله هو الذي أمر بإعادة تعميرها بعد أن سقطت في خلافته[4].

وفي سنة ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م حدث زلزال في بلاد الشام نتج عنه سقوط أجزاء من حائط بيت المقدس[5]، ويبدو أن المسجد الأقصى تضرر من هذه الحادثة، فقام الخليفة الظاهر بترميم الأسوار، وتعمير المسجد وتوسيعه، والظاهر أن عملية الترميم والإصلاح انتهت في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله الذي قام بترميم الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى[6].

وفي سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م سقط تنور قبة الصخرة المشرفة في بيت المقدس وكان فيه خمسمائة قنديل[7]، فتطيرَّ الناس من ذلك أي تشاءموا، ثم انشقت صخرة بيت المقدس سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م نتيجة زلزال أصاب بلاد الشام ومصر[8].

---

(١) انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، لجنة إحياء التراث الإسلامية القاهرة ١٩٩٦م، ج١ ص٢٩٧، شفيق جاسر: تاريخ القدس، ص٢٣٣.

(٢) أسماء فاعور: فلسطين، ص٦٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص١٥١، الحنبلي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٤٣.

(٤) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢، ص١٢٧.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٢٦٤، الحنبلي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٤٣.

(٦) زيدان كفافي وآخرون: القدس، ص١٣٣.

(٧) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢ ص٢٦١، السيوطي: اتحاف الأخِصَّا، ج٢ ص٢٤٦.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٤٧١، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٤٣.

وفي العصر الفاطمي أيضاً اختلف الحاكم على أهل الذمة والمسلمين، فتغيرت معاملته لأهل الذمة منذ سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، وقام بهدم بعض كنائس النصارى في مصر وبلاد الشام، حيث كتب إلى والي فلسطين يأمره بهدم كنيسة القيامة[1]، وكنائس أخرى، واتخذت هذه الأعمال حجة على المسلمين، رغم أن المسلمين تضرروا من سياسة الحاكم هذه مثلما تضرر منها أهل الذّمة، فقد أنفذ الحاكم مثلاً إلى المدينة المنورة من ينهب دار جعفر الصادق[2] وغيرها، ولم تكن اجراءاته مقصورة على أهل الذمة وحدهم.

ومع ذلك فقد عاد الحاكم وأصدر أوامره لإصلاح ما تم هدمه و إزالته من أبنية النصارى من أديرة وكنائس، فأمر بإعادة بناء كنيسة القيامة ويقال إن الذي ساهم في إعادة بناء الكنيسة هو ابن الجراح أمير فلسطين[3].

وفي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م وضع السلاجقة حدّاً لنفوذ الفاطميين في فلسطين وتمكنوا من دخول مدينة القدس فقد استولى عليها القائد السلجوقي أتسز الخوارزمي وأعاد الخطبة للخليفة العباسي[4]، ثم خضعت بعد ذلك لحكم الأراتقة ولاة السلاجقة أيضاً بعد أن عينوا عليها أرتق بن أكسب التركماني فأقام فيها إمارة أرتقية ورثها ابناه سقمان وايلغازي حتى تمكن الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش من استعادتها سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م[5]، وبقيت المدينة تحت الحكم الفاطمي حتى دخلها الصليبيون (الفرنج) سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م.

---

(١) انظر يحيى بن سعيد الأنطاكي: صلة تاريخ أوتيخا، جروس برس، طرابلس ١٩٩٠م، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص١١٢، وانظر المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢ ص٨٢، ٨٥، يحيى بن سعيد: صلة تاريخ اوتيجا، ص٢٨٤ وما بعدها.

(٣) مصطفى الحياري: القدس تحت حكم الصليبيين، ص١٦٩.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٤.

(٥) ن. م، ج١ ص٤٤٤-٤٤٥.

علماء القدس في العصر الإسلامي

شهدت مدينة القدس في فترة العصر الإسلامي نشاطاً علمياً واسعاً، فقد أمَّ المدينة وأقام بها عدد كبير من العلماء في مختلف المجالات كالقرّاء والفقهاء والمحدثين وعلماء اللغة والأدب وغيرهم، وكان المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة أماكن يتجمع فيها العلماء، وغالباً كان المسجد الأقصى يمتليء بحلقات الدرس والعلم، ويأتي العلماء من كل البلاد للسماع فيه والمجاورة أو لإلقاء الدروس والتحديث، وكثر فيها القراء والمحدثون والمفسرون والفقهاء، حيث كانوا يدرسون ويدرّسون علوم الدين الإسلامي من قراءات وتفسير وأسباب نزول وغير ذلك.

وبذل الخلفاء جهوداً كبيرة لتعليم أهل الشام عموماً، وأهل بيت المقدس خصوصاً، فأخذوا القرّاء والحفاظ والعلماء إلى المدينة وأغدقوا عليهم أسباب الرزق والمعيشة خاصة في العصر الأموي[١].

فيذكر أحمد بن محمد المقدسي أنه ورد عن إبراهيم بن أبي عبلة -وهو من كبار العلماء ورواة الحديث- أنه كان يقول: (يرحم الله الوليد، وأين مثل الوليد؟ كان يعطيني قصاع الفضّة، فأقسمها على قرّاء مسجد بيت المقدس)[٢]، وكذلك كان سليمان بن عبد الملك يكرم العلماء ويحترمهم[٣]، لذلك ازدهرت الحركة العلمية في مدينة القدس، فأمَّها العلماء وأقاموا فيها، وفيما يلي قائمة ببعض علماء بيت المقدس في العصر الإسلامي:

١-إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي المقدسي: وهو أحد رواة الحديث، روى عن أبي أمامة وأنس، وروى عنه الإمامان مالك وابن المبارك، كان الوليد بن عبد الملك يعطيه قصاع الفضّة ليوزّعها على قراء بيت المقدس، توفي سنة ٥٢هـ/ ٦٧١م[٤].

---

(١) انظر زيدان كفافي وآخرون: القدس، ص٨٣-٨٤.

(٢) المقدسي: مثير الغرام، ص٤٥، أحمد بن علي السيوطي: إتحاف الأخِصَّا، ج٢ ص٤٣. جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفا، ص٢٢٤.

(٣) أحمد بن علي السيوطي: إتحاف الإخِصَّا، ج٢ ص٤٣-٤٥.

(٤) المقدسي: مثير الغرام، ص٤٣، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢٤-٤٢٥.

٢-إبراهيم بن أدهم: هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي ويقال له العجلي[١]، كان أحد العلماء الثقات، أصله من مدينة بلخ وكان من أبناء الملوك، لكنه ترك الإمارة وخرج إلى الشام، فأقام فيها مرابطاً غازياً يصبر على الفقر الشديد، صحب الإمام الأعظم أبا حنيفة، وقدم بيت المقدس وأقام بالصخرة الشريفة مدة من الوقت[٢]، وتوفي بمدينة جبلة شمال سوريا سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٨م[٣].

٣-أبو الحسن الزهري الأندلسي: من العلماء الذين أقاموا ببيت المقدس، وروى عنه جماعة من العلماء[٤].

٤-أبو سلام الحبشي: اسمه محضور الباهلي الدمشقي، كان يأتي بيت المقدس ويقرأ على عبادة بن الصامت ويروي عنه[٥]، وكان من خيرة العلماء بالشام[٦].

٥-الأوزاعي: هو الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي[٧]، أحد الأئمة المشاهير ورجل عالم عابد، كان فقيه أهل الشام في زمانه، ويقال بأنه لم يكن بالشام أعلم منه في زمانه، فأجاب في سبعين ألف مسألة[٨].

ولد الأوزاعي في بعلبك ونشأ يتيماً في حجر أمه فكانت تتنقل به من بلد إلى بلد، وتأدب بنفسه فكان صاحب عقل وورع وعلم، اشتهر بالفقه والحديث والمغازي وغيرها من علوم الإسلام فأجمع المسلمون على عدالته وإمامته[٩].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص١٣٨.

(٢) المقدسي: مثير الغرام، ص٥٢، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٤٨.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢١.

(٥) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٩.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الفكر، بيروت ١٩٩١م، ج٤ ص٣٥٥.

(٧) الأوزاع بطن من حمير من اليمن (انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص١١٨.

(٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣ ص١٢٧.

(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣ ص١٢٧-١٢٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص١١٨-١١٩.

اجتمع الأوزاعي بالخليفة أبي جعفر المنصور حين قدم الشام، فوعظه وأحبه المنصور وعظّمه، فلما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه ألاّ يلبس السواد فأذن له[1].

قدم إلى بيت المقدس فتوضأ وصلى ثمان ركعات وجعل الصخرة وراءه ثم صلى الصلوات الخمس وقال: هكذا فعل عمر بن عبد العزيز[2]، وتوفي ببيروت سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م، يقال بأنه دخل الحمام وكان صاحبه في شغل فأغلق عليه الحمام وذهب، ولما رجع فتح الباب فوجده ميتاً وهو مستقبل القبلة[3].

٦-أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي الشافعي: هو شيخ المذهب الشافعي بالشام، وكان من العباد الزاهدين، سمع الحديث وحدَّث وأقام بالقدس في الزاوية الناصرية التي ربما نسبت إليه[4]، وتوفي بدمشق سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م وله عدد من المؤلفات والتصاريف منها[5]:

١-التهذيب.

٢-التقريب.

٣-الفصول.

٤-الكافي.

٥-الحجة على تارك المحجة.

٧-أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي المقدسي: هو شيخ الإسلام، وشيخ الشام في زمانه وإمام الحنابلة، سكن بيت المقدس، وهو الذي نشر

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠ ص١٢٢.

(٢) المقدسي: مثير الغرام، ص٥٢، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢٧.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣ ص١٢٨.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٣٤.

(٥) ن. م، ج١ ص٤٣٥.

مذهب الإمام أحمد في القدس ودمشق، توفي بدمشق سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م، وله مجموعة من التصانيف منها[1].

١-المبهج.

٢-الإيضاح.

٣-التبصرة في أصول الدين.

٤-مسائل الامتحان

٥-الجواهر في التفسير

٨-أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المعروف بابن القيسراني[2]: وقيل بأن اسمه علي بن أحمد بن محمد بن طاهر المقدسي، ولد في بيت المقدس سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م[3]، كان عالماً حافظاً محدثاً واشتهر بغزارة علمه، سافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة فسمع بالحجاز والشام ومصر والثغور والجزيرة والعراق والجبال وفارس وخراسان[4]، وصنَّف مجموعة من الكتب منها كتب في إباحة السماع وفي التصوف وساق فيه أحاديث منكرة لذلك يعدّه البعض مع المجروحين رغم شهادة البعض بحفظه وعلمه، وله من المؤلفات[5]:

١-أطراف الكتب الستة.

٢-أطراف الغرائب.

٣-كتاب الأنساب

---

(١) العليمي: الأنس الجليل ج١ ص٤٣٤.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٢٨٧.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٣٧.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٢٨٧.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٢٨٧، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٣٧.

وكانت وفاته في بغداد سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م.

٩-أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري: هو أحد العلماء الحفاظ ولد سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م وكان من العلماء الجوالين، ومن أهل الإفتاء فكانت تأتيه الفتاوى من مصر والشام، وشرع في وضع كتاب عن تاريخ بيت المقدس وفضائله، فلما سقطت القدس سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م أخذوه أسيراً، وطافوا ينادون لمفاداته بألف دينار فلم يفكّه أحد ورموه بالحجارة حتى مات على باب أنطاكية(١).

١٠-أبو المعالي المشرف بن المرجا بن إبراهيم المقدسي: هو أحد علماء بيت المقدس وله كتاب (فضائل البيت المقدس والصخرة)(٢).

١١-أبو نعيم المؤذن: وهو أوّل من أذّن ببيت المقدس، فيذكر المقدسي أنّ عبادة بن الصامت كان والياً على إيلياء فأبطأ بصلاة الصبح فأقام أبو نعيم الصلاة وصلى بالناس، فحضر عبادة وهو يصلي فصلّى بصلاته(٣).

١٢-أم الدرداء: اسمها هجيمة ويقال جهيمة بنت حُيي الوصابية، وكانت فقيهة ومحدثة من أهل الشام، وذكر أنها كانت تقول: طلبتُ العبادة في كل شيء فما رأيت أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم(٤).

وكانت أم الدرداء تأتي من دمشق إلى بيت المقدس، فتقيم به نصف سنة، وفي دمشق نصف سنة، وكانت تجالس الساكنين في بيت المقدس(٥)، وقد عين لها عبد الملك بن مروان خادماً يقوم على رعايتها ويقودها خلال أسفارها ما بين دمشق وبيت المقدس،

---

(١) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٣٥-٤٣٦.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٣٥.

(٣) المقدسي: مثير الغرام، ص٣٨-٣٩، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٨.

(٤) المقدسي: مثير الغرام، ص٤٠، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٩.

(٥) المقدسي: مثير الغرام، ص٤١، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٩-٤٢٠.

كما كان عبد الملك خلال إقامته في بيت المقدس يذهب لإحضارها من قبة الصخرة ويرافقها إلى المسجد الأقصى وهي متكئة على ذراعه.

١٣- خالد بن معدان الكلاعي: وهو أحد الفقهاء والعبّاد الصالحين، كان يسبّح في اليوم الواحد أربعين ألف تسبيحة، أتى بيت المقدس ونزل قريباً منه على مسافة ستة أميال، وتوفي في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٣هـ/ ٧٢١م(١).

١٤- رجاء بن حياة الكندي: وكان عالماً فاضلاً كثير العلم ينزل الأردن(٢)، وشيخ أهل الشام في عصره، أوكل إليه عبد الملك بن مروان الإشراف على بناء مسجد قبة الصخرة المشرفة مع يزيد بن سلاّم(٣)، وكان فقيهاً رافق عمر بن عبد العزيز في خلافته وتوفي سنة ١٠٢هـ/ ٧١٩م(٤).

١٥-سفيان الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري(٥)، كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، ولد سنة ٩٧هـ/ ٧١٤م وسمع الحديث من أبي إسحاق السبيعي والأعمش ومَنْ في طبقتهما، وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن إسحاق ومالك وغيرهم، وعهد إليه المهدي بقضاء الكوفة فامتنع(٦)، أتي المسجد الأقصى فصلى فيه بموضع الجماعة، وأتى قبة الصخرة وختم فيها القرآن الكريم(٧)، وكان من الأئمة المجتهدين، وتوفي سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م(٨).

---

(١) انظر محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج٧ ص٤٥٥، المقدسي: مثير الغرام، ص٤٠، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤١٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧ ص٤٥٤، وانظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص٣٠١-٣٠٣.

(٣) السيوطي: إتحاف الإخِصَّا، ج١ ص٢٤٢، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٠١.

(٤) المقدسي: مثير الغرام، ص٤٤.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص٣٨٦، المقدسي: مثير الغرام، ص٥٠.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص٣٩٠.

(٧) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢٨.

(٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص٣٩١.

١٦-صالح بن يوسف المقنع (أبو شعيب): وهو واسطي الأصل مات بالشام في مدينة الرملة بفلسطين، ويذكر المؤرخون أنّه حجّ تسعين حجة راجلاً، وفي كل حجة منها كان يُحرِم من صخرة بيت المقدس[١].

١٧-عبد الله بن فيروز الديلمي: وهو من العلماء الثقات، خرَّج له أبو داود والنسائي وابن ماجة[٢].

١٨-محمد بن كرام: وهو أحد المتكلمين واليه تنسب فرقة الكرامية، أقام ببيت المقدس وكان يجلس للوعظ فيجتمع حوله خلق كثير من الناس، ولما علم أهل بيت المقدس أنه يقول أن الإيمان قول لا عمل تركوه[٣]، ونفاه صاحب بيت المقدس إلى زغر[٤] في الغور الجنوبي من الأردن، وينسب إليه جواز وضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه[٥]، وتوفي في بيت المقدس سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م.

١٩- محمد بن واسع: هو أحد الرواة الثقات: من أهل البصرة، روى عن أنس بن مالك ومطرف بن السحب، واخرج له مسلم وأبو داؤد والترمذي والنسائي[٦]، التقى ببعض العلماء وسار إلى مدينة القدس، وكانت وفاته سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م[٧].

٢٠- مقاتل بن سليمان: هو أبو الحسن الأزدي، أصله من بلخ اشتهر بتفسير كتاب الله العزيز وله كتاب في التفسير[٨]، قدم إلى بيت المقدس فصلى فيه وجلس عند باب

---

(١) المقدسي: مثير الغرام، ص٥٦، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٣٢.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢٠-٤٢١.

(٣) ن. م، ج١ ص٤٣٢.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١ ص٢٣.

(٥) ن. م، ج١١ ص٢٢-٢٣.

(٦) المقدسي: مثير الغرام، ص٤٤، العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢٦، السيوطي: إتحاف الأخصا، ج٢ ص٤٢.

(٧) عند العُليمي كانت وفاته في سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٧م (انظر العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢٦).

(٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص٢٥٥.

الصخرة القبلي، فاجتمع إليه خلق كثير من الناس يسمعون منه ويكتبـون عنـه[1]، وتوفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م[2].

٢١- وكيع بن الجراح بن مليح: ويكنى أبو سفيان الرواسي، ولد سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٧م، وكان من مشاهير العلمـاء ومـن رواة الحـديث وحفاظـه، روى عـن الإمـام أحمـد وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل[3]، قدم بيت المقدس وأحرم منه إلى مكة، قال عنه الإمام أحمد: ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفـظ[4]، وتـوفي يـوم عاشـوراء وهـو عائد من الحج سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م[5].

---

(١) المقدسي: مثير الغرام، ص٤٩-٥٠، ، العليمي: الأنسْ الجليل، ج١ ص٤٢٧.

(٢) ابن خلكان: وفيات العيان، ج٥ ص٢٥٧.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٢٩.

(٤) ن. م، ج١ ص٤٢٩.

(٥) عند المقدسي أنه توفي سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م (انظر المقدسي: مثير الغرام، ص٥٤).

الفصل السابع

هل غيّر الفرنج قدسنا العربية؟

١. الحروب الصليبية

٢. الحملة الصليبية الأولى

٣. توجه الفرنج إلى بيت المقدس وسقوط المدينة

٤. تنظيم حكم مملكة بيت المقدس في العهد الصليبي

٥. مملكة بيت المقدس

٦. ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية

٧. أجهزة الحكم في دولة بيت المقدس

٨. فرق الفرسان

٩. المجتمع في مدينة القدس في العهد الصليبي

هل غيّر الفرنج قدسنا العربية؟

الحروب الصليبية

بدأ الخطر الأوروبي على فلسطين والقدس عندما أحسَّ الأوربيون أن الوهن أخذ يدبُّ في الدول الإسلامية التي تولت حكم فلسطين وكان آخرها الدولة الفاطمية التي قصَّرت في الدفاع عن مدينة القدس حتى أصبحت عرضة للخطر الخارجي، وكانت أهم الأخطار الخارجية التي تعرضت لها القدس هو غزو الإفرنج أو ما عرف عند المؤرخين بالحروب الصليبية.

جرت عادة كثير من المؤرخين على تسمية غزو الإفرنج لبلاد المشرق العربي الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي باسم (الحروب الصليبية).

والحروب الصليبية هي حركة عسكرية استعمارية كبيرة قادها الغرب الأوروبي المسيحي خلال فترة العصور الوسطى ضد الشرق الإسلامي في مصر والشام بهدف امتلاكه والسيطرة على ثرواته الاقتصادية، وهي حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب[1].

وسبب تسمية هذا الغزو بالحروب الصليبية عائدٌ إلى أن جيوش الإفرنج التي قامت بالغزو، اتخذت الصليب شعاراً لها، فكانوا يحملون معهم صليباً ضخماً يتقدم الجيوش الغازية، كما كانوا يتخذون صلباناً من القماش يخيطونها على ملابسهم وفوق صدورهم.

وهناك من يعتبر التسمية جاءت لأن أسباب الحرب دينية، والمشجع لها هو الجهاز الكنسي في أوروبا والذي كان الصليب شعاراً له، فجميع القائمين بالغزو كانوا عناصر مسيحية من الغرب الأوروبي.

---

(١) انظر: أرنست باركر: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت ١٩٦٧م ص٩، سعيد عد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦م، ج١ ص١٩، خاضع المعاضدي وآخرون: تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي: دار الكتب، بغداد ١٩٨١م، ص١٩.

أما أسباب الحروب الصليبية ودوافعها فتشمل ما يلي:

١- **أسباب دينية**: أهمها التعصب الديني الذي غذّاه بعض رجال الدين المسيحي، وفي طليعتهم بطرس السائح[١].

وبطرس السائح رجل فقير من بلدة إميان بفرنسا انقطع للعبادة والرهبنة، قام بزيارة مدينة القدس، والتقى مع **سمعان بطريرك المدينة**، واتفق معه على العمل ودعوة الشعوب المسيحية لتخليص قبر المسيح من سيطرة المسلمين، فزعموا أنّ المسلمين يعاملون نصارى القدس معاملة سيئة ويعذّبونهم، وهو زعم باطل لا أساس له من الصحّة، ولكنهم اتخذوا من تصرفات **الحاكم بأمر الله الفاطمي**، الذي كان له بعض الإجراءات الصارمة مع جميع النصارى المقيمين في دولته، وحتى مع المسلمين[٢]، حجة لهم.

وروّجوا كثيراً لما يتعرّض له النصارى أمام المسلمين بهدف إثارة مشاعر الناس في أوروبا، والاستجابة لدعوتهم في المشاركة بحملة على بلاد المسلمين.

٢- **تهديد المسلمين السلاجقة للدولة البيزنطية**: بعد الانتصار الكبير الذي حققه السلطان ألب أرسلان على البيزنطيين في **معركة ملاذكرد (منزكرت)** سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، مما دفع الامبراطور البيزنطي للاستعانة بالغرب الأوروبي[٣].

٣- **تحريض بابوات أوروبا**: على القيام بحملات عسكرية إلى مدينة القدس لتخليصها من المسلمين، فعقدت مؤتمرات لاستنهاض الأوروبيين على القيام بغزو الشرق الإسلامي منها[٤]:

---

(١) انظر وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ١٩٩٠م، ج١ ص١٦٢، وما بعدها، محمد العمروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق: دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢م، ص٣٢.

(٢) انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص٢٩٤ وما بعدها.

(٣) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص٧١-٧٢، خاشع المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص٣٠.

(٤) جوناثان ريلي سميث: ما الحروب الصليبية؟ ترجمة محمد فتحي الشاعر، دار الأمين، القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٦-٢٧، حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٨م، ص٥١.

أ- **مؤتمر بلاصانس**: وعقد في مدينة بلاصانس في شمال إيطاليا سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م.

ب- **مجمع كليرمونت الديني**:وعقد بفرنسا، حيث دعى إليه البابا أوربان الثاني، وشجّع الأوروبيين على المشاركة في غزو المسلمين ليحصلوا على التوبة وتكفير الذنوب.

٤- **الأزمة الاقتصادية**: التي كانت تعيشها أوروبا عامة وفرنسا خاصة في القرن الحادي عشر الميلادي، فقد قلّت المواد الغذائية وارتفعت الأسعار بدرجة كبيرة، فأصبحت أوروبا مهدّدة بالفقر والمجاعة، وذلك بسبب كثرة الحروب الأهلية وتنافس الأمراء والاقطاعيين على السلطة، لذلك كانت الحروب الصليبية باتجاه الشرق مخرجاً من هذه الأزمة[١].

ويضاف إلى هذا **رغبة المدن الإيطالية التجارية** التي عرضت تقديم المساعدات اللازمة للجيوش الصليبية، ونقل المؤن والمعدات لهذه الجيوش إلى بلاد الشام، وتقديم الحماية لهم من هجمات الأساطيل الإسلامية مقابل الحصول على **امتيازات اقتصادية** في البلاد التي يتم الاستيلاء عليها من أراضي المسلمين[٢]في مدن الشام ومصر.

٥- **الظروف الاجتماعية السيئة** التي سادت في المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، والحياة المليئة بالمشقة، والممزوجة بالذل والهوان التي كانت تعيشها الطبقات الشعبية في أوروبا دفعتهم لتلبية دعوة الحروب الصليبية، رغبة في الخلاص من أوضاعهم البائسة[٣].

٦- **انتقال أمر رعاية الأماكن المقدسة إلى الامبراطورية البيزنطية**: فصار هذا الانتقال مصدر نزاع بين الكنيسة الشرقية والغربية، فأراد الأوروبيون التخلص من تحكم الامبراطورية البيزنطية في قدوم الحجاج إلى القدس.

---

(١) خاشع المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص٢٢-٢٣.

(٢) ن. م، ص٢٣.

(٣) محمد العمروسي: الحروب الصليبية، ص٣٣.

٧- **ضعف الدول الإسلامية**: التي كانت مسؤولة عن مدينة القدس وبلاد الشام عشية قيام الحملات الصليبية، والصراع بين الفاطميين والسلاجقة على حكم بيت المقدس، جعل الظروف مهيّأة للقادم الجديد.

الحملة الصليبية الأولى

وهي الحملة التي تمكنت من الوصول إلى مدينة القدس والاستيلاء عليها، وقد هيّأ لها البابا أوربان الثاني، الذي تلقى رسائل استغاثة من الامبراطور البيزنطي (الكسيس كومنين) لنجدته في حرب المسلمين والاستيلاء على القدس، وسارت جموع الصليبيين في هذه الحملة على قسمين:

أ- **القسم الأول**: وعرف **بحملة الشعوب أو العامة**، وتشكل هذا القسم بدعوة وتشجيع من بطرس الناسك، الذي طاف أقاليم فرنسا يشجعها على المشاركة، وتشكل الجيش المشارك في هذه الحملة من الفقراء والمعدمين، وربما من اللصوص وقطاع الطرق والملاحقين سياسياً أو دينياً، وتشكلت منهم خمسة جيوش توجهت صوب القسطنطينية.

وكان رجال هذه الحملة ينقصهم التدريب، كما ينقصهم السلاح والمال والطعام، فلما عبروا البلقان اصطدموا بسكانها نتيجة اعتدائهم على أهالي البلاد ومزارعهم بالنهب والسلب، فتعرضوا للفناء ولم يسلم منهم إلاّ عدد قليل.

وتمكن جيشان من الخمسة جيوش بقيادة **بطرس الناسك ووالتر المفلس** من بلوغ القسطنطينية في رجب سنة ٤٩٠هـ/ تموز ١٠٩٦م، فطلب منهم الامبراطور البيزنطي عدم دخول العاصمة، إلاّ أنه استقبلهم حتى لحقت بهم الجيوش النظامية[١]، وعندما حاولوا الاصطدام بالسلاجقة تعرضوا لهزيمة ساحقة وتشرَّد أكثرهم.

---

(١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص١١١.

ب- القسم الثاني: وعرف بحملة الأمراء، وتولى قيادتها أمراء لكل منهم جنده وأتباعه، لذلك قاد كل أمير جنده بنفسه، وتكون هذا القسم من أربعة جيوش هي[1]:

١-الجيش الأول: بقيادة الأمير غودفري وأخيه الأمير بلدومين، وهما من فرنسا[2].

٢-الجيش الثاني: بقيادة الامبراطور بوهيمند النورماندي يرافقه ابن أخته الأمير تنكرد، وعدد من الأمراء النورمان من جنوب إيطاليا وصقلية.

٣-الجيش الثالث: بقيادة الأمير ريموند الرابع من جنوب فرنسا، وقاد جيشه من اقليم بروفانس.

٤-الجيش الرابع: بقيادة الأمير روبرت بن وليم الفاتح كونت فلاندر من شمال فرنسا.

كان هؤلاء القادة يتنافسون جميعاً للحصول على تأييد الامبراطور البيزنطي لهم للانفراد بالقيادة والزعامة العليا للصليبيين[3]، لأن كل قائد من هؤلاء القادة كان له طموحه وأهدافه التي تختلف عن أهداف الآخرين بل وتتعارض معهم.

ولما وصل هؤلاء القادة إلى القسطنطينية اجتمع لهم الامبراطور البيزنطي ليضمن ولاءهم له، وتعهدوا بإعادة جميع الأراضي التي استولى عليها السلاجقة من الامبراطورية البيزنطية، على أن يشاركهم العمل كلما أتيح له ذلك، ويقدم لهم المؤن والمساعدات اللازمة حتى يصلوا ساحة الحرب.

غادرت القوات الصليبية القسطنطينية باتجاه بلاد الشام[4]، وانضم إليهم بطرس الناسك ومن بقي معه من حملة الشعوب، وبدأوا زحفهم باتجاه مدينة نيقية، فضربوا عليها الحصار سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م، ولم تتمكن القوة التي بعث بها السلطان قلج أرسلان السلجوقي من حمايتها والحفاظ عليها من السقوط، فراسل أهلها الامبراطور

---

(١) خاشع المعاضدي وآخرون: الوطن العربي، ص٣٣.

(٢) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص١١٥ وما بعدها، محمد العمروسي: الحروب الصليبية، ص٤٨.

(٣) خاشع المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص٣٣.

(٤) انظر أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، طبعة بيروت، ج٢ ص٢١٠.

البيزنطي سرًّا، واتفقوا معه على تسليم المدينة شريطة أن يسمح لهم بمغادرتها مع جميع أهلهم وأموالهم، فكانت أول مدينة يتسلمها الصليبيون من المسلمين سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م[١].

جمع السلطان قلج أرسلان قواته وحاول التصدي لجموع الصليبيين، إلاّ أنه تعرَّض للهزيمة عند مدينة دوريليوم[٢] Duriliom (اسكي شهر)، وبذلك أصبحت الطريق سالكة أمام الصليبيين لدخول بلاد الشام، فانقسم الصليبيون بعد ذلك إلى قسمين هما:

١- قسم توجه إلى الشرق قاصداً **الرها**، وعلى رأسه **الأمير بلدوين** (أخ غودفري)، **والأمير تنكرد** (ابن أخت بوهيمند)، فلما وصلوا المدينة قاموا بمحاصرتها وتمكنوا من استمالة أميرها الأرمني (ثوروس بن هيتوم) فسهّل عليهم دخول المدينة، فكانت أوّل مدينة إسلامية أقاموا فيها إمارة صليبية، وهي الإمارة الصليبية الأولى في المشرق.

٢- القسم الثاني توجّه إلى **انطاكية** بقيادة **غودفري وبوهيمند وريموند**، وقاموا بحصار انطاكية، فدافع عنها أميرها ياغيسيان دفاعاً مستميتاً، ولكن ضعف عن الاستمرار في المقاومة، فترك المدينة وهرب فسقط[٣] عن فرسه ومات.

وكانت خيانة **فيروز التركي** أحد قادة المدينة سبباً في اضطراب حال المسلمين، فدخل الإفرنج المدينة، ولم تنفع محاولات الأمير كربوقا ومن معه من المسلمين في استردادها، بسبب سوء معاملة كربوقا لهم، وإعراضهم عنه وقت القتال، فبقيت إنطاكية تحت سيطرة الإفرنج[٤].

---

(١) وليم الصوري: الأعمال الكاملة، ج١ ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) ن. م، ج١ ص٢٤٨-٢٤٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص١٨٦.

(٤) ن. م، ج٨ ص١٨٧.

توجه الإفرنج إلى بيت المقدس وسقوط المدينة

كان الهدف الرئيسي لغزو الإفرنج بلاد المسلمين هو الوصول إلى مدينة القدس، لذلك لم يترددوا بعد سيطرتهم على مدينة أنطاكية وهي أقوى وأعظم المدن الإسلامية في شمال بلاد الشام في التحرك صوب مدينة القدس، لكنهم اختلفوا في الطريق الذي سيسلكوه، هل هو طريق الساحل، أم طريق الداخل (طريق البقاع).

رأى بعض الإفرنج أن الأسلم لهم أن يسلكوا طريق الساحل السوري لكي يضمنوا وصول الإمدادات إليهم عن طريق البحر، لأن قربهم من البحر يبقي خط الاتصال بينهم وبين بلادهم أوروبا، أما الآخرون فكان رأيهم أن يسلكوا الطريق الأقصر والأقرب للوصول إلى القدس وهو طريق البقاع، وانتهى بهم الأمر بالاتفاق على أن يسلكوا طريقاً وسطاً، وذلك بأن يسلكوا طريق الداخل (البقاع)، على أن يقتربوا بين الحين والآخر من الساحل حتى يضمنوا استمرار اتصالهم بأوروبا[١].

سار الصليبيون جنوباً فوصلوا إلى **معرة النعمان** بقيادة الأمير ريموند، ثم إلى كفر طاب، حيث لحقت بهم جماعات أخرى من الصليبيين، ومر الإفرنج بمدينة شيزر وحصن الأكراد والبقاع، ثم إلى بيروت وصيدا وصور وعكا، ولم يتمكنوا من الاستيلاء على مدينة عكا فتركوها إلى يافا، ثم إلى الرملة فاستولوا عليها واتجهوا منها إلى بيت المقدس[٢]، فاجتمعوا حول المدينة في شعبان سنة ٤٩٢هـ/ حزيران ١٠٩٩م[٣]،وضربوا عليها الحصار من جميع الجهات.

١-من الشمال -روبرت النورماندي.

٢-من الغرب -الأمير غود فري وتنكرد.

٣-من الجنوب-ريموند الصنجيلي وأقام على جبل صهيون.

---

(١) خاشع المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص٤٤.

(٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص١٢٦، المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي ص٤٤-٤٥.

(٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا. ج٣ ص٢٣.

بدأ الصليبيون بمهاجمة المدينة منذ وصولهم واستخدموا كافة آلات الحصار والهدم المتوفرة لديهم، فصمد أهل المدينة وردوا على هجمات الصليبيين، وقام أميرها الفاطمي افتخار الدولة بتسميم آبار المدينة وردم القنوات[1]، وإخفاء المواشي حتى لا يستولي عليها الإفرنج، كما قام بطرد جميع من كانوا في المدينة من النصارى حتى لا ينقلوا أخبار المسلمين إلى الإفرنج، وتفقد أحوال الأسوار ليتأكد من سلامتها، وأرسل في طلب النجدة من الخليفة الفاطمي في مصر.

حال الصليبيون دون وصول الامدادات إلى أهل المدينة ليجبروهم على الاستسلام، وقطعوا اتصال المدينة بالخارج، واستمر حصارهم لها ما يقارب الأربعين يوماً، وقاموا ببناء أبراج الخشب لنقب الأسوار، فبنوا برجين أحدهما على جبل صهيون، والآخر عند باب العمود، فتمكن المسلمون من احراق البرج الأول، أما البرج الثاني فزحف به الصليبيون حتى ألصقوه بالسور وكشفوا من كان عليه من المسلمين، ورموا المدينة بالمجانيق والسهام[2]، وتمكنوا من اقتحام المدينة فقد اكتشفوا منفذاً عبر سور المدينة، فتسلّل بعضهم منه وتمكنوا من فتح أبواب المدينة، ودخل إليها الإفرنج فملكوها.

لجأ المسلمون إلى المسجد الأقصى للاعتصام به، فتبعهم الصليبيون واستسلموا لتنكرد الذي أمنهم على أرواحهم على أن يدفعوا له فدية فاقتحم المسجد وأعمل السيف في رقاب المسلمين، وقام بمذبحة وحشية رهيبة، فذكر المؤرخون أنه قتل فيها سبعون ألفاً (٠٠٠ , ٧٠) من المسلمين، وسلبوا ما كان في مسجد قبة الصخرة المشرفة من الذهب والفضة.

وقد تحدَّث المؤرخون عن بشاعة المجزرة التي قام بها الصليبيون في مدينة القدس عند سقوطها، ومنهم مؤرخوا الصليبيين، فقال وليم الصوري: (وقتلوا جميع من صادفوا من الأعداء بصرف النظر عن العمر أو الحالة، ودونما تمييز، قد انتشرت المذابح المخيفة في كل

---

(١) وليم الصوري: الأعمال الكاملة، ج١ ص٤١٤-٤١٦.

(٢) وليم الصوري: الأعمال الكاملة، ج١ ص٤٢٦-٤٣٣: ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٨٩.

مكان وتكدَّست الرؤوس المقطوعة في كل ناحية بحيث تعذَّر الانتقال على الفور من مكان لآخر إلاّ على جثث المقتولين)[1].

وقال أيضاً: (فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى، ولم يكن مشهد الجثث التي فصلت الرؤوس عنها والأضلاع المبتورة المتناثرة في جميع الاتجاهات هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم، إنه منظر مشؤوم جلب الرعب لجميع من واجهوهم)[2].

وقال كاهن مدينة لوبوي: (حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا اقل ما يمكن أن يصيبهم، وبُقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى قذف أنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم بالنار فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر إلاّ على جثث قتلاهم).

أما مؤرخوا المسلمين فتحدثوا عن المأساة بحسرة وألم، فقال ابن الأثير: (وملكوها من جهة الشمال ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، وركب الناس السيف ولبث الافرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون من المسلمين..... وقتل الافرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف)[3].

وقال ابن الجوزي: (أخذ الإفرنج بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان وقتلوا زائداً على سبعين ألف مسلم، وأخذوا من عند الصخرة نيّفاً وأربعين قنديلاً فضّة، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنّور فضّة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا نيّفاً وعشرين قنديلاً من ذهب، ومن الثياب وغيره ما لا يحصى، وورد

---

(١) وليم الصوري: الأعمال الكاملة، ج١ ص٤٣٥.

(٢) ن. م، ج١ ص٤٣٦-٤٣٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص١٨٩.

المستنفرون من بلاد الشام وأخبروا بما جرى على المسلمين، وقام القاضي أبو سعد الهروي قاضي دمشق في الديوان، وأورد كلاماً أبكى الحاضرين)[1].

أما المقريزي فذكر أن الإفرنج قتلوا عامة من كان في القدس، وكان فيها جماعة من العباد والصلحاء والعلماء والقرّاء، وخلائق كثيرة، فوضعوا السيف فيهم وأفنوهم عن آخرهم، ثم ذكروا أنهم احرقوا ما كان في المدينة من المصاحف والكتب، وأخذوا ما كان بالصخرة من قناديل الذهب والفضّة والآلات، وكان مبلغاً عظيماً، وقتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، ولحق الإفرنج من فرَّ من المسلمين مسيرة أسبوع يقتلون من أدركوه منهم[2].

لقد حزن المسلمون على سقوط المدينة، وبكوا مأساتها بكاءً شديداً، إلاّ أنه لم يكن بالامكان تخليصها بسهولة، لذلك بقيت المدينة مدّة طويلة قبل أن يتمكن المسلمون من استرجاعها بعد حوالي قرن من الزمان.

وتحدث العلماء والأدباء عن مأساة المسلمين وسقوط المدينة بيد الإفرنج ونظم الشعراء قصائدهم يندبون ما جرى ويستصرخون أهل العزم من المسلمين، فقال أبو المظفّر الأبيوردي قصيدة منها قوله[3]:

مزجنا دمانا بالدموع السواجم ... فلم يبقَ منّا عرضة للمراجمِ
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائمِ
واخوانكم بالشام يضحي مقيلهم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعمِ
تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرُّون ذيل الخفض فعل المسالمِ
وتلك حروب من يغب عن غمارها ... ليسلم يقرع بعدها سنّ نادمِ
يكاد لهن المستجنُّ بطيبةٍ ... ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشمِ

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠ ص٣٩، وانظر ابن الأيثر: الكامل، ج٨ ص١٨٩.

(٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣ ص٢٢.

(٣) انظر الجوزي: المنتظم، ج١٠ ص٣٩-٤٠، ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص١٩٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص١٦٧.

أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون الثأر خوفاً من الردى ولا يحسبون العار ضربة لازمِ
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى وتغضي على ذلٍ كماة الأعاجم
وليتهم إن لم يذودوا حمية عن الدين ظنّوا غيرةً بالمحارمِ
وإن زهدوا في الأجر إذا حمي الوغى فهلاً أتوه رغبة في المغانمِ

تنظيم حكم مملكة بيت المقدس في العهد الصليبي

بعد احتلال الافرنج لمدينة القدس، وجدوا أنفسهم يفتقرون إلى زعيم ينظمهم خاصةً بعد وفاة المندوب البابوي أدهيمار[(١)]، الذي كان بمثابة الزعيم الروحي للصليبيين القادمين إلى الشرق، فقد سعى كل أمير من الأمراء لتحقيق مكاسب خاصة، فأقام بلدوين البولوني في الرها إمارة كان هو على رأسها، وفعل مثله بوهيمند في أنطاكية.

اجتمع زعماء الحملة الصليبية الذين دخلوا بيت المقدس، وهم ريموند الصنجيلي، وغودفري بوايوان، وتنكرد، وروبرت دى فلاندرز، وروبرت النورماندي، ودخل هؤلاء الأمراء إلى كنيسة القيامة يوم ١٥ كانون الثاني سنة ١٠٩٩م بعد مذبحة بشعة استهدفت دماء الأبرياء من أهل القدس[(٢)].

وتمّ اختيار **غودفري بواي وان** ليكون أميراً على بيت المقدس في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٠٩٩م[(٣)]، واتخذ لقب **(حامي بيت المقدس)**[(٤)]، وبذلك أصبح للكنيسة نوع من الإشراف على هذه الإمارة، كما قام رجال الدين بعد ذلك باختيار **أرنولف مالكورن** ليكون بطريقاً على مدينة القدس، فزوّد كنيسة القيامة بأجراس لإعلان مواعيد الصلاة

---

(١) توفي أدهيمار في أنطاكية بالوباء الذي انتشر في المدينة بسبب كثرة القتلى والجيف الناتجة عن الحرب (انظر سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص١٧١).

(٢) انظر سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص١١٦، Giullaume de Tyr: History croccide, , p357

(٣) Iroga: Breve History. Des Croisades, p67

(٤) Runciman: A History of the Crusades, Vol 1 , p292-293.

فيها،وحاول إضفاء الصبغة اللاتينية على الكرسي الديني في مدينة القدس، فاستبعد القساوسة الأرثوذكس من تلك الكنيسة، فأثار ذلك إستياء المسيحيين من أهل مدينة القدس[1].

مملكة بيت المقدس

بعد أن استقر حكم غودفري في مدينة القدس رغب في السيطرة على المدن المجاورة وضمها إلى لحكمه، فتوجه إلى أرسوف وحاصرها إلى أن استسلم أهلها، واحتل الصليبيون بعدها حيفا والجليل وطبريا وعاملوا أهلها معاملة قاسية وهجَّروهم منها، فأسرع أهل نابلس إلى إعلان الاستسلام فدخلها الصليبيون سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م، ثم دخلوا قيسارية ومنها إلى الرملة وعسقلان وهناك هزموا الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش الفاطمية[2].

توجه غودفري بعد ذلك إلى مدينة عكا وكانت من أحصن مدن فلسطين، فحاصرها سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، فأصيب خلال الحصار ومات متأثراً بجراحه، وبلغت أخبار موته أخيه بلدوين في مدينة الرها، فقرَّر المسير إلى مدينة القدس، فوصلها سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، وأعلن نفسه ملكاً عليها، فتحولت إمارة القدس إلى مملكة لاتينية[3].

سار بلدوين على سياسة أخيه، فأعدَّ قواتاً برّية وبحرية امتلك بها مدينة جبيل، ثم توجه إلى مدينة عكا فضرب عليها الحصار حتى عجز أهلها من الاستمرار في المقاومة وسقطت بأيدي الإفرنج سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م[4].

---

(١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص١٩٨-١٩٩،

Runciman: A History of the Crusades,Vol 1, p294.

(٢) انظر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧، خاشع المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص٤٩.

(٣) انظر وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج١ ص٤٨٨.

(٤) باركر: الحروب الصليبية، ص٤٤.

وتعرّضت مملكة بيت المقدس لضائقات مالية، فإقامة حكومة لاتينية في القدس تطلب توفير أموال كثيرة، لأن الثروات التي كانوا يحصلون عليها من أسلاب المدن المحتلة كانت في تناقص مستمر، ولا يمكن أن تشكل مورداً يمكن الاعتماد عليه، كما أن أكثر مرافق البلاد أصبحت محتكرة للمدن الإيطالية التجارية[1]، وكان المال والرجال أهم ما تحتاج إليه مملكة بيت المقدس، وكانت أهمية المال ضرورية لملك القدس ليتمكن من ضبط أتباعه والإبقاء على ولائهم الدائم[2]، لذلك سعى بلدوين الأول لتوفير المال بكل الوسائل الممكنة، واستطاع توفير حاجته من المال عن طريق الوسائل التالية:

١-عن طريق **الكنيسة** التي ساهمت بتقديم كميات كبيرة من خلال ما يأتيها من تبرعات وهبات، أو ما تفرضه الكنيسة على رؤساء الأساقفة من أموال.

٢- **مشاريع الزواج بين العائلات الحاكمة:** فقد تزوّج بلدوين الأول من الأميرة الأرمنية (أردا ARDA)، ومن (أدليد ADLED) أم الأمير روجر الثاني، وهما من النساء ذوات الثراء الكبير، واستولى على أكثر ما معهما من مال[3] لتغطية حاجات دولته.

٣- **مساهمات المدن الإيطالية:** فقد عقدت صفقات مع المدن الإيطالية التي بعثت أساطيلها وساهمت بتغطية نفقات وأموال كثيرة، مقابل تسهيلات وامتيازات تجارية تحصل عليها المدن الإيطالية في المدن والبلاد التي يحتلها الإفرنج، وتحكمت المدن الإيطالية ففرضت شروطها على ملك بيت المقدس وأمراء الصليبيين، وذلك بأن يكون لها ثلث كل مدينة تساهم في احتلالها مع حرية التجارة لهذه المدن في سائر المدن والبلاد التي يدخلها الإفرنج[4].

٤- **تشجيع التجارة مع البلاد المجاورة.**

٥- **جمع الصدقات من مسيحيي أوروبا.**

---

(١) المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص٦٢.

(٢) انظر رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م، ج٢ ص٢١-٢٢.

(٣) خاشع المعاضدي وآخرون: الوطن العربي، ص٦٢.

(٤) ن. م، ص٦٣.

ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية

١- بلدوين الأول (٤٩٣- ٥١٢هـ/ ١١٠٠-١١١٨م):

وتولى عرش بيت المقدس بعد وفاة أخيه الأمير غودفري، واستهلّ عهده برد الحملة التي بعث بها الفاطميون إلى مدينة الرملة سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، ثم عاد وتعرَّض للهزيمة أمام الفاطميين في مدينة الرملة سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م[١]، وقام بغزو مدينة عكا من أجل تأمين اتصال بيت المقدس بالساحل وأوروبا، وتمكن من احتلالها سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م، فحرم بذلك الدولة الفاطمية من أهمّ قواعدها البحرية في بلاد الشام[٢].

فكَّر بلدوين الأول بعزل مصر عن بلاد الشام والعراق، لذلك أقدم على السيطرة على منطقة جنوب الأردن من البحر الميت حتى خليج العقبة، وهذا يضمن له أيضاً حماية الحدود الشرقية لمملكة بيت المقدس، فأرسل قوة عسكرية تمكنت من السيطرة على منطقة وادي عربة، وشيَّد قلعة الشوبك ليتحصّن بها الصليبيون عند الحاجة[٣]، كما بنى قلاع العقبة والقويرة في جنوب الأردن ليتمكن من إخضاع البدو ويمنع غاراتهم على الأطراف الشرقية لمملكته.

وقام بلدوين بغزو مصر سنة ٥١١هـ/ ١١١٨م، فوصل مدينة تنّيس، إلاّ أنه لقي حتفه عندما قام بالسباحة في النيل، فانتفض عليه جرح قديم في جسمه، فأمر جيشه بالرحيل، وعادوا صوب القدس فمات في العريش سنة ٥١١هـ/ ١١١٨م[٤].

٢- بلدوين الثاني: (٥١٢-٥٢٦هـ/ ١١١٨-١١٣١):

هو بلدوين دي بورغ ابن عم بلدوين الأول، وكان أميراً على مدينة الرها، ثم تولى عرش مملكة بيت المقدس بعد وفاة بلدوين الأول الذي مات دون أن يترك وريثاً، فاقترح أحد أمراء مملكة بيت المقدس وهو الأمير جوسلين دي كورتناي تعيين بلدوين دي بورج

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢١٨.

(٢) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص٢٣٨-٢٣٩.

(٣) ن. م، ج١ ص٢٥٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ح٨ ص٢٨٤.

أمير الرها ملكاً على القدس، فلاقى ذلك قبولاً من البطريق أرنولف مالكورن، وكان بلدوين في طريقه إلى القدس بقصد الزيارة، فتمَّ تتويجه ملكاً على القدس في ١٤ نيسان سنة ١١١٨م[١].

وفي عهده بدأ نشاط فرقتي **الداوية والإسبتارية** وهي من فرق الفرسان التي شاركت بدور فاعل في الحروب الصليبية[٢].

قام بلدوين الثاني بعدّة أعمال عسكرية كانت إحداها محاولته لفك أسر جوسلين ديكورتناي الذي أسره بلك بن بهرام الأرتقي[٣] والحد من نفوذه في الجزيرة الفراتية، إلاّ أنه تعرّض هو الآخر للأسر على يد بلك بن بهرام سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م[٤]، وبقي في الأسر حتى سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م.

وقبل وفاته أوصى بلدوين الثاني بعرش مملكة بيت المقدس لابنته ميليسنت وزوجها فولك أنجوي لأنه لم يكن له وريث شرعي، وتوفي سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م[٥].

٣- فولك أنجوي (٥٢٦-٥٣٨هـ/ ١١٣١- ١١٤٣م):

وتولى عرش القدس بعد وفاة بلدوين الثاني سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م، وشهدت فترة حكمه الكثير من الخلافات والصراع بين الأمراء الصليبيين على السلطة، وكان فولك يعتبر نفسه مسؤولاً عن الإمارات الصليبية باعتبارها تابعة لمملكة بيت المقدس[٦]، وكان عصره من ازهى عصور مدينة القدس خلال حكم الافرنج لها.

اهتم فولك أنجوي ببناء القلاع والحصون في المناطق ذات الأهمية العسكرية وذلك بهدف حماية القدس ولإشراف على طريق التجارة الهامة، بالإضافة إلى السيطرة على

---

(١) وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج١ ص٥٧٠-٥٧٢، Giullaume deTyr, d.p519.

(٢) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص٣٩٢ وما بعدها.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص٣٠٤.

(٤) ن. م، ج٨ ص٣١٢.

(٥) شفيق جاسر أحمد: القدس، ص٥٤.

(٦) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١ ص٤١٨-٤٢٢.

مضارب البدو التي كانت تشكل مصدر إزعاج له من الصحراء، فجدَّد بناء **قلعة الكـرك** في شرق الأردن، وبنى **قلعة يبنى**[1]، وحصن بيت جبريل، **وقلعة صفد وقلعة أسدود** التي أقامها لمراقبة الأسطول المصري في عسقلان.

وقامت زوجته ميليسنت بإقامة أبنية أخرى، فأرادت إنشاء دير للنسوة المتـدينات، واختارت بيت عنيا وهوبيت (ماري ومرثا وأخيهما العازر) والمعـروف اليـوم **بالعيزريـة** بالقرب من القدس، فابتاعت هذا البيت وأقامت ديراً وعينت له راهبات وجعلت لهنّ أماً هي امرأة ذات خبرة دينية، وأوقفت على هذا الدير أوقافاً كثيرة منها مدينة أريحـا الغنيَّـة بالموارد المتعددة، والكثير من الأواني الذهبية والفضيّة المرّصعة بالجواهر[2].

وفي سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٣م خـرج فولـك أنجـوي مـع زوجتـه ميليـسنت في رحلـة استجمام وصيد بالقرب من مدينة عكا، فسقط عن ظهر جواده ومات، وكان لـه ولـدان هما بلدوين وعمره ١٣ سنة وعموري وعمره سبع سنوات[3].

٤- بلدوين الثالث (٥٣٨-٥٥٨هـ/ ١١٤٣-١١٦٢م):

وتولى الحكم بعد وفاة أبيه فولك أنجوي سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، وكان صغير السن فتولت أمه الوصاية عليه حتى بلغ الرشد[4]، وكان عهده مع ظهور **عماد الدين زنكي** في الموصل، وتزعم هذا الأخير حركة الجهاد الإسلامي، وتوحيد الجهود والقوى الإسـلامية في مواجهة الأخطار الصليبية، وبدأ أعماله بالتركيز على حـصار الرهـا حتـى تمكـن مـن استعادتها وتحريرها من الإفرنج سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م[5].

---

(١) أقيمت هذه القلعة بالقرب من مدينة الرملة (انظر وليم الصوري: الأعمال المنجزة: ج٢ ص٧٢٨).

(٢) وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج٢ ص٧٣٠-٧٣١.

(٣) ن. م، ج٢ ص٧٣١-٧٣٢.

(٤) ن. م، ج٢ ص٧٣٦-٧٣٧.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٨.

وخلف عماد الدين زنكي ابنه **نور الدين محمود** الذي استمر في محاربة الصليبيين، فتمكن من توحيد سوريا تحت حكمه سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، ووجه لبلدوين الثالث هزيمة كبرى في **معركة الملاّحة** سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م وهرب إلى قلعة صفد.

قام بلدوين ببعض الأعمال العمرانية وأهمها بنا قلعة في مدينة غزّة وإحاطة المدينة بسور لحمايتها من الهجمات الإسلامية[١].

توفي بلدوين الثالث سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م فخلفه أخوه عموري الأول على حكم المدينة.

٥- عموري الأول (٥٥٨-٥٧٠هـ/ ١١٦٢-١١٧٤م):

تميز بالمكر والدهاء، وأغار على مصر وتعاون مع بعض وزرائها أمثال **ضرغام وشاور**، غير أن نورالدين زنكي فوّت عليه الفرصة عندما قام بإرسال الحملات الشامية إلى مصر لحمياتها من أخطاره، وكلف بقيادتها **أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي**[٢]، وأفشلا كل محاولات عموري للسيطرة على مصر.

٦- بلدوين الرابع (٥٧٠-٥٨١هـ/ ١١٧٤-١١٨٥م):

هو ابن عموري الأول وأمه أغنس ابنه جوسلين الأصغر أمير الرها، ويعرف بلدوين هذا بالمجذوم، توفي أبوه وعمره ١٣ سنة، وتُوّج ملكاً للقدس وسمي **بالملك السابع**[٣] لأنه كان الرجل السابع الذي يتولى حكم القدس بعد احتلال الإفرنج لها.

وفي عهده نشط صلاح الدين الأيوبي بالإغارة على مناطق متعددة من الأراضي التي يحكمها الإفرنج والتابعة لمملكة بيت المقدس، فأغار على دير البلح وعسقلان وغزّة سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م[٤]، ووصل إلى الرملة وأمر بإحراقها، كما هاجم أرسوف ونابلس وميناء عكا، وحطم الكثير من السفن الإفرنجية، وأجبر بلدوين على طلب الصلح

---

(١) شفيق جاسر: القدس، ص٥٦.

(٢) وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج٢ ص٨٨٤ وما بعدها.

(٣) وليم الصوي: الأعمال المنجزة، ج٢ ص٩٧١/ الهامش.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٤١.

فعقدت بينهما معاهدة سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، غير أن الملعون **أرناط (رينالددي شاتيلون)** أمير الكرك نقض هذه المعاهدة عندما قام باعتراض قوافل الحجاج والتجار وعمل على غزو الحجاز(١).

٧- بلدوين الخامس (٥٨١-٥٨٢هـ/ ١١٨٥-١١٨٦م):

وهو ابن أخت بلدوين الرابع، تولى عرش القدس بعد وفاته سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، وكان صغير السن ومع ذلك لم يلبث أن توفي سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م فخلفه على حكم القدس الأميرة **(سبيل أو سبيلا)** أخت بلدوين الرابع وزوجها جاي لوزجنان(٢).

٨- جاي لوزجنان (٥٨٢-٥٨٣هـ/ ١١٨٦-١١٨٧م):

وهو آخر ملوك الإفرنج لمدينة القدس، وفي عهده دارت أهم الأحداث التي قادها صلاح الدين الأيوبي ومنها معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م(٣)، ثم تحرير مدينة القدس بعد ذلك لتنتهي مملكة بيت المقدس اللاتينية، وتعود القدس إلى حالتها العربية الإسلامية بعد تسعين عاماً من الظلم والقهر والاستبداد.

أجهزة الحكم في دولة بيت المقدس

استند الحكم في دولة بيت المقدس إلى الأسس الإقطاعية والقضائية التي وضعت أسسها في عهد أول حكام بيت المقدس، وهو الأمير غودفري، حيث قسمت البلاد التي احتلها الإفرنج إلى أربع اقطاعات كبرى هي:

١-يافا.

٢-الكرك.

٣-الجليل.

---

(١) ابن الأثير:الكامل ج٩ ص١٥٧-١٥٨.

(٢) شفيق جاسر: القدس، ص٦١.

(٣) ن. م، ص٦١.

٤-صيدا.

كما قسمت إلى اثنتي عشرة إقطاعية بالإضافة إلى اقطاعيات الملك وهي ثلاث اقطاعيات: القدس وعكا وطبرية[1].

أما أجهزة الحكم ومؤسسات الدولة فتكونت من:

أ-**المؤسسات الملكية**: وعلى رأسها الملك والقائد العام للجيوش الصليبية.

ب-**المؤسسات القضائية**: وتتألف من عدد من المحاكم هي:

١-**المحكمة العليا**: وهي أعلى سلطة قضائية ويرأسها الملك مع عضوية كبار الإقطاعيين[2].

٢-**المحاكم الصغرى**: وهي محاكم المدن ويرأسها نائب الملك ويساعده (١٢) محلَّفاً يختارهم من أتباعه من اللاتين، وتنظر في قضايا الناس المختلفة.

٣-**المحاكم المحلية أو الطائفية**: وتنظر في قضايا الناس حسب تقاليدهم الدينية، وتتألف من خمسة أعضاء إثنان من اللاتين والبقية من أبناء الطائفة.

٤-**المحاكم التجارية**: وهي خاصة بتجار المدن الإيطالية، وتعمل بقوانين حكوماتها.

ج-**المؤسسة الإدارية**: وتشتمل على الرتب الإدارية متدرجة.

د-**المؤسسة العسكرية**: وتتكون من جيش مملكة بيت المقدس الذي يشمل الفئات التالية:

١-**التعهدات الاقطاعية (الجيش الإقطاعي)**: وهم الجند الإقطاعيون، فكان من شروط التبعية العسكرية الخدمة العسكرية والاستعداد للقتال مع الجيش المركزي لمدّة معينة، وكان أمراء المدن يجهزون عدداً من الفرسان يشتركون مع الجيش المركزي في المهمات العسكرية[3].

٢-**الحرس الملكي الخاص**: وهو يعتمد على الإقطاعات التابعة للتاج مباشرة مقابل رواتب عينية أو نقدية.

---

(١) انظر خاشع المعاضدي وآخرون: الوطن العربي، ص٦٥.

(٢) باركر: الحروب الصليبية، ص٥٩.

(٣) عن الجيش الاقطاعي انظر عبلة الزبدة: القدس، ص١٦٧.

٣-**فرق الفرسان الدينية**: وتشمل:

أ-**فرسان القديس يوحنا (الاسبتارية)**[١].

ب-**فرسان المعبد (الداوية)**.

ج-**فرسان التيوتون**.

٤-**أساطيل المدن الإيطالية**: وهي أساطيل البندقية وبيزا وجنوا، وساهمت في احتلال المدن الساحلية لقاء امتيازات تجارية منحت لهذه المدن.

٥-**التركبولي**: وهم فرسان من أصل غير أوروبي تم تجنيدهم في بلاد المشرق، وكانوا من السريان.

٦-**الوافدون المسلحون**: ويشكلون مصدراً عسكرياً مؤقتاً، وكثيراً ما يشتركون في مشاريع مملكة بيت المقدس[٢].

---

(١) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٠٦.

(٢) خاشع المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص٦٧.

فرق الفرسان

١-فرسان القديس يوحنّا (الإسبتارية):

وينسبون إلى القديس يوحنا المتصدق أحد بطارقة الإسكندرية في القرن السابع الميلادي، وحملوا اسم الاسبتارية لأنهم كانوا يشتغلون بالطب، وبدأت هذه الفرقة مؤسسة خيرية في القدس في العصر الفاطمي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، حيث سمح لها الفاطميون بتأسيس دار تقوم بأعمال الطب والإحسان إلى المحتاجين، فأسسوا جمعية خيرية وشيدوا مستشفى بالقرب من كنيسة القيامة للعناية بالحجاج الفقراء[١]، وكانت تابعة لإشراف الأديرة البندكتية.

تحوّل مسار هذه الفرقة بعد احتلال الإفرنج لمدينة القدس، فأصبحت مؤسسة عسكرية دينية سنة ٥١١هـ/ ١١١٨م، عندما تولى قيادتها (ريموند ليبوي)، واتخذوا **الصليب الأبيض** شعاراً لهم[٢].

التزمت هذه الطائفة بالدفاع عن الممتلكات الصليبية في الشرق وحماية الأماكن المقدسة،ومحاربة المسلمين، واتخذت المدن والحصون لتكون مراكز لتدريباتها، وكان أتباعها يحصلون على معونات مالية كثيرة، فقد خصصت لها كنائس بيت المقدس عُشر دخلها لمساعدتها على القيام بمهماتها الدينية والعسكرية[٣]، وأسر مقدم هذه الفرقة **(روجر ديمولين)** في معركة حطين.

فرسان المعبد (الداوية) Knight of the Temple:

وهي فرقة فرسان أسسها الفارس الفرنسي (هيودي باينز) مع مجموعة من رفاقه في مدينة القدس، وسموا فرسان المعبد لأن مقرّهم الأول كان في المسجد الأقصى الذي يسمونه (المعبد)،وكان آنذاك تحت الاحتلال الفرنجي، ويذكر لي سترانج أنهم أخذوا

---

(١) عبلة الزبدة: القدس ص١٤٧.

(٢) شفيق جاسر: القدس، ص١٠٣-١٠٤.

(٣) عبلة الربذة:القدس، ص١٤٧، Runciman Crusades, vol2, p176-177

اسمهم من قبة الصخرة المشرفة بعد أن استولوا على منطقة الحرم التي كانوا يظنون أنها هيكلاً، وأنهم قلبوا مسجد قبة الصخرة إلى كنيسة، ووضعوا فيها الصور والتماثيل، ونصبوا فوقها صليباً، واستخدموا السراديب المتصلة بالمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة اصطبلات لخيولهم(١).

وكانت هذه الفرقة في بداية أمرها فرقة دينية تم تأسيسها بموافقة بلدوين الأول ملك القدس الصليبي، ثم تحولت إلى فرقة عسكرية بموافقة البابوية سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م، والتزمت الجانبين الديني والعسكري، وكانت تقوم بحماية الطريق بين القدس والبحر الأبيض المتوسط(٢)، وكان شعارهم **الصليب الأحمر**.

اهتم بها بلدوين الثاني وقدم لها الدعم والمساعدة،وكان أعضاؤها يرتدون البدلات البيضاء وعليها الصليب الأحمر شعاراً إذا كانوا من النبلاء، أما إذا كانوا من عامة المحاربين فيرتدون بدلات سوداء مع الصليب الأحمر شعاراً، ومن أشهر زعمائها **(جيرار ريدفورت)**، وقتله المسلمون في معركة صفورية قبيل معركة حطين بقليل.

وامتلك أعضاء هذه الفرقة كميات كبيرة من الأموال عن طريق الأسلاب وغنائم الحرب وأعمال النهب والإقطاعات التي امتلكوها، لذلك تحوَّل عدد من أعضائها إلى التجارة وكوَّنوا أسواقاً صيرفية وتجارية خاصة في فرنسا، وبعد تحرير المسلمين لمدينة عكا سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م أصبح همهم الأكبر التجارة والكسب، لذلك أعلنت البابوية حلَّها سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م(٣).

ح-فرقة التيوتون:

وهي فرقة ألمانية ترجع نشأتها إلى سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، وأسسها بحارة السفن الألمانية التي ساهمت في حصار مدينة عكا في الحملة الصليبية الثالثة،وحولوا سفنهم إلى مستشفيات للجنود المرضى، وكونوا فرقة عسكرية(٤)، إلاّ أنهم أقاموا فرقتهم بعد سقوط مدينة القدس من يد الإفرنج وتحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي، وكانوا يأملون بالعودة إلى القدس، ولم ينجحوا في احتلالها، وإن عادوا إليها صلحاً لفترة وجيزة.

---

(١) لي سترانج: فلسطين في العهد الإسلامي، ص١٥٩.

(٢) شفيق جاسر:القدس، ص١٠٦-١٠٧.

(٣) شفيق جاسر: القدس، ص١٠٧.

(٤) المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص٦٦.

المجتمع في مدينة القدس في العهد الصليبي

بعد سقوط مدينة القدس بيد الإفرنج سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، هاجر عدد كبير من سكان المدينة المسلمين، كما أجبر الإفرنج عدداً كبيراً على مغادرة المدينة، فحدث تخلخل في الوضع الاجتماعي للمدينة، إلاّ أن الإفرنج كانوا مضطرين فيما بعد بالسماح للمسلمين بالبقاء في المدينة، وعودة بعض أهلها إليها، إلاّ أن المسلمين من سكان المدينة لم يحصلوا على كامل حقوقهم كما هو الحال بالنسبة لبقيّة السكان، ويمكن تقسيم سكان المدينة خلال حكم الإفرنج إلى عدة فئات هي[١]:

١-**العرب المسلمون**: وهم سكان المدينة الأصليون، وقلَّ عددهم كثيراً بعد الاحتلال بسبب الهجرة التي حدثت غالباً تحت ضغط الإفرنج، وكانوا محرومين من حقوقهم المدنية[٢].

٢-**العرب المسيحيون (المسيحيون الشرقيون)**: وكانوا أحسن حالاً من المسلمين، غير أنهم لم يحصلوا على الامتيازات الممنوحة للأوروبيين.

٣-**الأسرة الحاكمة (الفرنج)**[٣]:وهم من قدم من الإفرنج مع الحملة الصليبية الأولى واستقروا في مدينة القدس وكان لهم حكمها وسيادتها،وعددهم قليل جداً.

٤-**طبقة الأجناد (السرجندية)**: وهم الجنود الذين يعملون في الجيش كمحاربين من الأوروبيين، وهم الرجال بكامل عدتهم الحربية[٤].

---

(١) عبلة الزبدة: القدس، ص١٦٢-١٦٣.

(٢) كلود كاهن: الشرق والغرب، ص٢١٥.

(٣) انظر رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٢ ص٤٨٠.

(٤) ن،م ، ج٢، ص٤٦٩.

٥-**طبقة التركبولية**: وهم جنود من أهل البلاد من النصارى الذين عملوا مع الإفرنج، وكانوا يسمون رماة الإفرنج[1].

٦-**التجار الإيطاليون**: وكانت لهم مساهمات في الحروب الصليبية، فقدموا المساعدات المالية والعينية للجيش الصليبي، ونقلوا معظم الجيش إلى فلسطين.

٧-**اليهود**: وكان عددهم قليل وعملوا في صناعة الصباغة والزجاج، ولم يكن لهم من الأمر شيء.

---

(١) شفيق جاسر: القدس، ص١٢٤.

الفصل الثامن

القدس وجه مشرق من جديد

١- القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي:

أ. استعدادات صلاح الدين ومعركة حطين

ب. تحرير المدينة المقدسة

٢- خلفاء صلاح الدين

٣- تطور القدس في العهد الأيوبي

٤- تطور القدس في العهد المملوكي

أ. استعدادات صلاح الدين ومعركة حطين:

بعد وفاة نور الدين زنكي الذي قضى حياته في مواجهة الأخطار الصليبية، تابع صلاح الدين الأيوبي سياسته لاتمام الوحدة الإسلامية التي تسهل الوقوف أمام خطر الإفرنج، فأتمّ مشروع الوحدة بين مصر وبلاد الشام، وقام بعدَّة أعمال وضع فيها حداً لاعتدات الصليبيين على البلاد الإسلامية.

وكان أكثر الصليبيين شدَّة على المسلمين الملعون **(البرنس أرناط)** أمير الكرك والمعروف بـ (رينولددي شاتيلون)[١]، وكانت إمارته تابعة لمملكة بيت المقدس اللاتينية، حيث لعب دور اللّص قاطع الطريق، باعتدائه على قوافل الحج والتجارة المتجهة إلى الديار المقدسة الحجازية، ومحاولته غزو الحجاز.

ففي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م أقدم البرنس أرناط على القيام بمشروع يستهدف طعن الإسلام والمسلمين بغزو الديار المقدسة[٢]، وتدنيس الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وربما توهم أرناط أنه قادر على تحقيق هذا المشروع وبناء أمجاد تؤهله أن يصبح سيد أمراء الفرنج في المشرق واعتلاء عرش الممالك الافرنجية في بلاد المسلمين، واحتكار تجارة الشرق الأقصى إذا نجح بغزو الحجاز[٣].

---

(١) هو أحد فرسان الإفرنج عرفه العرب باسم ارناط، تزوج من كونستانس أميرة إنطاكية، ثم استطاع السيطرة على قلعتي الكرك والشوبك، وقطع الطريق على التجار والحجاج بين الحجاز من جهة ومصر والشام من جهة أخرى (انظر وليم الصوري: الأعمال المنجزة، ج١ ص٦١، ج٢ ص٨١٤).

(٢) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين: دار الجليل، بيروت، ج٢ ص٣٥.

(٣) محمد محاسنة: معركة حطين/ المجلة العربية للثقافة، تونس، العدد ٢٦/ ١٩٩٤م، ص١٥٦.

وبدأ أرناط مشروعة بالتوجه إلى أيلة على البحر الأحمر وحمل معه سفناً بحرية صنعها في إمارته وحملها على الدواب قطعاً مفككة ثم ركبها في البحر، وزوَّدها بالرجال وآلات القتال اللازمة، فسيطر على قلعة العقبة[1]، التي عرفت باسم(جزيرة فرعون) ليضمن الاتصال بإمارته ولتساعده في حماية المنطقة.

أبحرت الحملة الفرنجية عبر البحر الأحمر وأغارت على ميناء عيذاب المصري المواجه لمدينة جدّة على ساحل البحر الأحمر، وقام الفرنج بنهب مجموعة منن السفن التجارية القادمة من اليمن والهند، واعتدوا على مراكب الحجاج، ثم توجهوا إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى الحجاز حتى وصلوا منطقة الحوراء على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة[2].

أثارت أعمال أرناط المسلمين فتنادوا لوقف الخطر الذي يستهدف قبلتهم ومكان حجهم، فأسرع العادل أخو صلاح الدين إلى إعداد أسطول قوي تولى قيادته حسام الدين لؤلؤ متولي الأسطول الإسلامي في مصر، وقصد أيلة أولاً ليقطع اتصال أرناط بإمارته، وظفر حسام الدين لؤلؤ بمراكب الافرنج فحرقها وأسر من فيها[3]، ثم تعقب السفن الفرنجية إلى عيذاب وسواحل الحجاز وفاجأهم في الحوراء ودمَّر أكثر سفنهم، فهرب من فيها ولاذوا بالجبال طلباً للنجاة، ثم استخدم حسام الدين ورجاله خيولاً أخذوها من العربان وطاردوا بها المنهزمين في الجبال حتى أسروهم[4]، وبعثوا بهم إلى مدينة القاهرة.

ساءت الأوضاع الداخلية في مملكة بيت المقدس بعد وفاة بلدوين الخامس في عكا سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، حيث الصراع على السلطة، فأسرعت أمه سبيلا لإعلان نفسها ملكة على بيت المقدس بتأييد من زوجها (جاي لوزجنان) وأرناط أمير الكرك وهرقل

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٥٩، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٦م، ج١ قسم١ ص٧٨.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب عن أخبار دولة ابي أيوب، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧م، ج٢ ص١٢٧، أبو شامة: الروضتين، ج٢ ص٣٧.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢ ص١٣٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٦٠، أبو شامة: الروضتين: ج٢ ص٣٧.

بطريركِ مدينة القدس وتم تتويج سبيلا وجاي لوزجنان ملكين[1] بمساعدة فرسان الداوية، وقدم أمراء الصليبيين إلى بيت المقدس لإعلان الولاء والطاعة للملك الجديد باستثناء ريموند أمير طرابلس وبوهيمند أمير أنطاكية.

حاول ريموند التقرب من صلاح الدين وطلب معونته، ثم حذا حذوه بوهيمند فجدَّد الهدنة المعقودة بينه وبين صلاح الدين الأيوبي، واضطربت أمور مملكة بيت المقدس الداخلية، فتجرأ أرناط أمير الكرك على مخالفة أوامر الملك، فوجد الملك نفسه في وضع سيء وبين أمراء لا يحسبون له حساب.

وكان أرناط بعد فشل حملته على الحجاز عقد هدنة مع صلاح الدين، لتأمين طرق الحج والقوافل بين مصر والشام والحجاز عبر الصحراء الأردنية[2].

وفي سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٧م ورغم الهدنة بين المسلمين والإفرنج إلاّ أن أرناط المشهور بالغدر والخيانة قام بالاعتداء على قافلة تجارية كانت متجهة من القاهرة إلى دمشق ونهب ما فيها من مال وسلاح وأخذ رجالها أسرى إلى حصن الكرك وعاملهم بمنتهى الوحشية والقسوة[3].

أرسل صلاح الدين إلى أرناط يطلب منه إطلاق سراح الأسرى ورد الأموال التي سلبها من القافلة، وهدده بسوء العاقبة إذا رفض ذلك، فأبى أرناط وأساء في ردّه، على رسل صلاح الدين وقال لهم: (قولوا لمحمد يخلّصكم)[4]، فأغضب ذلك صلاح الدين، فطلب إلى ملك بيت المقدس التدخل لاطلاق الأسرى ورد المنهوبات، فأعرض أرناط واستخف بملك بيت المقدس، عندها صمم صلاح على محاربته لتأديبه، ونذر أن يقتله إن ظفر به[5].

---

(١) العماد الكاتب: الفتح العشي في الفتح القدسي، ص٦٨.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢ ص١٨٥، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢ ص٧٩٧.

(٣) انظر ابن الأثير: الكامل، ج٩ص١٧٤.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢ ص١٩٤، ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص١٣٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٤، ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢ ص١٨٥.

بدأ صلاح الدين يعدُّ للقيام بعمل عسكري، وأعلن التعبئة العامة في أرجاء المملكة الإسلامية التابعة له، واستنفر المسلمين للجهاد، فكتب إلى الجزيرة الفراتية والموصل ومصر وجميع ولايات الشام الإسلامية يحثهم على الجهاد[1]، فتوافدت إليه جموع المسلمين من كل حدب وصوب.

أكمل صلاح الدين استعداداته وخرج من دمشق في محرم ٥٨٣هـ/ آذار ١١٨٧م على رأس جيش كبير اتجه به جنوباً حتى وصل منطقة إلى الشمال الغربي من حوران تعرف برأس الماء، فقلّد ابنه **الأفضل** قيادة القوات الإسلامية، وأمره بالبقاء هناك لتجتمع إليه باقي الإمدادات الإسلامية، بينما توجه هو إلى بصرى وخيَّم انتظاراً لعودة الحجاج الذين خشي عليهم غدر أرناط[2].

قام السلطان صلاح الدين بإرسال حملات استطلاعية عبر الصحراء الأردنية لإرهاب أرناط دون أن يصطدم به، ليضمن عدم اعتدائه على قوافل الحجاج، وما أن اطمأن السلطان على سلامة وصول القوافل حتى شرع في مهاجمة الكرك، فسار إليها في (١٢) ألفاً من جنده الشجعان، فانتشروا في أراضي الكرك يحرقون ويخربون وأرناط محصور في قلعة الكرك لا يستطيع أن يردَّ بشيء[3].

ووصل جيش مصري انضم إلى صلاح الدين، فوزّع جيشه إلى قسمين: أحدهما يحاصر قلعة الكرك، والآخر وجَّهه لمحاصرة قلعة الشوبك، واستمر حصار الكرك شهرين دون نتيجة.

وكلف السلطان ابنه الأفضل لتوجيه حملة عسكرية إلى عكا[4]،فاختار الأفضل لهذه الحملة كلاً من **ظفر الدين كوكبري** ابن صاحب الرها، و**صارم الدين قايماز النجمي** أمير جيش دمشق، و**بدر الدين الياروقي** أمير جيش حلب، وقام جيش المسلمين باجتياز

---

(١) العماد الكاتب:الفتح القسي، ص٥٨، ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص٣٤١.

(٣) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص٦١-٦٢، أبو شامة: الروضتين، ج٢ ص٧٥.

(٤) Lane-poole: saladinend the fall of the kingdome of Jerusalem, Beirut J964,p203.

الجليل باتجاه عكا، فالتقى بهم مقدم الداوية (جيرار ريدفورت) قرب صفورية وتعرَّض للهزيمة وقتل أمام المسلمين[1]، وبذلك ارتفعت معنويات المسلمين.

ولما أحسَّ الفرنج بالخطر قاموا باسترضاء ريموند، وأخذت جيوشهم بالاستعداد لمواجهة المسلمين واتخذوا منطقة صفّورية مكاناً لتجمعهم، وبدأت حشودهم تصل إلى هناك ومعهم صليب الصلبوت[2].

ترك صلاح الدين حصار الكرك، وتوجه إلى طبرية حيث الجيوش الإسلامية، ووصلته الأخبار هناك بنقض ريموند لعهده مع المسلمين والانضمام إلى الفرنج، وجمع صلاح الدين أمراء المسلمين وقادتهم ليستشيرهم في الأمر، فأجمعوا على مواجهة الفرنج[3]، وأصبح لزاماً عليهم وضع تخطيط مناسب ليتمكنوا من كسب المعركة، لأن التخطيط أساس النجاح والنصر.

اتّبع صلاح الدين استراتيجية عسكرية قصد منها سحب الفرنج إلى المكان الذي يريده ليواجههم هناك، فزحف بجيشه إلى طبرية، واقتحم المدينة، وأحرقها باستثناء قلعتها التي عجز المسلمون من الاستيلاء عليها، وقد احتمت بها **(أشفيا)** أميرة طرابلس وزوجة ريموند الثالث[4].

أثار هجوم صلاح الدين على طبرية أمراء الفرنج وقادتهم، فعقدوا مجلساً للحرب في عكا لبحث الموقف، وانقسم المجتمعون بين من يريد الزحف إلى طبرية ومن يريد البقاء في عكا حتى يأتيهم المسلمون تخوُّفاً من صعوبة الطريق وخطورتها، وعلى رأس هؤلاء

---

(١) العماد الكاتب:الفتح القسي، ص٦٣، ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٦.

(٢) هو صليب مرصع بالجواهر واليواقيت في غلاف من الذهب يزعمون أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام ويحملونه معهم رمزاً للنصر (انظر ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٨، أبو شامة الروضتين:ج٢ ص٧٨، يوسف غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية، عمان ١٩٨٠م، ص١٥٧).

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٦-١٧٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٧، أبو شامة: الروضتين، ج٢ ص٧٦.

ريموند الثالث صاحب طبرية، فقد أدرك خطورة الزحف إلى المسلمين، وخوَّف الفرنج من ترك صفوريا، فوصفه بعضهم بالجبن ومواطأة المسلمين(١).

وأخيراً استقرَّ رأي الفرنج على المسير إلى المسلمين، فتوجهوا صوب طبرية في ظروف قاسية من شدَّة الحرّ وصعوبة الطريق(٢)، وبهذا نجحت استراتيجية صلاح الدين في جرّ الفرنج إلى المسلمين ليعانوا مشقات السفر والتعب، في وقت كان فيه المسلمون ينعمون بالراحة والاستعداد للقتال.

لجأ صلاح الدين إلى استراتيجية أخرى لكسب المعركة تقضي بحرمان الفرنج من الوصول إلى الماء، فترك حصار قلعة طبرية ونزل بجيش المسلمين على الماء إلى الغرب من طبرية عند قرية حطين(٣).

وصل الصليبيون إلى حطين في ربيع الثاني ٥٨٣هـ/ تموز ١١٨٧م وعسكروا على هضبة تعرف بقرون حطين، وحال صلاح الدين وجيش المسلمين بين الفرنج وبين الماء في طبرية التي صارت خلف المسلمين، وكان الحرُّ شديداً والعطش قد أخذ منهم كل مأخذ، مع مشقات السفر من عكا إلى طبرية.

أمضى الصليبيون ليلة قاسية من شدَّة العطش والتعب، بينما كان المسلمون يكبّرون ويهللون، ولكي يمسك صلاح الدين بزمام المبادرة أمر جيوش المسلمين أن تتخذ من الليل ستاراً للإحاطة بالصليبيين من كل جانب(٤).

وبدأت المعركة في صبيحة اليوم التالي يوم السبت ٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣هـ/ ٤ تموز ١١٨٧م، فهجم المسلمون على عدوِّهم كالأسود وقاتلوا قتال الأبطال، ورموا أعداءهم بالسهام، وانهزمت طائفة من الفرنج فلحق بها جمع من المسلمين وطاردوهم حتى لم يبق منهم أحد، وقام المسلمون بإشعال النار في الهشيم، فاجتمع على الصليبيين حرُّ الشمس

---

(١) محمد محاسنة: معركة حطين/ المجلة العربية، ص١٦١-١٦٢.

(٢) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص٧٧، ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٧.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨ ص٣٩٣.

(٤) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص٧٩-٨٠، ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٨.

وحرّ النار[1] والتعب الشديد وقوة المسلمين والهجمات التي كانت تنهال عليهم من كل جانب.

واستمر الحال على ذلك حتى كان الفرنج يستسلمون للمسلمين فرادى وجماعات، واستولى المسلمون على صليبهم الأكبر (صليب الصلبوت)[2]، فكان ذلك اليوم من أيام المسلمين الخالدة، فوصفه المؤرخون وأسهبوا في وصفه وذكره الشعراء في قصائدهم، يقول العماد الكاتب: (فرجا الفرنج فرجا، وطلب طلبهم المحرج مخرجا، فكلما خرجوا جرحوا، وبرح بهم حرّ الحرب فما برحوا، وحملوا وهم ظماء ومالهم سوى ما بأيديهم من ماء الفرند ماء، فشوتهم نار السهام وأشوتهم، وصممت عليهم قلوب القسى القاسية وأصمتهم، وأعجزوا وأزعجوا، وأحرجوا وأخرجوا، وكلما حملوا رُدوا وأرْدوا، وكلما ساروا وشدُّوا أُسِروا وشُدّوا..)[3].

وأسر المسلمون عدداً كبيراً من الفرنج كان فيه زعماءهم ملك بيت المقدس جاي لوزجنان، وأرناط أمير الكرك، وابن الهنفرى سيد تبنين، وابن صاحب طبرية وصاحب جبيل، فاستقبلهم صلاح الدين استقبالاً حسناً، وأجلس ملك بيت المقدس إلى جانبه وقد أضناه العطش، فقدَّم إليه ماءً مثلجاً (بارداً)، فشرب منه وأعطى ما تبقى لأرناط وشرب، فغضب صلاح الدين وقال: (إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فينال أماني)، ثم التفت إلى ارناط وأخذ يذكره بجرائمه وغدره بالمسلمين وقتلهم دون ذنب، ثم قتله وفاءً بنذره[4]، أما الآخرون فقد هدّأ السلطان من روعهم وأمر برعايتهم ورعاية باقي أسرى الفرنج ما عدا الداوية والإسبتارية الذين استاء من تصرفاتهم وأعمالهم مع المسلمين فأمر بقتلهم[5].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٧٨، أبو شامة: الروضتين، ج٢ ص٧٧، يوسف غوانمة: إمارة الكرك، ص١٥٦.

(٢) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص٨٤، المقريزي: السلوك، ج١ قسم١ ص٩٣.

(٣) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص٧٨-٧٩.

(٤) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص٨١، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨ ص٣٩٤.

(٥) المقريزي: السلوك، ج١ قسم١، ص٩٣.

وكان صدى هذا الانتصار عظيماً في بلاد المسلمين، فقد أقاموا الاحتفالات بهذا النصر، وأخذوا يتطلعون بشوق إلى تحرير بقية البلاد الإسلامية من يد الفرنج، فنظم الفاضل بن الفضل الجليّاني قصيدة لمعركة حطين يقول فيها[1]:

يا وقعة التل ما أبقيت من عجب ... جحافل لم يفُت من جمعها بشَرُ
ويا ضحى السبت ما للقوم قد سبقوا ... تهوّدوا أم بكأس الطعن قد سَكِروا
حطوا بحطين ملاكاً فيا عجباً ... في ساعة زال ذاك الملك والقدَرُ
أهوى عليهم صلاح الدين مفترساً ... وهو الغضنفرِ أعدى ظُفْرَه الظَفُر
وأنجز الله للسلطان موعده ... ونَذْرَهُ في كَفَورٍ دينهُ البَطرُ
وعاين الملك الإبرنس في دمه ... فمات حيّاً وحيى وهو يعتذِرُ
إزاءه زعماء الساحلين معاً ... مُصفّدين بحِبل القهر قد أُسِروا
ما لي أرى ملك الافرنج في قفصٍ ... أين القواضبَ والعسالة السُمرُ
والاسبتار إلى الديوية التأموا ... كأنهم سَدٌّ يأجوج إذا اشتجروا
يتلوهم صلبوت سيق منتكساً ... وحوله كل قسيس له دُبَرُ

وقال العماد الكاتب قصيدة منها[2]:

يا يوم حطين والأبطال عابسة ... وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا
رأيت فيه عظيم الكفر محتقراً ... معفّراً خدّه والأنف قد تعسا
يا طهر سيف برى رأس البرنس فقد ... أصاب أعظم من بالشرك قدنجسا
وغاص إذ طار ذاك الرأس في دمه ... كأنه ضفدع في الماء قد غطسا
ما زال يعطس مزكوماً بغدرته ... والقتل تشميت من بالغدر قد عطسا
أفناهم قتلهم والأسر فانتكسوا ... وبيت كفرهم من خبثهم كنسا

---

(١) أبو شامة: الروضتين، ج٢ ص١١٦-١١٧.

(٢) ن. م، ج٢، ص٨٣.

ب-تحرير المدينة المقدسة:

كان أهم ما يشغل صلاح الدين بعد معركة حطين هو تحرير مدينة القدس، التي طال انتظار المسلمين لعودتها وتطهيرها من ضلالات الشرك والإفك، إلاّ أنه كان لابد له قبل ذلك أن يقوم بتطهير بعض المناطق الحصينة التي تجعل وجهته إلى مدينة القدس أكثر سهولة وأمناً لجيشه، فمهد لذلك بالاستيلاء على عكا وحيفا ونابلس ويافا وصيدا وبيروت وجبيل والرملة وعسقلان وسائر المدن التابعة لبيت المقدس[1].

كانت آخر المعاقل التي فتحها السلطان قبل التوجه إلى القدس هي عسقلان التي كانت على طريق مصر، وحررّها في جمادي الآخرة ٥٨٣هـ/ أيلول ١١٨٧م، وطلب إلى هناك وفداً من الفرنج لمفاوضته في تسليم المدينة المقدسة بالأمان، ولما رفض الوفد بحث الأمر، وقرَّر الاستيلاء عليها بالقوّة[2].

أعدّ صلاح الدين لفتح المدينة بإرسال الأسطول المصري ليبحر بقيادة حسام الدين لؤلؤ إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط لرد أي سفينة تابعة للصليبيين[3]، وتقدم هو بالجيش الإسلامي يرافقه الملك العادل، وابنه العزيز عثمان الذي انضم إليه بعد فتح عسقلان، وكان الفرنج قد استعدوا في المدينة ونصبوا المجانيق فوق أسوارها، وفرَّقوا على كل برج من الأبراج فريقاً من الجند[4]، المجهزين والمدربين على القتال، وكان في المدينة (بلدوين الاليني) صاحب الرملة وطرابلس، وبطريق بيت المقدس ومقدمي الداوية والإسبتارية مع ستين (٦٠) ألف مقاتل.

وصل صلاح الدين إلى مدينة القدس في رجب ٥٨٣هـ/ أيلول ١١٨٧م، وأخذ مواقعه خارج المدينة، فرتّب جيشه في المناطق المناسبة لحصارها وفرض عليها حصاراً مشدداً، وأخذ في مقاتلة الفرنج، ورمى المدينة بالمجانيق وتمكن من نقب أسوار المدينة، فلما

---

(١) أبو شامة: الروضتين: ج٢ ص٨٥، ٨٩، ٩١، باركر: الحروب الصليبية، ص١٨٢-١٨٣.

(٢) مصطفى: الحياري: صلاح الدين القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، بيرون ١٩٩٤م ص٣٢٠-٣٢١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٨٢.

(٤) مصطفى الحياري: صلاح الدين، ص٣٢١-٣٢٢.

أحسّ الفرنج بقوّة المسلمين وشدّة هجماتهم، وأن المدينة أصبحت على وشك السقوط، أصابهم اليأس فبعثوا إلى صلاح الدين يعرضون عليه تسليم المدينة غير أنّه رفض أول الأمر وقال لهم: لا أفعل بكم إلاّ ما فعلتم بأهله يوم ملكتموه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها[1].

ولما تكرر رفض صلاح الدين قبول التسليم، هدّد الفرنج بحرق المدينة وتخريب قبة الصخرة المشرفة وقتل أسرى المسلمين وإتلاف الأموال والممتلكات والاستمرار في الحرب حتى آخر لحظة، عندها جمع صلاح الدين مجلس حربه بحضور القادة والأمراء واستشارهم في الأمر، وانتهى قرارهم إلى قبول التسليم والمصالحة.

ولما تردد رسل الفرنج بعرض الصلح، تخلق القائد بأخلاق المسلم الأنموذج ووافق على شروط الصلح وتراجع عن موقفه السابق، وتضمنت شروط الصلح ما يلي[2]:

١-أن يدفع الفرنج الفدية كما يلي:

أ- عشرة دنانير على كل رجل.

ب-خمسة دنانير عن كل امرأة.

ج-ديناران عن كل ولد أو بنت من بناتهم.

٢-يعطي الفرنج مدة (٤٠) يوماً ومن يدفع خلالها يسمح له بمغادرة المدينة آمناً على نفسه وماله.

٣-من لم يدفع خلال هذه المدّة يصبح مملوكاً للمسلمين.

٤-سمح صلاح الدين للرعايا المسيحيين من الشاميين واليونان بالبقاء في المدينة كرعايا.

ومع كل ذلك فقد كان صلاح الدين كريماً إلى أبعد حدود الكرم، فقد أطلق سراح عدد كبير من الفقراء بدون دفع الجزية، وخفّف عن آلاف آخرين، وسمح لزوجة ملك القدس أن تخرج بأموالها وخدمها، وفعل مثل ذلك مع كثير من الأميرات ومنهن زوجة

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٨٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٨٣، مصطفى الحياري: صلاح الدين، ص٣٣١، أمينة بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق ١٩٨٢م، ص١٤٥-١٤٦.

أرناط الأميرة (Etiennette)، وأرسل جنوده لحمايتهن حتى وصلن مدينة صور، وترك بطريرك القدس يخرج بالأموال الهائلة ولم يدفع غير عشرة دنانير كغيره من الناس، وفوق هذا فقد دفع عن آلاف من الناس لم يجدوا ما يدفعوه وأطلق سراحهم، ومع هذا بقي أكثر من (١٥) ألفاً لم يدفعوا فاسترقهم المسلمون[١].

رتّب السلطان عدّة دواوين في كل ديوان منها عدد من النواب المصريين ومنهم من الشاميين لتسجيل الخارجين بأموالهم وأنفسهم ودفع المال المحدد وإعطاء كل واحد تصريحاً يسمح له بالخروج من غير اعتراض، كما رتبّ على كل باب من أبواب المدينة أمناء ووكلاء، ومن أخذ تصريحاً سمح له بالخروج من المدينة[٢].

واستمرت عملية خروج الفرنج من المدينة حوالي أسبوعين، وأثناء هذه المدة لم يدخل أحد من جند صلاح الدين إلى المدينة باستثناء الموظفين الذين يشرفون على قبض الأموال، والمقدمين الذين يراقبون وينظمون عملية خروج الفرنج من المدينة بصورة سليمة.

وأساء بعض المسؤولين عن المال استعمال وظائفهم، فقد قبل بعضهم الرشوة مقابل تقديم الإفراجات (سندات السداد أو التصاريح) التي تخولهم الخروج[٣]، وعبَّر العماد الكاتب عن أسفه على ذلك فقال:

(ولو حفظ هذا المال حقّ حفظه لفاز منه بيت المال بأوفر حظّه، لكنّما تمّ التفريط وعمَّ التخليط، فكل من رشا مشا، وتنكّب الأمناء نهج الرشد بالرشا...)[٤].

ودخل صلاح الدين مدينة القدس بقواته من المسلمين يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/ ٢ تشرين الأول ١١٨٧م، وهو اليوم الذي دخل فيه الفرنج المدينة قبل ٩٢

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٨٣-١٨٤.

(٢) مصطفى الحياري: صلاح الدين، ص٣٣٢.

(٣) انظر ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص١٨٣.

(٤) العماد الكاتب: الفتح القسي، ص٩٣، أبو شامة: الروضتين، ج٢ ص٩٥.

سنة، ويدأ صلاح الدين بإصلاح ما أفسدته أيدي الصليبيين، وسمح للنصارى العرب البقاء فيها كذمة للمسلمين الذين عادوا إليها.

وامتدح الشعراء هذا الفتح، فنظم فخر الكتّاب أبو علي الجويني قصيدة قال فيها(١):

جند السماء لهذا الملك أعوان — من شكّ فيهم فهذا الفتح برهانُ

متى رأى الناس ما نحكيه في زمن — وقد مضى أزمان وأزمان

هذي الفتوح فتوح الأنبياء وما — لها سوى الشكر بالأفعال أثمانُ

أضحت ملوك الفرنج الصيد في يده — صَيْداً وما ضعفوا يوماً وما وهنوا

كم مِنْ ملوك فحول غودروا وهم — خوف الفرنجة ولدان ونسوان

تسعون عاماً بلاد الله تصرخ وال — إسلام نُصّاره صمٌّ وعُميان

فالآن لبّى صلاح الدين دعوتهم — بأمر من هو للمعوان معوان

في نصف شهر غدا للشرك مضطلماً — فطهّرت منه أقطارٌ وبلدان

فأين مسلمة عنها وإخوته — بل أين والده بل أين مروان

لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد — تنزلت فيه آياتُ وقرآنَ

خلفاء صلاح الدين

ما أن انتهى صلاح الدين من تحرير بيت المقدس ووصلت أنباء انتصاراته إلى أوروبا حتى هبَّت البابوية تنادي أوروبا لإرسال حملة إلى بلاد المسلمين، ولبَّى نداء البابوية ملكي فرنسا وانجلترا، فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد، وتزعما الحملة الصليبية الثالثة التي وصلت إلى عكا في ربيع الأول ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، ورغم استبسال المسلمين في الدفاع عن المدينة، إلاّ أنها سقطت بيد الفرنج سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م(٢)، وبذلك انقلب ميزان القوى لصالح الفرنج.

---

(١) أبو شامة: الروضتين، ج٢ ص١٠٤- ١٠٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٢١٤.

وتعرَّض المسلمون للهزيمة مرَّة أخرى في أرسوف بنفس العام، وتوجه الفرنج إلى القدس وحاصروها في محاولة لإعادة احتلالها من المسلمين، ولما يئسوا عرضوا الصلح على صلاح الدين، فانتهى الأمر بعقد صلح الرملة سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا، وتضمن الصلح الشروط التالية[١]:

١-التخلي عن مناطق غزة والداروم وعسقلان، بينما يبقى الساحل الفلسطيني من صور إلى يافا بيد الفرنج.

٢- حرية حج المسيحيين إلى بيت المقدس.

٣- اللد والرملة تكون مناصفة بين الطرفين.

٤- مدَّة الصلح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر.

٥- تكون الهدنة عامة في البر والبحر.

وما هي إلاّ مدَّة قصيرة بعد الصلح حتى توفي صلاح الدين وذلك في صفر سنة ٥٨٩هـ/ شباط ١١٩٣م[٢] بعد حياة حافلة بالجهاد والعطاء الموصول.

وبعد ذلك انقسمت مملكة صلاح الدين بين خلفائه من أبنائه وأخوته، فابن صلاح الدين الأكبر وهو الأفضل كان ملازماً لأبيه عند وفاته، فاحتفظ بدمشق والقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس ومناطق من ساحل الشام، واحتفظ العزيز عثمان بمصر، وأخذ الملك الظاهر غازي وهو الابن الثالث، حلب وشمال الشام، أما الملك العادل شقيق صلاح الدين فصار له حكم الأردن وبلاد الجزيرة وديار بكر[٣]، بينما انتقلت السلطنة إلى الملك الأفضل بوصية من صلاح الدين.

وحدثت خلافات بين أبناء صلاح الدين وأخوته على اقتسام الأملاك التي خلفها صلاح الدين مما جعل البلاد عرضة من جديد لأطماع الفرنج، وانتهت الخلافات إلى

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٢٢١-٢٢٢، أمينة بيطار: العصر الأيوبي، ص١٦٠، وانظر مصطفى الحياري: صلاح الدين ص٤٤٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٢٢٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٢٢٧، المعاضيدي وآخرون: الوطن العربي، ص١٩٧.

استيلاء الملك العادل على معظم البلاد التي كانت تضمها مملكة صلاح الدين بما فيها مدينة القدس التي استولى عليها سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م[١].

وفي عهد الملك العادل حرّكت أوروبا حملة جديدة إلى فلسطين هي الحملة الصليبية الخامسة وكان المحرّك لها هو البابا هو نوريوس الثالث، واشترك في الحملة كل من:

١- **أندريّا الثاني ملك المجر (هنغاريا).**

٢- **ليوبولد السادس دوق النمسا.**

وكانت هذه الحملة تهدف إلى استخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين[٢]، وتمكن الصليبيون من الوصول إلى عكا سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٨م، فلما علم الملك العادل بذلك جهّز جيشه واتجه لملاقاة الفرنج، ودخل الفرنج البلاد الشامية ونهبوا المناطق من بيسان إلى بانياس، بينما كان الملك العادل خلال مسيرة يتحاشى الاصطدام بهم لقلة جيشه[٣]، ومع ذلك فإن ملك المجر عاد إلى بلاده لأنه لم يحقق النجاح الذي كان يطمح في تحقيقه من الحملة.

أما ليوبولد السادس فانضم إلى.(حنّا دي برين) في عكا الذي كان منتظراً أن يكون ملك القدس بعد استيلائهم عليها، وتوجها إلى مصر، فنزلا على مدينة دمياط وضربوا عليها الحصار، فمات الملك العادل أثناء الحصار، واستغل الصليبيون اضطراب المسلمين في هذه الأثناء ودخلوا مدينة دمياط[٤].

وتولى الحكم في الدولة الأيوبية الملك الكامل بن العادل فأخذ يستعد للمواجهة، وبدأ بالقضاء على المؤامرات الداخلية، ثم هيأ نفسه لمواجهة الفرنج، إلا أنه خشي تفوق القوات الفرنجية، فعرض عليهم أن يسلمهم بيت المقدس وعسقلان وطبرية واللاذقية

(١) شفيق جاسر: القدس، ص٨٤.

(٢) محمد العمروسي: الحروب الصليبية، ص١٠٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٣١٥.

(٤) ن. م، ج٩ ص٣١٦.

وصيدا وجبلة مقابل خروجهم من دمياط، غير أنهم رفضوا العرض وطلبوا زيادة عليه منطقة الكرك بالإضافة إلى دفع مبلغ (٣٠٠,٠٠٠) جنيه[١]، فأضاعوا بذلك فرصة ثمينة.

لجأ المسلمون إلى استثمار مياه النيل وكان موسم فيضان النيل، فكسروا السدود والجسور، فاندفعت المياه إلى الأراضي التي فيها الصليبيون فغمرتهم المياه وحصرتهم من كل جانب، وأصبحوا في الماء والوحل، ووقف المسلمون على المدخل الوحيد الذي يسهل خروجهم فسيطروا على الموقف وأجبروا الفرنج على الاستسلام والخروج من مصر دون مقابل سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م[٢].

هذه الأحداث دفعت الفرنج لاستصراخ أوروبا في إيطاليا وفرنسا، وحدث أن وقع خلاف بين الكامل واخوته، فتحالف أخوه المعظم عيسى صاحب دمشق والقدس مع جلال الخوارزمي ضد أخويه الكامل صاحب مصر والأشرف موسى صاحب الجزيرة، فتخوف الكامل من هذا التحالف وبعث يطلب النجدة من أوروبا، حيث أرسل إلى صديقه **فردريك الثاني** ملك صقلية وإيطاليا الذي تربطه به علاقات ودّ حميمة يطلب مساعدته ضد أخيه ووعده أن يعطيه بيت المقدس.

قدم **فردريك الثاني** على رأس الحملة السادسة، وتوفي المعظم عيسى قبل وصوله في سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م فلم يعد هناك حاجة لقدوم فردريك الثاني، فلما وصل إلى عكا راسل الملك الكامل وأخذ يتوسل إليه ويتودد ليسلمه بيت المقدس ليتم تتويجه امبراطوراً، وذكرّه بالوعد الذي بينهما وأنه إنما جاء نجدة له على هذا الأساس، ورغم تردد الملك الكامل أول الأمر إلاّ أن الأمر انتهى بموافقة الملك الكامل[٣]، وعقد صلح يافا مع فردريك الثاني فتضمن الصلح البنود التالية[٤]:

١- تسليم مدينة القدس لفردريك الثاني شريطة عدم تجديد أسوارها، وألاّ تقام فيها حصون ولا قلاع.

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٣١٨.

(٢) ن. م، ج٩ ص٣١٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٣٧٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٩ ص٣٧٨، أمينة بيطار: العصر الأيوبي، ص ١٨٨-١٨٩.

٢- تبقى القرى التي حول القدس بيد المسلمين.
٣- يبقى المسجد الأقصى بيد المسلمين شريطة ألاّ يحملوا فيه سلاحاً.
٤- إطلاق سراح الأسرى الفرنج.
٥- يعطى الفرنج إضافة إلى القدس بيت لحم والناصرة وتبنين وصيدا وطريق من القدس إلى يافا على ساحل البحر المتوسط.
٦- وقوف فردريك الثاني إلى جانب الملك الكامل حتى لو كان ذلك ضد الفرنج وعدم السماح بوصول الإمدادات إلى إمارتي أنطاكية وطرابلس.
٧- مدّة المعاهدة عشر سنوات.

وجاءت ردة الفعل الإسلامية قوية على هذه المعاهدة، وغاضبة على تفريط الكامل بمدينة القدس، فاشتدّ بكاءُ المسلمين عليها وأقاموا المآتم ونعتوا الملك الكامل بالخيانة والتقصير[1]، وأعلنوا رفض المعاهدة لأن مدينة القدس تمثل رمزاً دينياً بالنسبة لهم.

ودخل فردريك الثاني مدينة القدس في جمادي الأولى سنة ٦٢٦هـ/ آذار ١٢٢٩م، وتوّج نفسه إمبراطوراً في كنيسة القيامة، ثم قام بزيارة المسجد الأقصى.

وتوفي الملك الكامل سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م قبل انتهاء موعد الاتفاق مع الفرنج، وفي هذه الأثناء أعدّ الصليبيون حملة لمجابهة المسلمين وصلت إلى عكا وعلى رأسها (تيبو الرابع) ملك النافار سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، وكان الفرنج قد شيدوا في القدس قلعة خلافاً لاتفاقهم مع المسلمين، فلما علم **الناصر داؤد ملك الكرك** بذلك توجه إلى القدس فتمكن من تحريرها سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، والتجأ الصليبيون إلى القلعة التي شيدوها في المدينة فنازلها وضربها بالمجانيق وحاصرها ٢١ يوماً حتى استسلمت وهدم القلعة والأبراج التي جدّدوها في المدينة.

وبعد أن تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب الحكم في الدولة الأيوبية سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، وقع الخلاف بينه وبين الناصر داؤد الذي حرّر القدس، والملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حمص، واستعان الصالح نجم

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤ ص٢٤٣.

الدين أيوب بالخوارزمية، مما دفع الناصر داؤد للإستعانة بالفرنج وتنازل عن مدينة القدس وعن طبرية وعسقلان وكوكب، ودخل الفرنج مدينة القدس مرّة أخرى سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م، وتسلموا المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة وما في الحرم من مزارات.

غير أن التعاون بين المسلمين لم يترك المدينة طويلاً تحت حكم الفرنج، فتوجهت الخوارزمية إلى بلاد الشام، وتمكنوا من تحرير القدس بعد عام واحد من تسليمها للفرنج وذلك سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م(١)، فعادت المدينة ودخلت تحت سلطة الملك الصالح نجم الدين أيوب، فأحدث ذلك ردّة فعل عنيفة في الغرب الأوروبي، حيث دعت البابوية إلى حملة جديدة استجاب لها ملك فرنسا **لويس التاسع**، وقاد الحملة الصليبية السابعة التي وصلت إلى مصر وتمكنت من احتلال دمياط، فتصدى لها الملك الصالح نجم الدين أيوب، غير أن المنية عاجلته قبل أن يطردهم من مصر، فتولى ابنه **توارن شاه** المهمة من بعده، ووقف معه المماليك لرد الفرنج فلقنوا لويس التاسع درساً قاسياً في القتال والبطولة وأسروه إلى أن افتدى نفسه بالمال سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م(٢).

تطور القدس في العهد الأيوبي

شهد عصر صلاح الدين الأيوبي أعظم تحول في تاريخ مدينة القدس بعد أن خضعت لحكم الإفرنج أكثر من تسعين عاماً، فشوّه صورتها العربية الإسلامية، وطمس معالمها الثقافية والعمرانية، وأساء إلى قدسيتها ومكانتها الدينية، فقام صلاح الدين بتحريرها من الحكم الفرنجي سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وعامل حكامها من الصليبيين معاملة حسنة، وكما هو معروف عند المسلمين، فلم ينتقم ولم يقتل ولم يشرد وإنما أحسن إلى الناس أيما إحسان، وخفف عنهم الضرائب المقدّرة عليهم كلما وجد من لا يستطيع

---

(١) خاشع المعاضيدي: الوطن العربي ص٢١٤.

(٢) محمد المطوي: الحروب الصليبية، ص ١٢٠-١٢٢.

أن يدفع وأعفى كثيرين، فضرب مثلاً رائعاً بأخلاقه الإسلامية التي علمته آداب الحرب على أحسن ما يكون[1].

وأعاد صلاح الدين لمدينة القدس هيبتها وشخصيتها العربية الإسلامية، حيث أمر بإعادة المظاهر العربية الإسلامية على عمارات المساجد والمباني المختلفة، بعد أن أمر بإنزال كل ما له علاقة بالفرنج الغزاة، وطهَّر المساجد من رجسهم ونجاساتهم[2]، ونشر الأمن والاستقرار في المدينة.

وأولى صلاح الدين جُلَّ عنايته للمباني الدينية، فشرع في إعادة بناء مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، وأزال كل ما أحدثه فرسان الداوية من تغييرات[3]، وجاء بالمنبر الذي بناه نور الدين زنكي ونصبه في المسجد[4]، وكان من أجمل التحف الفنية التي صنعها المسلمون، فلم يعمل في الإسلام مثله، وفرش المسجد بالبسط وعلقت القناديل[5].

وأقام صلاح الدين في مدينة القدس عدداً من المعاهد العلمية أهمها:

١-رباط الصوفية (خانقاة الصوفية)، وكانت تعرف بالخانقاة الصلاحية، وقفها صلاح الدين على رجال الصوفية[6].

٢-البيمارستان الصلاحي، وهو مستشفى إسلامي للمرضى في المدينة.

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٨٢-١٨٥. العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٧٤، فاروق عمر فوزي ومحسن محمد حسين: الوسيط في تاريخ فلسطين ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) عبد اللطيف الطيباوي: القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام، وزارة الأوقاف، عمان ١٩٨١م، ص٢٢.

(٣) كامل العسلي: مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، وزوارة الشباب، عمان ١٩٨٨م ص٣٠.

(٤) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٧٥، الطيباوي: القدس الشريف، ص٢٢.

(٥) العليمي: الأنس الجليل، ج١ ص٤٧٥-٤٧٦.

(٦) كامل العسلي: مكانة القدس، ص٣٠-٣١.

٣-إنشاء مدرسة نسبت إليه هي المدرسة الصلاحية، وفوَّض إدارتها إلى القاضي بهاء الدين بن شداد[1]، كما أنشأ المدرسة الميمونية.

وبالإضافة إلى هذا فقد عمل صلاح الدين رحمه الله على تعمير أسوار المدينة وأبراجها، وحفر حولها خندقاً حول السور الواصل ما بين باب العمود وباب الخليل، كما أوقف الأوقاف من أراضٍ وغيرها على المعاهد والمؤسسات التي أنشأها لضمان استمرارها في آداء وظائفها، ولينفق من هذه الأوقاف على حاجات المدارس وأغراضها المختلفة.

ورغم أن بعض خلفاء صلاح الدين فرَّطوا ببيت المقدس وسلَّموه للإفرنج، إلاّ أن المسلمين تمكنوا من استرداد القدس واخرجوا منها أعداء الإسلام، واجتهد بعض خلفاء صلاح الدين في تعمير المدينة وتحصينها، وإنشاء المؤسسات فيها، فالملك العادل أنشأ سقاية في الحرم القدسي، وقام المعظم عيسى بن العادل بتعمير مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وبنى الرواق الشمالي للمسجد، كما جدَّد قناطر الحرم، وأنشأ المدرسة الحنفية (الأعظمية)، وأقام الملك الأفضل ابن صلاح الدين المدرسة الأفضليَّة وأنشأ المسجد المعروف بالمسجد العمري إزاء كنيسة القيامة[2].

تطور القدس في العهد المملوكي

خلف المماليك دولة بني أيوب في حكم مصر وبلاد الشام سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠، فبعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م تولت زوجته شجرة الدر، غير أن تولي امرأة لأمر المسلمين في تلك الظروف الصعبة لم يلق استحسان المسلمين فتزوجت شجرة الدر من عز الدين أيبك الذي أسس أسرة مملوكية حاكمة[3]،

---

(١) العليمي: الأنس الجليل، ج٢ ص٨٨، الطيباوي: القدس الشريف، ص٢٣.

(٢) كامل العسلي: مكانة القدس، ص٣١-٣٢.

(٣) انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣ ص١٨٨-١٩٠، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٦ ص٣٧٣ وما بعدها، فاروق عمر ومحسن محمد: الوسيط، ص٢١٩-٢٢٠.

وحكم المماليك العالم الإسلامي في الفترة الواقعة ما بين ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، وانقسم عهد المماليك إلى فترتين هما:

أ- المماليك البحرية: وامتد حكمهم من ٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م.

ب-المماليك البرجية: وامتد حكمهم من ٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م.

واستهل المماليك حكمهم بالتصدي لأعظم خطرين تعرَّض لهما العالم الإسلامي في العصور الوسطى، وهما خطري المغول والصليبيين، فعندما تولى السلطان المظفر قطز كانت قوى المغول تهدد بالوصول إلى مصر بعد أن دخلت بلاد الشام، لذلك عقد هدنة مع الصليبيين، وتفرغ لقتال المغول، فالتقى بهم في معركة عين جالوت في شمال فلسطين سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وتمكن من تحقيق نصر كبير[١] ورد الخطر المغولي الذي أثار الرعب في البلاد بما قام به من أعمال الدمار والتخريب والقتل، وبذلك تمكن المماليك من حماية العالم الإسلامي من أخطارهم وشرورهم وتوقف زحفهم باتجاه الشام ومصر بعد ذلك.

وتابع المماليك مواجهة الأخطار الصليبية على فلسطين وبلاد الشام، فتمكنوا من تحرير البلاد من بقاياهم، وأخرجوا الفرنج من آخر معقل لهم في بلادنا فلسطين من مدينة عكا سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م[٢].

وإدارياً قسم المماليك بلاد الشام وفلسطين إلى نيابات، وهو النظام الإداري الذي كان معمولاً به أيام بني أيوب، فكانت القدس مركزاً لإحدى نيابات فلسطين إضافة إلى نيابة غزة ونيابة صفد، وحكام النيابات كانوا من القادة العسكريين بسبب الحاجة الدائمة إلى ضبط الأمن وحماية البلاد، وكان صاحب النيابة يتمتع بكافة الصلاحيات للإشراف على نيابته وحمياتها[٣].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٣ ص٢٣٣-٢٣٥، فاروق عمر ومحسن محمد: الوسيط، ص٢٢٠-٢٢٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣ ص٣٣٩-٣٤٢.

(٣) فاروق عمر ومحسن محمد: الوسيط، ص٢٢٧.

وحظيت مدينة القدس باهتمام سلاطين المماليك خاصة تعمير الأماكن الدينية كالربط والزوايا[1]، والاهتمام بالعلوم والآداب التي تطورت كثيراً، فكان طلاب العلم يؤمون مدينة القدس من جميع أنحاء العالم الإسلامي[2]، وكان مركز التعليم الرئيسي هو المسجد الأقصى، بالإضافة إلى المدارس الكثيرة التي أقيمت في مدينة القدس، ومنها المدرسة التنكزية،وهي مدرسة كبيرة أنشأها تنكز الناصري نائب الشام في مدينة القدس سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة[3]، وكانت تضم دار للأيتام وملجأ للعجائز والمدرسة الأشرفية التي بناها السلطان قايتباي سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، وقد أنشأ المماليك في مدينة القدس أكثر من خمسين مدرسة، وأقام الظاهر بيبرس داراً للحديث في المدينة[4].

وزاد اهتمام السلاطين بالمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة، فقاموا فيها بأعمال الترميم والاصلاح، وأقاموا في الحرم القدسي الأروقة والمآذن[5]، وأنشأ السلطان قلاوون رباط قلاوون والمسجد القلندري، وقبة الكبكية[6].

وكان السلاطين يهتمون بزيارة المدينة للاطلاع على أحوالها وتفقد شؤونها، فقد زارها الظاهر بيبرس عدّة مرات، كما قام الملك الناصر قلاوون بزيارتها، وتطوّر عمران المدينة فبنيت الفنادق (الخانات) وعمروا البرك ومنها بركة السلطان سنة ٨٠٦هـ/

---

(١) الربط مفردها رباط، وهي بيوت المجاهدين، وإنما سميت رُبطاً لأنهم يرابطون فيها، والزوايا هي بيوت الأتقياء والعلماء الذين يتجمع حولهم طلبة العلم، وغالباً ما تلحق بها المساجد (انظر كامل العسلي: مكانة القدس، ص٣٤-٣٥).

(٢) الطيباوي: القدس الشريف، ص٢٩.

(٣) العليمي: الأنس الجليل، ج٢ ص٧٨، مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٩ قسم٢، ص ٢٧١.

(٤) شمس الدين السيوطي: إتحاف الأخصّا، ج٢ ص١٩٨.

(٥) الطيباوي: القدس الشريف، ص٢٩.

(٦) السيوطي: إتحاف الأخِصّا، ج٢ ص ١٩٨-١٩٩.

١٣٩٨م، كما أنشأوا السبل لتوفير الماء في الأسواق، فأنشأوا سبع أسبلة (سبل) في المدينة[1]، وبنوا فيها الحمامات أيضاً، كما يعود بناء سوق القطانين المجاور لباب المسجد من جهة الغرب إلى العصر المملوكي، وهو سوق في غاية الإتقان والارتفاع، ومن الأسواق الفريدة في العالم الإسلامي[2].

---

(١) كامل العسلي: مكانة القدس، ص ٣٤.

(٢) العليمي: الأنس الجليل، ج٢ ص١٠٣، الطيباوي: القدس الشريف، ص٢٩.

الفصل التاسع

القدس الشريف

١- دخول القدس تحت الحكم العثماني

٢- الحكم المصري في بلاد الشام ١٨٣١- ١٨٤٠م

٣- القدس بعد خروج الحكم المصري من بلاد الشام ١٨٤٠- ١٨٧٦م

٤- القدس في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

٥- الاحتلال البريطاني لمدينة القدس

دخول القدس تحت الحكم العثماني

وتضم هذه الفترة ثلاث مراحل هي:

أ)**الفترة الأولى**: وتمتد منذ دخول العثمانيين إلى فلسطين سنة ١٥١٦م وتمتد إلى حكم إبراهيم باشا لبلاد الشام سنة ١٨٣١م.

ب)**الفترة الثانية**: وهي فترة حكم إبراهيم باشا لبلاد أو ما يعرف بالحكم المصري ١٨٣١-١٨٤٠م.

ج)**الفترة الثالثة**: وتمتد من خروج إبراهيم باشا حتى سقوط فلسطين والقدس تحت الانتداب البريطاني ١٨٣٩-١٩١٧م.

الفترة الأولى: القدس تحت الحكم العثماني ١٥١٦-١٨٣١م

دخلت بلاد الشام تحت الحكم العثماني بعد معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م(١)، وأعلنت مدن بلاد الشام قبول السيادة العثمانية، فبعد انتصار السلطان سليم في المعركة زحف بجيشه إلى دمشق، وساحل فلسطين، ثم عرَّج على مدينة القدس قبل أن يتوجَّه إلى مصر، فاستقبله العلماء والوجهاء وأكرموه فقدموا له الطعام في ساحة الحرم القدسي، وحضر شيوخ المدن الفلسطينية من صفد ونابلس والخليل وأعلنوا ولاءهم للسلطان(٢)، وأبقى على زعماء البلاد في مناصبهم فبقي فروخ بن عبد الله حاكم نابلس والقدس في مكانة(٣).

---

(١) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م ص ٦١-٦٢.

(٢) عبد اللطيف الطيباوي: القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام، وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، عمان ١٩٨١م، ص ٣٢.

(٣) الدباغ: الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢م، ج٢ ص ٨٠-٨١.

توجه السلطان سليم بعد ذلك إلى مصر، فتغلب على المماليك في معركة الريدانية سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م ودخل القاهرة، فلقي الخليفة العباسي المتوكل على الله، وفي القاهرة جاءه وفد من **الشريف بركات** أمير مكة يعلن الولاء للسلطان، فورث عن المماليك لقب (خادم الحرمين الشريفين) في مكة والمدينة، كما ورث عن المماليك إرسال **الصرّة** إلى كل من مكة والمدينة والقدس(١)، والصرَّة هي عبارة عن هديَّة نقدية كان يرسلها السلاطين إلى الأشراف والعلماء في المدن المذكورة، ولعل هذه الصرَّة كانت تقدم لمكة والمدينة مِنْ قبل للإنفاق على الحرمين ورعاية المقدسات واستعدادها لاستقبال الحجاج، أما بالنسبة إلى مدينة القدس فبدأ إرسالها في عهد السلطان سليم الأول والدافع لإرسالها ما رآه السلطان عند قدومه إلى القدس حيث أوْلَم السكان له في ساحة الحرم القدسي وكانوا يقدمون الطعام في صحائف من الخشب، فلما سألهم عن ذلك قالوا له: نحن قوم فقراء(٢)، لذلك صار يرسل إلى القدس كما يرسل إلى مكة والمدينة، وكانت تأتي إلى مدينة القدس صرَّة أخرى في العصر العثماني من حكام مصر وتدعى بالصرَّة المصرية(٣).

وعين السلطان سليم الأول، الأمير **جان بردي الغزالي** نائباً للسلطنة في بلاد الشام، وكانت مدينة القدس ضمن نيابته التي استمرت حتى قيامه بالتمرد سنة ١٥٢٠م حيث أصبحت القدس مركز وحدة إدارية هي (سنجق القدس) وكان مؤلفاً من خمسة أقضية هي: القدس ويافا والخليل وغزة وبئر السبع(٤)، فكانت القدس مركز إدارة فلسطين.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) زاد الاهتمام بمدينة القدس، وتمّ إجراء عدد من الاصلاحات في المدينة، وأهم الأعمال التي قام بها السلطان سليمان(٥):

---

(١) عبد اللطيف الطيباوي: القدس الشريف، ص٣٢، حلمي محروس إسماعيل: تاريخ العرب الحديث، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ١٩٩٧م، ص ١٥.

(٢) الطيباوي: القدس الشريف، ص ٣٢-٣٣.

(٣) كامل العسلي:مكانة القدس، ص ٤٩.

(٤) شمس الدين السيوطي: إتحاف الإخِصَّا، ج٢ ص١٩٩: عارف العارف: تاريخ القدس ص ١٢١.

(٥) الطيباوي: القدس الشريف، ص ٣٣-٣٤.

١- ترميم قبة الصخرة المشرفة وإعادة تبليط مسجدها[1].

٢- تعمير جدران الحرم الشريف وأبوابه.

٣- إعادة تعمير أسوار مدينة القدس.

٤- إنشاء عدد من السُبل في ساحة الحرم الشريف وأماكن أخرى من المدينة.

٥-إنشاء رباط بايْرام جاويش الذي تحول إلى مدرسة سميت المدرسة الرصاصية حيث بقيت عامرة حتى نهاية الحكم العثماني.

٦-تشجيع التجارة، فقد أعفى السلطان سليمان التجار الأجانب من تطبيق القانون العثماني عليهم؛ أي أنه منحهم تسهيلات تجارية فكانت بداية لما عرف بالامتيازات الأجنبية.

٧-تأمين الطريق الواصل ما بين مدينة القدس والمدن الأخرى خاصة الطريق إلى يافا، وطالب مشايخ القرى بأن يكونوا مسؤولين عن سلامة التجار والحجاج.

٨-قامت زوجة السلطان سليمان بإنشاء تكية عرفت باسم (خاصكي سلطان) وأوقفت عليها الكثير من الأوقاف لاطعام الفقراء.

وتميزت الفترة العثمانية بانتشار المدارس في مدينة القدس، حيث يذكر الطيباوي أنه كان في المدينة أربعون مدرسة وعشر دور للقرآن الكريم، وسبع دور للحديث بالإضافة إلى مباني أخرى كثيرة منها ثمانية عشر سبيلاً وستّة حمامات وستّة خانات وسبعة أسواق، وكانت طرق المدينة مرصوفة بالحجارة وسقوفها معقودة بالقناطر[2].

وغلب على القدس التدريس في المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة، وكان المدرس يجمع مع عمله في التدريس وظيفة أخرى، فقد يجمع إليها القضاء أو الإفتاء أو الإمامة أو الخطابة[3]، واحتلّ قاضي مدينة القدس مكانة كبيرة وأحياناً كانت تجمع إليه السلطات الإدارية والقضائية والتنفيذية، أما على الصعيد الداخلي فتميزت مدينة القدس خلال الحكم العثماني بالأمور التالية:

---

(١) عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص ٢٦٠، الطيباوي: القدس الشريف، ص ٣٣.

(٢) عارف العارف: تاريخ القدس ص ٢٦٧-٢٦٩، الطيباوي: القدس الشريف، ص ٣٦.

(٣) الطيباوي: القدس الشريف، ص ٣٩.

١- قيام الانتفاضة الشعبية التي قادها نقيب الأشراف محمد بن مصطفى الحسيني سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م ضد سياسة التسلط التي انتهجها حاكم القدس جورجي محمد باشا الذي فرض الضرائب الباهضة على السكان، وهيأ العثمانيون قوة عسكرية للقضاء على هذه الثورة فتمكنوا من القبض على زعيمها سنة ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م وتمّ إعدامه.

٢- الفتنة التي حدثت في كنيسة القيامة سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م بين الروم الأرثوذكس والإفرنج[١]، فوقفت الدولة العثمانية إلى جانب الأرثوذكس وقامت بتسليمهم جميع الأماكن المسيحية في المدينة.

٣- الوباء الذي تعرضت له مدينة القدس ومعظم مدن الشام سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م، واستمر هذا الوباء لعدة أشهر، ومات بسببه أعداد كبيرة من أهل البلاد.

٤- سنة ١٧٩٩م تعرضت فلسطين للغزو الفرنسي من خلال الحملة التي قام بها نابليون سنة ١٧٩٨م، واحتل مصر، ثم توجه إلى فلسطين فتمكن من احتلال غزة والرملة ويافا وحيفا ووصل إلى عكا فحاصرها، وكان أميرها **أحمد باشا الجزار** الذي تمكن من الصمود في وجه نابليون مع جيشه شهرين قبل أن يتفشى مرض الطاعون بجيش نابليون وتجبره الظروف على مغادرة عكا فاشلاً وخاسراً دون أن يتمكن من دخولها، وقبل أن يتمكن من الوصول إلى مدينة القدس[٢].

ويبدو أن هذه الحملة بذرت بذور الفتن وفتحت عيون اليهود على امكانية القدوم إلى فلسطين وإقامة وطن لهم فيها، لذلك تعتبر فرنسا من أسبق الدول الاستعمارية في دعم اليهود والبحث لهم عن ملجأ في فلسطين وكان سبب إقدام نابليون على ذلك هو رغبة منه في التخلص من اليهود من جهة، ولكي يساعدوه على احتلال فلسطين من جهة

---

(١) رفيق النتشة وآخرون: تاريخ مدينة القدس، ص ٦٧.

(٢) حلمي إسماعيل: تاريخ العرب الحديث، ص ١١١، أسماء فاعور: فلسطين ص ٨٢.

ثانية، لذلك عملت بعض الجماعات اليهودية على دعم الحملة الفرنسية على بلاد الشرق العربي(١).

٥- الثورات والاضطرابات التي تعرضت لها مدينة القدس في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وأدت إلى اشتعال الحريق في مناطق متعددة من المدينة وتدمَّر من جرّاء ذلك الجزء الغربي من كنيسة القيامة، كما حدثت ثورة شعبية بسبب تزايد عبء الضرائب التي فرضها والي دمشق سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م.

وكانت الدولة العثمانية تهتم اهتماماً كبيراً بأرباب الوظائف الدينية في مدينة القدس كالقضاة والنقباء (نقباء الأشراف) والمفتين وسدنة الأماكن المقدسة، فكان قاضي القدس يتمتع بمنزلة خاصة بين قضاة المدن الرئيسية في الدولة العثمانية، وكان يأتي بعده في المنزلة المفتي الذي كان يعينه شيخ الإسلام في استانبول بحيث يكون من أبناء العائلات المتنفذة وذوي السمعة الحسنة(٢).

الحكم المصري في بلاد الشام ١٨٣١-١٨٤٠م

عزم والي مصر محمد علي باشا على إرسال حملة إلى بلاد الشام بسبب الخلاف بينه وبين السلطان العثماني، فقد استغل النزاع بينه وبين والي عكا عبد الله باشا الذي رفض تسديد ديونه وتزويد مصر بالأخشاب اللازمة لبناء السفن، فعقد تحالفاً مع بشير الشهابي الثاني في لبنان، وجهزّ حملة عسكرية ثم كلف ابنه إبراهيم باشا بقيادتها، فاتجهت إلى فلسطين سنة ١٨٣١م فقامت باحتلال مدينة غزة ثم الرملة وحيفا والقدس، ثم تقدمت جيوش إبراهيم باشا شمالاً فتمكنت من احتلال المدن الشامية، وواصلت الجيوش المصرية تقدمها فعبرت الأناضول وتمكنت من إلحاق الهزيمة بالعثمانيين في معركة بالقرب

---

(١) شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين، القاهرة ١٩٠٤م، ص ١٨٥، زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥م، ص١٨٠-١٨١، أسماء فاعور: فلسطين ص٨٢- ٨٣.

(٢) كامل العسلي: مكانة القدس، ص ٤٨-٤٩.

من مدينة قونية[1].

ولم يوقف تقدم الجيوش المصرية في الأناضول غير تدخل الدول الأوروبية التي اعتبرت ذلك تهديداً لمصالحها، ورأت أن مصلحتها تقضي بوقف أطماع محمد علي باشا في الأملاك العثمانية.

وحكم محمد علي باشا بلاد الشام بما فيها مدينة القدس حتى سنة ١٨٤٠م عندما عقدت معاهدة لندن، ولما لم يستجب محمد علي لمقررات المعاهدة لجأت إلى الضغط عليه وإجباره على التّخلي عن بلاد الشام سنة ١٨٤١م[2].

وأولى إبراهيم باشا مدينة القدس عناية كبيرة فمنذ دخوله إلى المدينة أكد على أهمية الأمن والحفاظ على السلام فيها خاصة بعد قيام فتنة بين المسيحيين راح ضحيتها عدد كبير من الناس، وكان له في المدينة مجموعة من الأعمال والنشاطات بعضها كان يرضي سكان المدينة، وبعضها الآخر كان سلبياً ويثير مشاعرهم، فبالنسبة لأهل الذمة قام بعدد من الأعمال استهدفت كسب عطف الدول الأوروبية وتأييدها له فقام بالأعمال التالية[3]:

١- إلغاء الرسوم على زوار مدينة القدس من النصارى للحج إلى كنيسة القايمة.

٢- تأمين طريق الحجاج إلى مدينة القدس.

٣- إلغاء كافة أشكال التمييز بين أبناء الطوائف غير الإسلامية.

٤- إلغاء الضرائب التي كانت تؤخذ من النصارى واليهود.

٥- سمح بترميم كنيس اليهود في القدس شريطة ألاّ يزاد شيء على المباني القديمة.

---

(١) محمد كرد علي: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣م، ج٣، ص٥٤، حلمي إسماعيل: تاريخ العرب الحديث، ص ١٧٥-١٧٩، أسماء فاعور: فلسطين ص ٨٥.

(٢) حلمي إسماعيل: تاريخ العرب الحديث، ص ١٨٦-١٨٩، عبلة الزيدة: القدس ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) رفيق النتشة وآخرون: تاريخ مدينة القدس ص ٦٨، زيدان كفافي وآخرون: القدس عبر العصور، ص ٢٥٣.

٦- إنشاء مجلس شورى للمدينة واتباع النظم الحديثة في الحكم[١]:

٧- التخفيف من وطأة المجاعة التي أصابت الناس في مدينة القدس، فأمر محمد علي باشا في مصر بإرسال ألف أردب من الأرز إلى مدينة القدس لتوزيعها على السكان.

وتميز عهد إبراهيم باشا بإقامة بعض المنشآت في المدينة، فقد جدَّد عمارة السرايا القديمة على طريق الجسمانية، وأنشأ القشلان الكائن عند باب الخليل، وبين طاحونة الهواء في غرب المدينة وهي اول طاحونة تطحن القمح لأهل القدس سنة ١٨٣٩م، كما أنشأ الزاوية الإبراهيمية على جبل صهيون، وقام ببناء قلعة في شمال القدس في وادي الجوز، ومجموعة من القلاع لحراسة الطريق ما بين القدس ويافا باعتبارها الطريق الرئيسي الذي يربط القدس بالساحل[٢].

وفي سنة ١٨٣٥م زار موشية مونتفيوري وهو من أثرياء اليهود مدينة القدس وقام بتأسيس أول مدرسة لليهود، وحاول يهودي آخر الحصول على ترخيص بشراء الأراضي والعمل على زراعتها مقابل مبالغ مالية كبيرة، إلاّ أن المجلس المحلي للمدينة رفض هذا الطلب، وحرَّم إبراهيم باشا على اليهود تبليط ساحة البراق سنة ١٨٣٩م[٣].

واهتم إبراهيم باشا بالتعليم وإنشاء المدارس، وأصلح نظام الضرائب وشجع الفلاحين على العودة إلى أراضيهم لزراعتها، إلاّ أن الأوامر التي وصلت من والده كانت تدعوه لفرض ضرائب جديدة على السكان ونزع السلاح من الأهالي، وفرض التجنيد الإجباري على السكان، فكان يطلب تجنيد واحد عن كل خمسة من الشبان، ويقال واحد عن كل عشرة رجال[٤].

---

(١) كرد علي: خطط الشام، ج٣ ص٥٧.

(٢) زيدان كفافي وآخرون: القدس عبر العصور، ص ٢٤٩.

(٣) الموسوعة الفلسطينية:دمشق ١٩٨٤م، ج٢ ص ٢٦٥، عبلة الربذة: القدس ص ٣٧١.

(٤) نوفل نعمة الله نوفل: كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام، جروس برس، طرابلس ١٩٩٠م، ص ١٢٣، رفيق النتشة: تاريخ مدينة القدس ص ٦٨-٦٩.

لقد أثارت هذه الأعمال سكان القدس فأعلنوا الثورة على حكم إبراهيم باشا سنة ١٨٣٤م، وبدأت الفوضى تسود المدينة حتى أصبحت ساحة للقتال بين الثوار من أهل البلاد وبين جند محمد علي باشا، وتمّ إرسال نجدات من مصر للقضاء على الثورة فقد حاصر الثوار قلعة القدس بعد وصول نجدات من نابلس والخليل ومناطق متعددة من فلسطين، ولم يتمكن إبراهيم باشا من القضاء على الثورة إلاّ بالسياسة واستمالة بعض الزعامات المحلية وتمكن من إخمادها في حزيران سنة ١٨٣٤م[١].

القدس بعد خروج الحكم المصري من بلاد الشام (١٨٤٠-١٨٧٦م):

بعد عودة السيادة العثمانية على بلاد الشام وفلسطين استمر حكم وإدارة سنجق القدس تابعاً لولاية دمشق حتى سنة ١٨٧٢م حيث فكرت الدولة العثمانية بإعادة توحيد سناجق فلسطين الثلاثة وهي القدس ونابلس وعكا في ولاية القدس المستقلة إلاّ أنها عادت وألغت هذا الأمر وأبقت على تبعيتها لولاية دمشق.

وفي سنة ١٨٧٤م أصبح سنجق القدس وحدة إدارية مستقلة وأصبح حاكم القدس يتبع مباشرة للباب العالي[٢]، وأنشيء مجلس إدارة لسنجق القدس يتكون من[٣]:

١- المتصرف.

٢- القاضي.

٣- المفتي.

٤- أمين الخزانة (المحاسب).

---

(١) انظر عبلة الزبدة: القدس ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) عبد العزيز عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤ -١٩١٤م (متصرفية القدس)، القاهرة ١٩٦٩م ص ٢٤، كامل العسلي: مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، عمان ١٩٨٨م، ص ٥٠.

(٣) عبلة الزبدة: القدس ص ٣٨٤.

Asali, Kamel Jamil: Jerusalem in History, Buckhurst 1989, p240

٥- ممثلين عن كل واحدة من الطائفتين الأرثوذكسية واللاتينية.

٦- ممثل عن التجمعات الأمريكية واليهودية.

٧- مجموعة من الأعضاء المنتخبين (غالباً أعضاء مجلس بلدية القدس).

وكان مجلس الإدارة ينظر في جمع الضرائب وهي أهم أعماله، كما ينظر في أمور الزراعة وتسجيل الأراضي، والاشراف على أمن المدينة.

وتأسس في مدينة القدس أول مجلس بلدي في مدن بلاد الشام وذلك سنة ١٨٦٣م، وتشكل هذا المجلس بموجب قرار خاص أصدره السلطان عبد العزيز وربما كان ذلك بسبب ظروف مدينة القدس التي شهدت في هذه الفترة صراعات بين الدول الأوروبية وتسابقاً على رعاية مصالح الطوائف غير الإسلامية، وتم تشكيل المجلس من خمسة أعضاء حسب الترتيب التالي[١]:

١- ثلاثة أعضاء من المسلمين.

٢- عضو واحد مسيحي.

٣- عضو واحد يهودي.

وترأس هذا المجلس عبد الرحمن الدجاني، وباشر أول مجلس بلدي أعماله سنة ١٨٦٧م، وبدأ نشاطه يزداد بصدور قانون الولايات سنة ١٨٧١م، ثم بعد صدور قانون البلديات سنة ١٨٧٧م وهو القانون الذي حدد واجبات ومهام المجالس البلدية وطرق تشكيلها، وأصبح المجلس يتكون من (٦-١٢) عضواً يتم انتخابهم لمدة أربع سنوات ويعين الرئيس من بين الأعضاء المنتخبين[٢].

ووضع القانون شروط الناخب والمرشح، فالناخب أن يكون أكمل ٢٥ سنة وسدد الضرائب المستحقة عليه والتي لا تقل عن (٥٠) ديناراً تركياً، والمرشح أن يكون بلغ

---

(١) عبلة الزدة: القدس ص ٣٨٤.

(٢) Asali: Jerusalem in History, p239

الثلاثين من العمر وسدد الضرائب السنوية التي تبلغ (١٥٠) ديناراً تركياً، وعلى ضوء ذلك ثم إعادة انتخاب مجلس بلدي القدس كما يلي[1]:

١- ٦ أعضاء مسلمين

٢- عضوان مسيحيان.

٣- عضوان يهوديان.

وشهدت هذه الفترة التنافس بين الدول الأوروبية على افتتاح قناصل لها في مدينة القدس بهدف رعاية مصالحها والإشراف على رعاياها المقيمين في المدينة خاصة بعد أن أقامت انجلترا قنصلية لها في المدينة سنة ١٨٣٨م، ثم أعيد افتتاح هذه القنصلية مرة ثانية سنة ١٨٥٦م بعد حرب القرم.

وتم افتتاح قنصلية لفرنسا في المدينة، وافتتحت قنصلية لأمريكا سنة ١٨٥٧م، ثم أقيمت فنصلية لكل من روسيا واليونان سنة ١٨٦٢م، وقد أثارت هذه الأعمال مشاعر أهل القدس الذين كانوا يقابلون ذلك بالغضب الشديد والاحتجاج على موقف متصرف القدس كامل باشا من ذلك الذي كان يحتفل بتحية هذه القنصليات[2].

أما بالنسبة للمقدسات الإسلامية فقد لقيت الاهتمام الكبير والرعاية من قبل السلاطين، ففي سنة ١٨٧٤م تم تعمير قبة الصخرة المشرفة ومسجدها، والمسجد الأقصى، وشهد أعظم الإنشاءات بعد عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فقد كلفت عملية الاعمار خزينة الدولة كميات كبيرة من الذهب الخالص[3].

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني بدأ النشاط العمراني في مدينة القدس خارج أسوار المدينة، وسنفرد عنواناً خاصاً لفترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني لأهمية الفترة بالنسبة لفلسطين والقدس.

---

(١) انظر عبلة الزبدة: القدس ص ٣٨٥.

(٢) انظر كامل العسلي: وثائق مقدسية ص ٢٨٧-٢٨٨، عبلة الزيدة: القدس ص ٣٧٨.

(٣) علي محافظة: العلاقات الألمانية الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥م، بيروت ١٩٨١م ص١٠٠-١٠٣.

القدس في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

تولى السلطان عبد الحميد الثاني السلطنة في الدولة العثمانية سنة ١٨٧٦م، وبالرغم مما وصف به من الظلم والاستبداد[1]، إلاّ أنه كان السلطان المدافع عن الحقوق العربية والإسلامية في فلسطين والقدس، وكان يعتبر أن أهل القدس دون غيرهم هم أصحاب الحق الشرعي في التصرف بأرض القدس وفلسطين أو السماح بالإقامة فيها، ولم يسمح لليهود بتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية فيها[2]، لذلك أصبح عبد الحميد الثاني هدفاً للصهيونية، وتعمل بكل ما تستطيع من قوّة من أجل الإطاحة به وإزاحته عن عرش الدولة العثمانية، لهذا وجدت أن من اللازم أن يفرد الحديث عنه بعنوان خاص لخطورة وحساسية الفترة التي تولى فيها الحكم بالنسبة لفلسطين عامة والقدس خاصة، مع الإشارة إلى بعض تحركات اليهود في عهده وموقفه من تطور الأحداث حتى تم عزله عن العرش سنة ١٩٠٩م.

لقد أولى السلطان عبد الحميد الثاني مدينة القدس عناية كبيرة وتمّ في عهده تنفيذ عدد من الأعمال أهمها[3]:

١- الانفاق على عمارة المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة.

٢- فرش المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة بالسجاد[4] وتزويده بالثريا الكبيرة.

٣- تجديد عمارة سبيل قايتباي وقناة السبيل[5].

٤ -السماح باتساع العمران فبدأ بناء البيوت والعمارات خارج سور المدينة.

٥- إنشاء المستشفى البلدي في حي الشيخ بدر.

---

(١) انظر جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ص ١٧٥- ١٧٦، رفيق شاكر النتشة: السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٢٥.

(٢) الدباغ: الموجز في تاريخ الدول الإسلامية، ج٢ ص٦٠.

(٣) رفيق النتشة وآخرون: تاريخ مدينة القدس، ص ٧١.

(٤) الطيباوي: القدس الشريف، ص٦١.

(٥) انظر لدباغ: بلادنا فلسطين ج١٠ قسم٢ ص٤٩، عارف العارف: المفصل، ص٢٩٨.

٦- إنشاء المدرسة الرشيدية، وهي منسوبة إلى رشيد بك متصرف القدس الشريف، كما أنشأ مكاتب للتعليم لمنع إرسال الأطفال إلى المدارس الأجنبية.

ولهذا كانت مدينة القدس حاضرة في ذهن السلطان عبد الحميد ويعرف قدر المدينة وقيمتها الإسلامية، كما يعرف أهميتها بالنسبة لأهلها العرب الذين لا يسمحون لأحد بالاعتداء عليها، وكانت أهميتها تدفع من أجل ربط إدارتها بالعاصمة مباشرة ومع أن هذه فكرة قديمة إلاّ أن تنفيذها جاء قبيل عهد السلطان عبد الحميد بقليل وذلك سنة ١٨٧٤م.

وفي عهد السلطان عبد الحميد بدأ الصراع والتنافس بين الدول الأوروبية على المدينة بحجة حماية الأقليات والطوائف الدينية الموجودة فيها وحماية المصالح الأوروبية، فالتقت مع الفكرة اليهودية التي تطلعت إلى فلسطين من أيام الحملة الفرنسية على الشرق العربي، وهي الفكرة التي حاولت بريطانيا استثمارها سنة ١٨٣٠م لإنشاء دولة يهودية في فلسطين تكون هي مسؤولة عن حمياتها، وذلك بهدف تأمين طريقها إلى المستعمرات الشرقية في الهند[١].

وحاول اليهود الاستفادة من هذا الطرح، فعملوا بكل طاقاتهم من أجل امتلاك الأراضي في القدس وفلسطين إلاّ أن أهل البلاد وقفوا ضد هذه السياسة ومنعوا تحقيق الأطماع اليهودية، فحاول اليهود استثمار علاقاتهم بالدول الأوروبية الاستعمارية ومنها بريطانيا وفرنسا وألمانيا من أجل الضغط على حكام الدولة العثمانية للحصول على بعض الامتيازات في فلسطين، ولما فشلوا في ذلك لجأوا إلى اتباع أسلوب الرشوة ومحاولة إغراء بعض السلاطين بالمال، أو إغراء بعض الشخصيات المتنفذة لتحقيق ذلك، كما قاموا بالانتشار في البلاد العثمانية وتجنسوا بجنسيات مختلفة في محاولة لتحقيق أهدافهم بطرق ملتوية[٢].

---

(١) جاسر العناني: القدس، دراسات قانونية، عمان ٢٠٠١م، ص ٧٧.

(٢) ن. م، ص ٧٨-٧٩.

وفي عهد السلطان عبد الحميد برزت الفكرة الصهيونية، حيث بدأ التحرك الصهيوني يأخذ منحى جديداً وبدأ يخطط بطريقة أكثر جدية ونشاطاً من ذي قبل، وكانت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها أوروبا سبباً في تشكيل نواة الحركه الصهيونية حيث يعيش عدد كبير من اليهود في أوروبا وكان اليهود يعاملون معاملة سيئة أو يطردون من بلادهم، فمثلاً أصدر ملك انجلترا (ادوارد الأول) مرسوماً سنة ١٨٧٣م يقضي بطرد اليهود من بريطانيا[١].

وعاش اليهود في أوروبا حياة انعزالية مغلقة، فقد حظر عليهم الأوروبيون العيش معهم في المدن وإنما أقاموا لهم أحياء خاصة لا يجوز لهم مغادرتها ليلاً أو المبيت خارجها وعرفت هذه الأحياء باسم الجيتو (Gihetto System)[٢]، وفي أوروبا الشرقية كان محظوراً عليهم تولي المناصب العامة أو مزاولة بعض المهن والحرف، لذلك كانوا يعتبرون أنفسهم غُرباء في البلاد التي يعيشون فيها رغم أنهم أبناء تلك البلاد[٣].

هذه الظروف هي التي دفعت اليهود للبحث عن طريقه يتجمعون فيها ويبحثون عن وطن يقيمون فيه خارج الحضائر التي خصصها لهم الأوروبيون كحضائر الأغنام، وكانت الدول الأوروبية تريد التخلص من اليهود بأي ثمن وعلى حساب أي بلد كان، من هنا بدأت تظهر دعوات لتحرير اليهود من أوضاعهم البائسة، وفي عام ١٨٨٢م وضع اليهودي (ليو بنسكر) كتاباً أطلق عليه اسم (التحرر الذاتي Auto- Emancipation)، وهو من يهود روسيا، وتضمن كتابه دعوة اليهود للتحرر بالاعتماد على أنفسهم وإيجاد حل للمشكلة اليهودية بالخروج إلى أي بلد للعيش بعيداً عن الاضطهاد في أوروبا[٤]،

---

(١) حسان علي حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، الدار الجامعية ١٩٨٦م، ص ٢٧.

(٢) حسان خلاف: موقف الدولة العثمانية ص٢٨، يعقوب كامل الدجاني، ولينا يعقوب الدجاني: فلسطين واليهود، جريمة الصهيونية والعالم، ١٩٩٣م، ج١ ص٢١٤.

(٣) حسان علي حلاق: موقف الدولة العثمانية، ص٢٩.

(٤) ن. م، ص٣٧.

واتجهت أنظار الدول الاستعمارية إلى فلسطين لإقامة وطن قومي لليهود فيها، وتبنى اليهودي **ثيودور هرتزل** الدعوة لتحقيق هذه الغاية.

وعقد مؤتمرٌ عامٌ لجمع اليهود في سويسرا سنة ١٨٩٧م هو مؤتمر بال وتزعم ثيودور هرتزل تجميع اليهود فوضعوا أسساً لإقامة وطن خاص بهم على أن يُسخّروا الدول الاستعمارية لتنفيذ مخططاتهم من خلال التحكم بمقدرات الشعوب وجعلوا هدفهم إقامة هذا الوطن في فلسطين[١].

واستجابت بعض الدول الاستعمارية وفي مقدمتها روسيا وبريطانيا وألمانيا لأفكار اليهود لأنها تخدم مصالحها، ولعلها تساعد هذه الدول على التخلص من اليهود الذين كانوا يشكلون عبئاً ثقيلاً على البلدان التي يتواجدون فيها.

وحاول هرتزل التأثير على السلطان عبد الحميد من أجل السماح باستطيان اليهود في فلسطين والقدس، ووسّط بعض قناصل الدول الأوروبية لدى السلطان عبد الحميد، ثم لحق امبراطور ألمانيا عند زيارته للدولة العثمانية، وتوسطت له السفارة الألمانية في استانبول، ولما قابل هرتزل السلطان عبد الحميد تقدم منه قائلاً: (مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان، لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء، عبيدك المخلصون اليهود يقبلون التراب الذي تدوسونه ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة، ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هديتكم خمس ملايين ليرة ذهبية)[٢].

ولما كانت الدول العثمانية تعاني من مشاكل مالية كبيرة، فقد حاولت الصهيونية التي لا تصطاد إلاّ في الماء العكر استغلال هذه الأوضاع وعرضت دفع مبالغ مالية كبيرة

---

(١) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م، ص ٢٤٤-٢٤٥، جاسر العناني: القدس، ص٨٠، يعقوب ولينا الدجاني، فلسطين واليهود، ص٢٢١، حسني جرار: من أجل فلسطين، ص١٩٤.

(٢) حسان علي الحلاق: موقف الدولة العثمانية، ص ١٢٧، علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٤٥، وانظر حسني جرار: من أجل فلسطين، ص٢٠٠-٢٠١، ٢٠٥.

جداً لتحقيق أهدافها، فقال هرتزل: (علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا، منها مليونان ثمناً لفلسطين، والباقي لتحرير تركيا بتسديد ديونها، ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض يطلبها)[1].

إن مثل هذه الإغراءات كانت كافية لإيقاع أيٍّ كان في فخ الصهيونية والسماح لها بعمل ما تريد، إلاّ أن ذلك كله تحطَّم أمام إصرار السلطان عبد الحميد على وقف كل محاولات الصهيونية ومن خلفها الاستعمار الأوروبي للوصول إلى القدس بامتلاك أراضيها والسماح بالهجرة اليهودية إليها دون رادع، فكان رد السلطان عبد الحميد قويّاً جداً حيث بلّغه لمن توسط لليهود في هذا المجال، قال عبد الحميد:

(انصح صديقك هرتزل ألاّ يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع لأنني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة لأنها ليست ملكي، بل ملك شعبي، وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض ورووها بدمائهم، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولتي فمن الممكن أن يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولاً من جثتنا، ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة)[2]، ثم يصدر عبد الحميد أمرهُ بعد ذلك بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين.

هذا الموقف المشرف للسلطان عبد الحميد والذي يسجل صفحة بيضاء ناصعة، جعل السلطان عبد الحميد في مواجهة مباشرة مع الحركة الصهيونية التي بدأ نشاطها قوياً، فسخَّرت كل إمكاناتها للرد على عبد الحميد، لذلك ستدخل جماعات صهيونية في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي لتعمل على إسقاط السلطان عبد الحميد وإقامة سلطان يسهل لهم تنفيذ أهدافهم، لذلك عندما أعلن الاتحاديون عزل السلطان عبد الحميد عن الحكم، فإن اليهودي (عما نويل قراصو) الذي يتمتع بجنسية عثمانية وإيطالية وكان نائباً

---

(١) جاسر العناني: القدس، ص٨٠.

(٢) أحمد نوري: اليهود والدولة العثمانية ص١٣٢، جاسر العناني: القدس، ص٨٠، علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٤٦.

عن ولاية سالونيك كان ضمن الوفد الذي دخل على السلطان لإبلاغه قرار عزله عن الحكم سنة ١٩٠٩م[١].

وقد كتب السلطان عبد الحميد بعد عزله ونفيه إلى سالونيك رسالة إلى الشيخ محمود أبو الشامات، كشفت النقاب عن أسباب عزله عن الحكم، وتبين فيها تآمر جمعية الاتحاد والترقي على التعاون مع الصهيونية من أجل إقامة وطن لليهود في فلسطين، ومحاولتهم إغراء عبد الحميد بمبلغ (١٥٠) مليون ليرة انجليزية من الذهب، فكان رده عليهم أنهم لو دفعوا له ملء الأرض ذهباً فلن يوافق على طلبهم، فكان ثمن رفضه هذا العزل والنفي[٢].

فقد قامت الثورة ضد السلطان عبد الحميد بتدبير من جمعية الاتحاد والترقي، وهي فرع لجمعية تركيا الفتاة، وقد أنشأها الشبان الأتراك في سالونيك بهدف القضاء على ما يسمونه استبداد السلطان عبد الحميد[٣]، إلاّ أن هذه الحركة كان غالبيتها من اليهود الذين استخدموا هذه الجمعية لتحقيق أهداف الاستعمار وأهداف الحركة الصهيونية، وكانت كل من بريطانيا وفرنسا من الدول التي ساهمت في إيواء الجماعات المعارضة لحكم السلطان عبد الحميد وتهيء لهم الجو المناسب ليعملوا في عواصمها علناً بهدف إسقاطه من الحكم.

وكان مصطفى كمال هو مؤسس هذا التنظيم، وهو ضابط تخرج من كلية الأركان سنة ١٩٠٥م، وكان ثورياً ألقي عليه القبض يوم تخرُّجه، ثم اطلق سراحه مع إنذار توبيخي وعين للعمل في ولاية دمشق، وهناك بدأ نشاطه السري مع عدد من رفاقه على

(١) خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه (١٩٠٨- ١٩١٨م) مركز الأبحاث، بيروت ١٩٧٣م، ص ٤٢-٤٣.

(٢) انظر الرسالة في كتاب حسان علي حلاق: موقف الدولة العثمانية، ص٣٦١-٣٦٢.

(٣) جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص ١٧٥-١٧٦، رفيق النتشة: السلطان عبد الحميد الثاني، ص ١١٩.

إنشاء جمعية الوطن، وصار يدعي فيما بعد باسم أتاتورك[1]، أي أبو الأتراك ولم يكن كذلك.

وانتشرت فروع للجمعية في أماكن متعددة في بلاد الشام منها في القدس ويافا، وكان أعضاؤها من ضباط الجيش الخامس، ثم نقلت مقرها من سوريا إلى ولاية سالونيك[2]، واتحدت مع جمعية تركيا الفتاة في جمعية جديدة عرفت باسم (عثمانلي ترقي واتحاد جمعيتي)[3]، أي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية.

وبقيت هذه الجمعية تعمل فاستطاعت اجتذاب عدد كبير من المسيحيين، والتقت مصالحها مع مصالح اليهود فاشتركوا فيها، وبقيت تعمل حتى تمكنت من الاطاحة بحكم السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩م، فلما نجحت في التخلص من السلطان المعارض سيطرت على مقاليد الحكم وتمّ نقل الموظفين الأتراك المعارضين لهجرة اليهود من فلسطين إلى أماكن أخرى، وبدأ يظهر عطف الاتحاد والترقي على الصهيونية التي بدأت تقدم الدعم المالي للخزانة التركية المفلسة[4]، مقابل تقديم كل التسهيلات لاستملاك الأراضي والهجرة إلى فلسطين والقدس.

وبدأ تدفق اليهود على فلسطين والقدس بأعداد كبيرة، وقدم لهم الاتحاديون التسهيلات اللازمة لذلك[5]حتى وصل عددهم سنة ١٩١٠مما يقرب من (٤٥) ألف يهودي[6]، وهذا يشير إلى أنهم فتحوا الطريق من أوسع أبوابه لإيجاد أكثرية يهودية في المدينة بعد أن كانت الغالبية العظمى من سكانها من العرب المسلمين.

إن الدور الذي لعبه الاتحاديون تجاه فلسطين والقدس يعتبر وصمة عار في التاريخ فقد كانوا حصاناً تمتطيه الماسونية واليهود وينفذون مخططاتهم من خلاله، وقد اعترف

---

(١) ارنست رامزور: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة صالح أحمد العلي، دار الحياة، بيروت ١٩٦٠م، ص ١١٨.

(٢) ن. م، ص ١١٨.

(٣) انظر ن. م، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) رفيق النتشة: السلطان عبد الحميد الثاني، ص ١٢٦-١٢٨.

(٥) أحمد نوري: اليهود والدولة العثمانية، دمشق ١٩٧٥م، ص ٢٣٦.

(٦) جاسر العناني: القدس، ص ٨٢، وانظر حسني أدهم جرّار: من أجل فلسطين، مؤسسة الزيتونة، عمان ١٩٩٨م، ص ٢١٧.

بعض زعماء الحركة الاتحادية عن وقوعهم تحت الهيمنة الصهيونية والماسونية، فأنور باشا الذي كان له دورٌ مميزٌ في الانقلاب الذي قاده الاتحاديون سنة ١٩٠٨م، يقول في حديثه مع جمال باشا الذي علّق أعواد المشانق لأحرار العرب في الشام ومن أركان جمعية الاتحاد والترقي: (**أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟ نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد، فأصبحنا آلة بيد الصهيونية، واستثمرتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية، فهذا هو ذنبنا**)(١).

أما القائد العسكري للحركة الاتحادية فيقول: (**لقد وقعنا في شرك اليهود عندما نفذنا رغبات اليهود عن طريق الماسونيين لقاء صحيفتين من الليرات الذهبية، في الوقت الذي رفض فيه السلطان عبد الحميد الملايين لتنفيذ مطالبهم**)(٢).

ويبدو أن اليهود لم يكتفوا بتنفيذ المخططات التي رسموها، وإنما ليضمنوا تحقيق كل ما يريدون فقد سيطروا على المراكز الرئيسية في دوائر الدولة التركية خلال حكم الاتحاديين، وقد لاحظت بريطانيا ذلك، ويظهر ذلك من خلال رسالة بعث بها السفير البريطاني في استانبول إلى وزارة الخارجية البريطانية جاء فيها:

(**إن لجنة الاتحاد والترقي تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفاً يهودياً تركياً مزدوجاً، فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة، ويمدها اليهود بالعقل المدبّر والمال وبالنفوذ الصحفي القوي في أوروبا...إن اليهود الآن في موقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلي للدولة**)(٣).

وأما عزل السلطان عبد الحميد، فقد عبَّرت عنه الصحف اليهودية وأشارت إلى ابتهاج اليهود بعزله لأنها كانت تعتبره مضطهد إسرائيل بسبب عدم استجابته لمطالب هرتزل(٤)، ومنع اليهود من الإقامة في فلسطين ومن شراء الأراضي فيها.

---

(١) حسني جرّار: من أجل فلسطين، ص ٢١٦-٢١٧.

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني: مكائد يهودية عبر التاريخ ص ٢٧٩-٢٨٠، حسني جرار: من أجل فلسطين، ص ٢١٧.

(٣) انظر عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، المكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٠م، ج٢ ص١٠٠٢، حسني جرار: من أجل فلسطين ص ٢١٧.

(٤) أحمد نوري: اليهود والدولة العثمانية، ص ٢٣٠.

الاحتلال البريطاني لمدينة القدس

قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م بين دول الحلفاء المكونة من بريطانيا وفرنسا وروسيا، وبين دول الوسط التي تضم ألمانيا والنمسا، وانضمت الدولة العثمانية إلى دول الوسط في هذه الحرب، فوقفت إلى جانب ألمانيا والنمسا، وعند ذلك أخذت سياسة الاتحاديين تتغير تجاه اليهود، فوقف جمال باشا موقفاً متشدداً من اليهود، وصادر الأوراق المالية والطوابع التي تخص الحركة الصهيونية[١].

أما العرب وفي مقدمتهم الحسين بن علي، فقد تأخر إعلان موقفهم من الحرب إلى سنة ١٩١٦م، حيث كانت هناك محاولاتْ من العرب لرد الأتراك إلى جادَّة الطريق ودعوتهم لاحترام الحقوق العربية، ومنح البلاد العربية حق تقرير المصير والمشاركة في حكم بلادهم، وتخفيف الأعباء المفروضة على أبناء الولايات العربية بما فيها فلسطين، إلاّ أن ذلك لم يؤدِّ إلى نتيجة مُرضية بين العرب والأتراك، وبقيت ظاهرة الاستعلاء التركي والظلم والتجبُّر الذي يمارسه الأتراك تجاه العرب واحدة من اعقد القضايا بين الطرفين.

نتيجة لذلك وبعرض من بريطانيا بدأت المفاوضات بينها وبين الشريف الحسين بن علي ممثل العرب والمدافع عن حقوقهم وكان ما يعرف بمراسلات الحسين –مكماهون (١٩١٥-١٩١٦م) والتي انتهت إلى الإتفاق بين بريطانيا والشريف الحسين بن علي على دخول العرب الحرب إلى جانب الحلفاء ضد تركيا وإعلان الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك[٢].

ومن الأمور التي دفعت الحسين للإقدام على هذه الخطوة إدراك الحسين بن علي لخطورة موقف البلاد العربية بعد قيام حكومة الاتحاديين بإصلاح أحوال الولايات العربية، وخروج الاتحاديين على تعاليم الإسلام[٣]، واتباع سياسة التريك التي عملت

---

(١) جاسر العناني: القدس، ص ٨٢.

(٢) جاسر العناني: القدس، ص ٨٥، محمد محاسنة: صفحات من تاريخ الأردن، ص ١٧٤.

(٣) انظر جريدة القبلة، مكة المكرمة/ العدد الأول ١٥ شوال سنة ١٣٢٤هـ/ ٥ آب ١٩١٦م.

على تحويل العرب إلى أتراك، والقضاء على معالم العروبة والإسلام وقتل اللغة العربية حتى بين أهلها(١).

وانتهت مراسلات الحسين – مكماهون إلى الاتفاق على وقوف العرب إلى جانب دول الحلفاء لقاء اعتراف بريطانيا وحلفائها باستقلال البلاد العربية في آسيا والحسين بن علي ملكاً عليها باسم المملكة العربية وضمن حدود تم الاتفاق عليها بعد مراسلات عديدة(٢).

وقدَّم هذا الاتفاق للحلفاء ما لم يكونوا يحلمون به على جبهة الشرق الأوسط، فإعلان الحسين بن علي ومعه العرب عن قيام الثورة العربية الكبرى سهَّل على الحلفاء تحقيق الكثير من الانتصارات، حيث تمكنت الثورة العربية الكبرى وبمساعدات قليلة من الحلفاء من إخراج القوات التركية من جميع البلاد العربية، من الجزيرة العربية ومن الأردن وسوريا ولبنان، كما سهَّلوا وصول الحلفاء إلى فلسطين التي استعصت عليهم من قبل، وذلك بعد أن وفَّرت للحلفاء حماية ميمنة جيوشهم المتجهة من مصر شمالاً إلى فلسطين.

بدأ الحلفاء الهجوم على فلسطين عندما قاد (السير أرشيبا لدموري) هجومين بريطانيين استهدفا مدينة غزَّة فيما بين عامي ١٩١٦–١٩١٧م، إلاّ أنه فشل في احتلالها بسبب التحصينات التركية(٣).

وفي تشرين الأول سنة ١٩١٧م قاد اللورد اللنبي الجيش الانجليزي من مصر باتجاه فلسطين فاستولى على بئر السبع في ٣١/ تشرين الأول ١٩١٧م، ثم استولى على غزّة في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م، وزحف بعد ذلك باتجاه مدينة القدس، غير أن العثمانيين

---

(١) محمد محاسنة/ صفحات من تاريخ الأردن، ص ١٧٥.

(٢) عبد الله بن الحسين: المذكرات، المطبعة الهاشمية، عمان ١٩٧٠م، ص ٩٤، محمد محاسنة: تاريخ الأردن، ص ١٧٨–١٨١.

(٣) جاسر العناني: دراسات قانونية، ص ٨٧.

تمكنوا من جمع قواتهم والقيام بهجوم معاكس تمكن فيه من وقف زحف الجيش البريطاني وأفشل محاولة الاستيلاء على القدس(١).

ثم قام اللنبي بمحاولة ثانية لاحتلال القدس في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م وجرى قتال عنيف بين الانجليز والأتراك، وتمكن العثمانيون مرّة أخرى من رد الهجوم الانجليزي وإفشال حملتهم على مدينة القدس.

أما أقوى الحملات العسكرية على القدس فكانت الحملة الثالثة التي قام بها اللّنبي، حيث أجرى تغييرات على خططه الهجومية واستفاد من خبرات بعض القادة العسكريين، كما استفاد من حماية القوات العربية لميمنة الجيش البريطاني المتحرك باتجاه القدس، وبدأ الهجوم الفعلي على المدينة يوم ٨ كانون الأول سنة ١٩١٧م، ونتيجة لتفوق القوّة العسكرية عند الانجليز، وضعف معنويات الجيش التركي استولى الانجليز على التلال الواقعة غربي مدينة القدس(٢)، فكان هذا مقدمة لسقوط المدينة.

ولما أدرك متصرف القدس (عزّت بك) أن الأتراك لا يستطيعون الاستمرار في حماية المدينة، استدعى إليه مفتي القدس كامل الحسيني، وحسين سليم رئيس، وتدارس معهم كيفية تسليم المدينة(٣)، وقرّر مغادرة القدس إلى أريحا، وأوكل إلى المفتي ورئيس البلدية تسليم المدينة، وترك مع رئيس البلدية رسالة إلى القيادة الانجليزية يدعوهم إلى وقف قصف المدينة والحفاظ على الأماكن المقدسة من الخراب والدمار(٤).

وبدأ الجيش التركي الانسحاب من مدينة القدس يوم الأحد ٩/ كانون الأول سنة ١٩١٧م، ودخل اللنبي المدينة يوم ١١/ **كانون الأول سنة ١٩١٧م**، من باب الخليل،

---

(١) عارف العارف: المفصّل في تاريخ القدس، ص ٣٨٢، أسماء فاعور: فلسطين ص ١٥٠-١٥١.

(٢) عارف العارف: المفصل، ص ٣٨٣، سماء فاعور: فلسطين، ص ١٥١.

(٣) خليل طوطح: تاريخ القدس، عمان ١٩٧٩م، ص ٣٥، جاسر العناني: القدس، ص ٨٧.

(٤) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم ٢ ص ١٧٢-١٧٣، خليل كوطح: تاريخ القدس ٣٦.

وأعلن فيها الأحكام العرفية[1]، وقام بزيارة إلى كنيسة القيامة، ثم تابع الانجليز الزحف عبر فلسطين حتى تمكنوا من احتلال كامل فلسطين في أيلول سنة ١٩١٨م.

ومع كل ما قدم العرب إلى الحلفاء، إلاَّ أن الغدر والخيانة كانت الشيم المتأصّلة عند الدول الاستعمارية جعلتهم يوجهون للعرب طعنة في الظهر عندما تآمروا سرّاً وعقدوا اتفاقاً لتقسيم البلاد العربية التي اتفقوا مع الحسين بن علي على منحها الاستقلال بعد انتهاء الحرب، وكانت اتفاقية (سايكس بيكو) سنة ١٩١٦م[2] التي حضرها عن الانجليز (مارك سايكس) وعن الفرنسيين القنصل الفرنسي (جورج بيكو)، وتضمنت الاتفاقية تقسيم البلاد العربية كما يلي:

أ- تقسيم سوريا ولبنان إلى منطقتين، تكون إحداها منطقة نفوذ فرنسية وتضم المناطق الساحلية، والأخرى تقام فيها إدارة عربية تحت إشراف فرنسا وتشمل المنطقة الداخلية.

ب- تقسيم الأردن والعراق إلى منطقتين، تكون إحداها منطقة نفوذ انجليزية في جنوب العراق، وباقي المنطقة تقام فيها إدارة عربية تحت إشراف انجلترا.

ج- فلسطين وتقام فيها منطقة دولية.

ولم تقف خيانة الحلفاء للعرب عند هذا الحد، وإنما وأثناء قيام العرب بمحاربة الأتراك وإخراجهم من المنطقة العربية، وقبل أن تتمكن بريطانيا من الوصول إلى مدينة القدس، كانت توجّه طعنة ثانية للعرب تعتبر مثالاً صارخاً للغدر والخيانة، والتخلي عن ابسط مبادىء الشرف والأمانة عندما أعطت اليهود (وعد بلفور) الذي يتضمن إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وهو عبارة عن تصريح موجه من وزير خارجية بريطانيا (جيمس بلفور) إلى اللورد روتشيلد أحد أثرياء اليهود في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م، ونصَّ الوعد على: (**إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم**

---

(١) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١ قسم٢ ص١٧٤-١٧٥، عارف العارف: المفصل، ص ٣٨٤.

(٢) جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص ٣٥١- ٣٥٣.

جليّاً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضرّ الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى، وسأكون شاكراً إذا أطلعتم الاتحاد الصهيوني على هذا التصريح)[1].

واتخذ اليهود هذا التصريح أساساً للمطالبة بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، إلاّ أن هذا الوعد باطل في أساسه بنصوصه التي تضمنها، كما أنه باطل من الوجه القانونية، وذلك للأسباب التالية:

١- أن التصريح جاء متعارضاً مع اتفاق دولي حدث بين بريطانيا العظمى وممثل العرب الحسين بن علي، وكان الاتفاق ينص على استقلال المملكة العربية في آسيا وفلسطين جزء منها: أما وعد بلفور فجاء تصريحاً من جانب واحد لجهة ليست لها صفة دولية، فكان عطفاً من بريطانيا على شخصية اللورد روتشيلد اليهودي، وكما أن اتفاق الحسين مكماهون سابق عليه لذلك فالوعد باطل حكماً.

٢- لم تكن فلسطين والقدس من أملاك بريطانيا عندما أصدرت هذا الوعد لذلك فإنه لا يحق لها التصرف في شيء ليس من أملاكها، إذ أن وعد بلفور صدر في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م، بينما احتلال بريطانيا للقدس جاء بعد هذا التاريخ بمدّة وذلك في ١١ كانون الأول سنة ١٩١٧م.

٣- نصُّ هذا الوعد جاء ليصف اليهود بأنهم شعب، بينما وصف العرب - وهم أهل فلسطين الأصليين والغالبية العظمى -وصفهم بالطوائف غير اليهودية، وهذا رغم أن أعداد اليهود كانت قليلة جدّاً بالنسبة لأعداد العرب الموجودين فيها، وهذا الأمر مجانب للحقيقة.

---

(١) أسماء فاعور: فلسطين، ص ١٤٩-١٥٠.

الفصل العاشر

الزمن العصيب

١- مقاومة الاستعمار البريطاني

٢- القدس خلال الحرب العالمية الثانية

٣- حرب ونكبة ١٩٤٨م

٤- احتلال اليهود لما تبقى من القدس وفلسطين سنة ١٩٦٧م

٥- انتفاضة القدس المباركة:

أ- انتفاضة سنة ١٩٨٧م

ب- انتفاضة النفق سنة ١٩٩٦م

ج- انتفاضة الأقصى سنة ٢٠٠٠م

٦- الاعمار الهاشمي لمدينة القدس:

أ- العلاقة بين الهاشميين والقدس

ب- الاعمار الهاشمي الأول

ج- الاعمار الهاشمي الثاني

د- حريق المسجد الأقصى

هـ- الاعمار الهاشمي الثالث

مقاومة الاستعمار البريطاني

لم يكن العرب يظنون أن تنتقل بلادهم من السيطرة التركية إلى استعمار بريطاني أو فرنسي، فبعد وقوفهم إلى جانب الحلفاء توقعوا تحرير بلادهم وحصولهم على الاستقلال إلاّ أن الذي حدث هو أن الدول المنتصرة فرضت إرادتها فسقطت بلادهم تحت الاستعمار، فوقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

بدأت المقاومة العربية في مدينة القدس وفلسطين ضد الانتداب البريطاني وضدّ الصهيونية من اليوم الأول لدخول الاستعمار البريطاني الذي بدأ يكشف عن نواياه الخبيثة تجاه أهل فلسطين ويهيء الجو لليهود لتحقيق أهدافهم وتنفيذ مخططاتهم العدوانية ضد أهل البلاد الشرعيين، وتمثلت الحركة الوطنية بقيام الثورات التالية:

١- **ثورة سنة ١٩٢٠م**: وسببها أن الحلفاء طالبوا بريطانيا باعتبارها الدولة المستعمرة لفلسطين أن تلتزم بتنفيذ وعد بلفور، فأدى ذلك إلى تعاون أهل فلسطين والقدس، وحدثت مظاهرات كبيرة في مدينة القدس نتج عنها قيام أول صدام فعلي بين العرب واليهود حيث وقف الانجليز (البوليس البريطاني) إلى جانب اليهود، وأدت المصادمات إلى استشهاد أربعة رجال من العرب وجرح (٢١ شخصاً)، بينما قتل تسعة من اليهود وجرح حوالي (٢٥٠ يهودياً)[1]، فأعلنت بريطانيا الأحكام العرفية، وعطلت الصحف.

ووقف أحرار العرب في شرق الأردن إلى جانب إخوانهم في القدس وقاموا بتقديم الاحتجاج على موقف بريطانيا المتحيز وسياستها الظالمة، وقدموا احتجاجهم إلى الحاكم العسكري في مدينة القدس.

---

(١) انظر غازي ربابعة: القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، دار الكرمل، عمان ١٩٨٧م، ص ٥٥، جاسر العناني: القدس، ص٩٥.

٢- ثورة البراق ١٩٢٩م: البراق اسم يطلق على المكان الملاصق لجدار الحرم القدسي الغربي، وفيه الباب الذي دخل منه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وكان يدعي اليهود أن هذا الحائط هو بقية من هيكل سليمان عليه السلام .

وفي سنة ١٩٢٥م ادّعى اليهود أن لهم الحق في جلب الكراسي والمقاعد والستائر إلى هذا المكان لاستعمالها أثناء تعبدهم، فتصدّى لهم المسلمون، وتكرر هذا الحادث من قبل اليهود عدّة مرّات منها مرّة سنة ١٩٢٨م فتصدّى لهم المسلمون، وكانوا يقومون بالبكاء عند هذا الحائط لإيهام الناس بمدى الروابط والصلة بينهم وبين المكان، ثم أطلقوا عليه اسم حائط المبكى لبكائهم فيه.

وقرّر المسلمون إنشاء جمعية عرفت بـ (**جمعية حراسة الأماكن الإسلامية المقدسة**) واحتجوا لدى السلطات البريطانية على أعمال اليهود وادّعاءاتهم في حائط البراق[١]، وطلبوا منع اليهود من الحضور إلى المكان وإحضار أي شيء إليه، فاستجاب وزير المستعمرات البريطاني لمطالب العرب، إلاّ أن اليهود رفضوا هذا القرار وراحوا يتحدون مشاعر العرب، فتجمعوا في ١٥ آب سنة ١٩٢٩م عند حائط البراق وهم يصيحون (الحائط حائطنا)، وتصدّى لهم المسلمون فهاجموا اليهود حيث قامت الثورة التي شملت معظم ضواحي مدينة القدس[٢]، ثم امتدت لتعمّ فلسطين بأسرها، وكعادتها وقفت القوات البريطانية إلى جانب اليهود، وأسفرت الثورة عن استشهاد (١١٦ مسلماً) وجرح (٢٤٠) بينما قُتل من اليهود (١٣٥ وجرح ٣٤٠ يهودياً).

وألقت بريطانيا القبض على عدد من المسلمين وحكمت على بعضهم بالاعدام وكان بين من اعدم كل من: (**فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير**) ونفذت فيهم حكم الاعدام شنقاً في ١٧ حزيران سنة ١٩٣٠م[٣].

---

(١) عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، بيروت ١٩٧٥م، ص ٩٨.

(٢) وانظر محمود العابدي: قدسنا، ص ١٥٠.

(٣) أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، ص ٧٨-٨٢، الموسوعة الفلسطينية، ج١ ص ٦١٤.

وأرسلت بريطانيا لجنة للتحقيق في الأحداث وموضوع حائط البراق برئاسة (والترشو)، فجاءت نتائج التحقيق تؤكد أحقيّة المسلمين بالملكية الشرعية لحائط البراق،ودعت إلى منع اليهود من الحضور إلى المكان[1].

٣- **ثورة سنة ١٩٣٣م:** وقامت الثورة ضد تسهيل بريطانيا لهجرة اليهود إلى فلسطين، حيث وجه العرب جهودهم ضد السياسة البريطانية التي فتحت أبواب الهجرة أمام اليهود، فعقد العرب اجتماعاً سنة ١٩٣٣م قرر ما يلي[2]:

١-إعلان سخط الأمة العربية على عبث الحكومة البريطانية.

٢-الدعوة إلى الإضراب في جميع مدن فلسطين، على أن تبدأ بمظاهرات في القدس.

٣-الانتقال من مرحلة الاحتجاج والخطب إلى مرحلة عملية.

وحذرت بريطانيا من قيام المظاهرات إلاّ أن المظاهرات بدأت في مدينة القدس فاشتبك المتظاهرون مع الشرطة البريطانية،وتحول الأمر إلى ثورة عربية ضد الانجليز راح ضحيتها عدد من الشهداء والجرحى، كما قتل عدد من الشرطة البريطانية وجرح آخرون[3].

٤- **ثورة سنة ١٩٣٦م:** وتعرف هذه الثورة بالثورة الفلسطينية الكبرى، وقامت هذه الثورة بعد استشهاد **عز الدين القسام**[4] سنة ١٩٣٥م على يد القوات البريطانية في أحراش يعبد، فكان ذلك من أهم العوامل التي أشعلت نار الثورة حيث أعلن الإضراب العام في جميع فلسطين في ٢٠ نيسان سنة ١٩٣٦م، وتشكلت لجنة عربية برئاسة **الحاج أمين الحسيني** مفتي القدس وطالب بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين[5].

---

(١) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١، قسم٢ ص٢٦٨-٢٦٩، جاسر العناني: القدس، ص ٩٨.

(٢) وانظر جاسر العناني: القدس، ص ٩٩.

(٣) عيسى السفري: فلسطين، ص ٢٠٦-٢٢١.

(٤) قاد عز الدين القسام ثورة ضد الانجليز قامت بأعمال جريئة انتهت باستشهاده، وعرفت بثورة القسام.

(٥) عيسى السفري: فلسطين العربية، ج٢ ص٢٧، وليد الخالدي وآخرون: القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، جامعة الموصل ١٩٨٣م، ص ٤٦٢.

وتحدَّت بريطانيا مشاعر العرب فأعلنت عن السماح بدخول (٤٥٠٠) مهاجر يهودي إلى فلسطين، فأدى ذلك إلى انتقال الثورة من الإضراب إلى العمل المسلَّح وهاجم العرب المستعمرات اليهودية والمراكز الحساسة لليهود والانجليز[١].

ثم أعلنت بريطانيا تشكيل لجنة ملكية للتحقيق في الوضع وتقديم التوصية لحل الأزمة فتشكلت لجنة (بيل الملكية)،ولّما تبينت أن أسباب الثورة تكمن في خوف العرب من إقامة الوطن القومي لليهود، ومعارضتهم للهجرة اليهودية[٢]، أوصت بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية، وتقيم بريطانيا انتداب دائم على القدس وبيت لحم، وعارض العرب مشروع التقسيم بينما اقترح اليهود اقتسام القدس مع الحكومة البريطانية، وبقي المشروع قائماً حتى تشكلت لجنة (وود هيد Wood Head) سنة ١٩٣٨م وقررت بأن تقسيم فلسطين غير قابل للتطبيق، فصرف النظر عن التقسيم[٣].

ووقف أهل شرق الأردن إلى جانب الثورة فأمدوا أهل فلسطين بالمال والرجال ووصل متطوعون من العرب من الأردن وسوريا ولبنان والعراق بقيادة (فوزي القاوقجي)، واصطدم العرب باليهود والانجليز في معارك عديدة أهمها معركة باب الواد، واستمرت الثورة الفلسطينية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م حيث أصدرت بريطانيا كتاباً أطلق عليه اسم **الكتاب الأبيض** أعلنت فيه تراجعها عن قرار تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق[٤]، فكان ذلك واحدة من ألاعيبها واستغفالها للعرب الذين كانوا يثقون بوعود ومواثيق الاستعمار الذي لم يلتزم بوعد ولم يُنفِّذ عهداً قطعة للعرب لا قبل الحرب ولا بعد الحرب، وبقيام الحرب توقفت الثورة وكانت الأسباب التي أدت إلى توقف الثورة تشمل:

١- استنزاف قوات الثورة والثوار.

---

(١) أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، ص ١٩٨-١٩٩، جاسر العناني: دراسات قانونية، ص ١٠٠.

(٢) هنري كتن: القدس الشريف، ص ٦٨.

(٣) ن. م، ص ٦٩.

(٤) انظر وليد الخالدي وآخرون: القضية الفليسطينية، ص ٤٦٩-٤٧١.

٢- تعرض قادة الثورة للملاحقة والتصفية.

٣- نقص السلاح والعتاد.

٤- مراقبة الحدود من قبل بريطانيا وفرنسا مراقبة دقيقة منعت من وصول الامدادات للثائرين.

القدس خلال الحرب العالمية الثانية

بدأت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م بين دول الحلفاء ممثلة ببريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ومن انضم إليهم ودول المحور المكونة من ألمانيا وإيطاليا واليابان وأعوانهم، فوقف العرب إلى جانب الحلفاء على أمل الحصول على الاستقلال أو منحهم حق تقرير المصير.

وكانت بريطانيا قد أصدرت مذكرة قدمها رئيس وزارء بريطانيا **(ماكدونالد)** وسميت مذكرة ماكدونالد ثم أطلق عليها اسم **الكتاب الأبيض**، وتتضمن وضع حد لاستملاك الأراضي في فلسطين من قبل اليهود، ووقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين بحيث تتوقف بعد السماح بهجرة (٧٥) ألف يهودي خلال خمس سنوات(١).

وانقسم العرب حول هذا الكتاب فمنهم من رفضه واعتبره استمراراً لسياسة الاستعمار والصهيونية، ومنهم من قبله على اعتبار أنه يضع حدّاً لتدفق اليهود الذين بدأوا يتدفقون على البلاد ويغيروا في الخريطة السكانية للمنطقة، بينما اعتبره اليهود ضربة لهم فردوا على الانجليز بالقيام بعمليات القتل والارهاب للمتواجدين منهم في فلسطين هذا بالرغم من أنه أبقى على تسّرب الأراضي العربية لليهود ولم يوقف الهجرة اليهودية(٢).

وعمل اليهود خلال الحرب على كسب عطف العالم بالترويج لقضيتهم مع الألمان حيث روجوا قيام عمليات قتل وحرق جماعي لليهود على يد النازية في ألمانيا، وتمكنوا من كسب وقوف الولايات المتحدة إلى جانبهم ممثلة برئيسها (روزفلت) كما وقف

---

(١) رفيق النتشة وآخرون: القدس، ص ١٥٠، أسماء فعور: فلسطين، ص ١٥٨.

(٢) يوسف هيكل: فلسطين قبل وبعد، بيروت ١٩٧١م، ص ١٢٢-١٢٥.

(تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا إلى جانب اليهود، حيث تبادلت كل من بريطانيا والولايات المتحدة تبني قيادة اليهود لإقامة وطن لهم في فلسطين، ويعبر محمود العابدي عن تبادل هذه الأدوار أحسن تعبير عندما يقول:

(وزاد الطين بلة عندما ارتبطت الولايات المتحدة الأمريكية بقضية فلسطين وأصبحت الثور الذي يَجُرُّ عربة الصهيونية، بدلاً من الحصان البريطاني الذي استطاع الإفلات عن هذا النير وربط غيره به)(١).

وتمادى الرئيس (هاري ترومان) الذي تولى رئاسة الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥م وأخذ يضغط على بريطانيا حتى قامت بإلغاء الكتاب الأبيض، وطلب من (إتلي) رئيس وزراء بريطانيا السماح بدخول مائة ألف يهودي إلى فلسطين، وقامت الدولتان بإرسال لجنة لتقصي الحقائق في فلسطين سنة ١٩٤٦م هي اللجنة الانجلو -أمريكية حيث قدمت توصياتها كما يلي:

١- الابقاء على الانتداب البريطاني في فلسطين.

٢- ضمان حرية بيع الأراضي لليهود والابقاء على هجرة اليهود إلى فلسطين.

٣- عدم إنشاء دولة عربية أو دولة يهودية.

واعتبر العرب هذه التوصيات اعتداءً على حقوق الشعب العربي وأعلنوا سُخطهم على تقرير اللجنة، ثم عقدوا مؤتمراً عربياً في بلودان فقرر إرسال مذكرة احتجاج على قرارات اللجنة الانجلو أمريكية(٢).

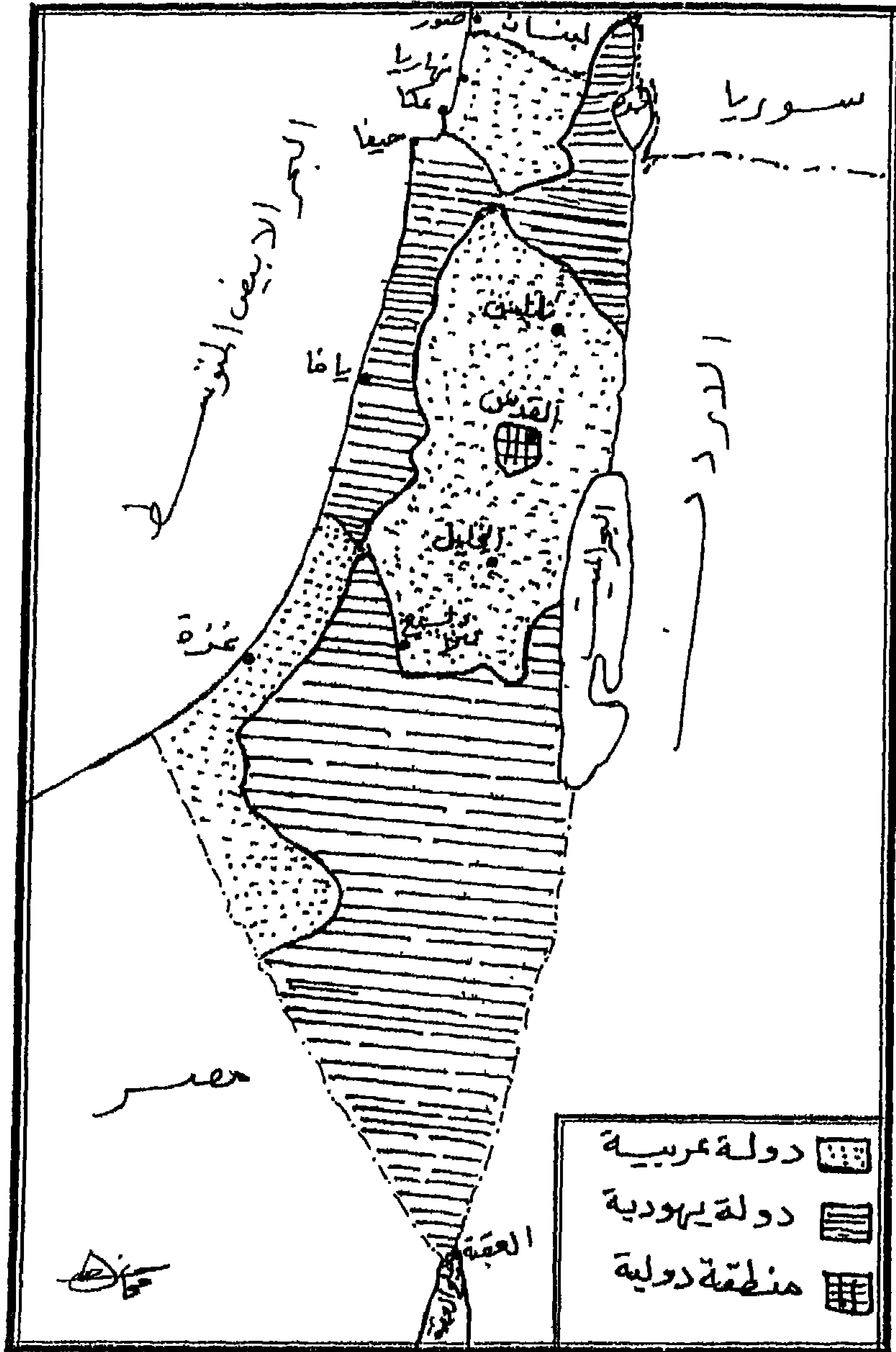
وفي ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧م أصدرت الأمم المتحدة قراراً يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية،ووضع القدس تحت الوصاية الدولية بحيث تشمل المنطقة الممتدة من شعفاط شمالاً إلى بيت لحم جنوباً، ومن أبي ديس شرقاً إلى عين كارم غرباً(٣).

---

(١) محمود العابدي: قدسنا، ص ١٥٣.

(٢) أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، ص ١٤٩-١٥٤، العناني: القدس ص ١٠٦.

(٣) انظر أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، ص ١٧٩-١٩٢، العناني: القدس، ص١٠٧، رفيق النتشة: القدس، ص ١٥٢.



خريطة تقسيم فلسطين حسب قرار هيئة الأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧م

وعلى ضوء **قرار التقسيم** قررت بريطانيا الانسحاب من فلسطين في آب سنة ١٩٤٨م، فوافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على انهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، غير أن الاستعمار البريطاني كان يهيء لتسليم البلاد إلى اليهود لهذا كانوا يدربون الجيوش والعصابات الصهيونية لكي تقوم باستلام فلسطين من الانجليز عند خروجهم منها، ولما أصبح اليهود قادرين على تسلم البلاد من الانجليز قدَّمت بريطانيا انسحابها من فلسطين إلى منتصف أيار سنة ١٩٤٨م.

هذا الوضع جعل العرب يفكرون في طريقة لانقاذ فلسطين من الخطر، فقرر مجلس الجامعة العربية تشكيل جيش للوقوف إلى جانب أهل فلسطين سمي **بجيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي**، وكان جيش الإنقاذ ثمانية أفواج وعدده خمسة آلاف جندي، لأن أهل فلسطين كانوا شعباً أعزل لا يملك السلاح[(١)].

وفي فلسطين تكون **جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني** الذي اصطدم بالقوات الانجليزية واليهود وشن عدداً من الهجمات على مواقع الأعداء واستشهد خلالها عبد القادر الحسيني خلال هجوم قام به المجاهدون لتحرير مدينة القسطل بالقرب من القدس في ٨ نيسان سنة ١٩٤٨م[(٢)].

وقبل موعد الانسحاب البريطاني قام اليهود بعدد من الأعمال الوحشية والإرهابية ضد السكان الآمنين في المدن والقرى الفلسطينية، وذلك بهدف إجبارهم على الرحيل وترك أرضهم ومنازلهم، فقد نفَّذت عصابات **(أرغون)**[(٣)] و**(شتيرن)**[(٤)] الإرهابيتان بالتعاون مع (الهاجاناة)[(٥)] عدداً من المجازر المروِّعة قتلت فيها النساء والأطفال والشيوخ

---

(١) عارف العارف: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٥-١٩٥٢م، مكتبة وهبة، ص ٣١.

(٢) العناني: القدس، ص ١١١.

(٣) أرغون: منظمة إرهابية صهيونية تقوم على حرب العصابات، أسسها (فلاديمير جابوتنسكي)، وهو مؤسس الإرهاب الصهيوني في فلسطين، وقدمت لها الحكومة البولندية الكثير من المساعدات المالية والعسكرية بهدف التخلص من اليهود المقيمين في بولندا، ومن زعمائها (مناحيم بيغن) الذي أصبح رئيسا لوزراء إسرائيل (انظر غازي ربابعة: القضية الفلسطينية، ص ٤٥).

(٤) شيترن: منظمة إرهابية أخرى أنشأها اليهودي الإرهابي (شتيرن) بعد انفصاله عن عصابة الأرغون سنة ١٩٤٠م، وكان أتباعها ينادون باستخدام العنف والإرهاب لإقامة الدولة اليهودية (انظر غازي ربابعة: القضية الفلسطينية ص ٤٦).

(٥) الهاجاناه: فرقة عسكرية أنشأها اليهود للدفاع عن المستوطنات اليهودية، وهي من أقوى المنظمات الصهيونية في فلسطين، وكانت تحصل على الأسلحة عن طريق الشراء أو التهريب أو التصنيع أو السرقة من المستودعات البريطانية لاستخدامها ضد العرب من أهل فلسطين (انظر غازي ربابعة: القضية الفلسطينية، ص ٤٣-٤٤).

بلا رحمة، كان من أبشعها مجزرة دير ياسين بالقرب من القدس يوم ٩ نيسان سنة ١٩٤٨م[1]، وتمّ تنفيذ هذه المجزرة بغطاءٍ منِ الجيش البريطاني الذي لم يحرك ساكناً رغم أنه كان لا يزال يحتل البلاد ويعتبر مسؤولاً عن أمنها وحمايتها.

وفي يوم ١٤ أيار سنة ١٩٤٨م انسحبت القوات البريطانية من مواقعها في فلسطين بعد أن سلمت البلاد لليهود، فأعلن (بن غوريون) قيام دولة إسرائيل في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨م، وكانت الأحوال في فلسطين قد وصلت إلى حد الانفجار، فاشتعلت الحرب بين العرب واليهود.

حرب ونكبة ١٩٤٨م

دخل العرب هذه الحرب ولم يكن لديهم أي استعداد أو تدريب يساعدهم، في الوقت الذي كان فيه اليهود قطعوا شوطاً بعيداً في التدريب والاستعداد والتسلُّح بأحدث أنواع الأسلحة المعروفة أنذاك، فقد استولوا على كميات كبيرة من الأسلحة من مخازن الجيش البريطاني قبل انسحابه من فلسطين.

وبدأت البلاد العربية بإرسال قواتها إلى فلسطين لإعادة النظام وحماية السكان العرب، وتمّ تشكيل قيادة عربية موحدة للجيوش التي ستدخل الحرب، وأسندت القيادة العليا للملك عبد الله بن الحسين على جميع الجيوش العربية، إلاّ أنّ ذلك كان إسمياً، فقد كانت الجيوش العربية تعمل منفردة ولا تخضع لقيادته[2]، فأثّر ذلك سلبيّاً على نتائج الحرب بالنسبة للعرب.

وأسندت إلى الجيش العربي الأردني مهمة الدفاع عن مناطق نابلس والقدس والخليل، وتحركت القوات الأردنية إلى المناطق المخصصة لها يوم ١٥ أيار سنة ١٩٤٨م، وتقرر أن يتقدم الجيش المصري إلى مستعمرة (رحبوت) ليحتلها ثم يتقدم إلى اللد والرملة ويافا وتل أبيب، ويتقدم الجيش السوري إلى سمخ وطبرية بإسناد الجيوش العربية في المناطق الشمالية للحفاظ على شمال فلسطين، ويتقدم الجيش اللبناني من رأس الناقورة

(١) أسماء فاعور: فلسطين، ص١٦٦.

(٢) انظر محمد محاسنة: صفحات من تاريخ الأردن، مطبعة البهجة، اربد ٢٠٠٠م، ص ٢٢٤.

إلى عكا، ويتقدم الجيش العراقي من نهر الأردن قرب جسر المجامع باتجاه العفّولة لاحتلالها ثم التقدم إلى حيفا، وتكون مهمة جيش الإنقاذ السيطرة على منطقتي صفد والناصرة[1].

وكان العدو الصهيوني يعقد آماله على كسب الجبهة التي سيخوضها مع الجيش العربي الأردني لأنه يعلم صمود هذا الجيش وبسالة رجاله، وأهمية المنطقة التي يخوض فيها الحرب، وعبَّر عن ذلك رئيس وزراء الدولة الصهيونية (بن غوريون) فقال آنذاك: **(إن مصير الحرب يتوقف على نتيجة القتال بين الجيش الإسرائيلي والجيش العربي الأردني)**، لذلك وضع العدو هدفاً أساسياً له ليتمكن من تحقيق أهدافه الكبرى وهو أن يعمل على تدمير الجيش الأردني، وبدأ تنفيذ خطة تعرّضية تهدف إلى عزل المدينة المقدسة التي يدافع عنها الجيش الأردني من الشمال والجنوب،وذلك لمنع وصول التعزيزات أو النجدات العربية إليها عن طريق نابلس والخليل وباشروا تنفيذ هذه الخطة مُنذ خرجت القوات البريطانية من فلسطين، واحتلوا مواقع لهم في الشيخ جراح على الطريق الشمالي ما بين القدس ورام الله، واحتلوا مواقع في كفار عصيون ودير الشعار وحلحول على الطريق الجنوبي بين القدس والخليل، كما حاولوا السيطرة على منطقة (الطور – جبل الزيتون) المسيطرة على الطريق الشرقي ما بين القدس وأريحا وذلك بهدف تطويق القدس قبل مهاجمتها من الغرب[2].

وعمل الجيش الأردني على إفشال هذه الخطة باحتلال (الطور – جبل الزيتون)، وهاجم القوات الصهيونية في (كفار عصيون، ودير الشعار، وحلحول) وتمكن من احتلال مستعمرة (رامات راحيل) وطرد منها العدو، كما هاجم العدو في منطقة الشيخ

---

(١) انظر وصفي التل: دور الخلق والعقل في معركة التحرير، دار الأبحاث للنشر، بيروت، ص ٨٦-٨٧، قاسم محمد صالح: الجيش العربي ودوره في الحروب العربية الإسرائيلية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص ٤٠-٤١.

(٢) محمد محاسنة: تاريخ الأردن، ص ٢٢٥.

جراح وتمكن من دخول القدس ودخلها من الشمال من باب العمود[1]، ثم انضمت إليها قوات أردنية أخرى قادمة من نابلس بعد قيام الجيش العراقي بدوره هناك.

وخاض الجيش العربي الأردني معارك بطولية في باب الواد واللطرون وأوقعوا بالقوات الصهيونية هزائم قاسية رغم تفوق العدو بالاعداد والعتاد، أما الجيش المصري فقد فشل في أداء مهمته لقلة عدده وفساد أسلحته، كما فشل الجيش السوري في احتلال سمخ وطبريا وانكفأ إلى الحمّة فاتخذ مكاناً دفاعياً هناك حتى نهاية الحرب، كما عجز الجيش اللبناني عن اجتياز الحدود اللبنانية باتجاه الجنوب، وفشل الجيش العراقي هو الآخر في اختراق خط الدفاع الصهيوني إلى الغرب من جسر المجامع، لذلك تغيّر محور تقدمه وصار باتجاه نابلس وطولكرم وجنين، واستطاع الدفاع عن هذه المناطق ضد الهجمات الصهيونية[2]، أما جيش الإنقاذ فقد أخلى مواقعه قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين وأخذ يعمل في القطاع الشمالي على محور (المالكية الرامة – الناصرة)[3].

هذه التطورات أدت إلى تدخل دولي وإعلان الهدنة الأولى لمدة شهرين اعتباراً من ١١ حزيران سنة ١٩٤٨م، فاستغل الجيش العربي الفرصة لإعادة تنظيم صفوفه وزيادة قواته، ثم استؤنف القتال في ٩ تموز فتمكن الجيش الصهيوني من انتزاع زمام المبادرة من الجيوش العربية[4]، ومع ذلك فقد فشلت في احتلال باب الواد واللطرون بسبب صمود القوات الأردنية.

وعقدت الهدنة الثانية في ١٨ تموز سنة ١٩٤٨م، إلاّ أن العدو وجد فرصة له فقام بهجوم كبير على القوات المصرية في الجنوب وقطع الطريق المؤدي إلى الخليل وبيت لحم

---

(١) علي أبو نوار: حين تلاشت العرب، ص ٤٠-٤١، قاسم محمد صالح: الجيش العربي ص ٣٦-٣٧.

(٢) علي أبو نوار: حين تلاشت العرب، ص ٥٢.

(٣) وصفي التل: دور الخلق والعقل ص ٨٦-٨٧، قاسم محمد صالح: الجيش العربي، ص ٤٠-٤١.

(٤) انظر علي أبو نوار: حين تلاشت العرب، ص ٦٥ وما بعدها، قاسم محمد صالح: الجيش العربي، ص ٤٢ وما بعدها.

وحوصرت القوات المصرية المرابطة هناك عندها أرسل الجيش الأردني قوة عسكرية باتجاه الخليل تمكنت من فك الحصار عن القوات المصرية وحافظت على مدينتي الخليل وبيت لحم من السقوط بأيدي اليهود(1).

ولم يتمكن العرب من تغيير مجريات الحرب لصالحهم، لذلك قبلوا بعقد معاهدات الهدنة الدائمة بعد مباحثات رودس في **٣ نيسان سنة ١٩٤٩م** بعد أن فقد العرب معظم الأراضي الفلسطينية التي استعادوها بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين، وحافظ الجيش العربي الأردني على المناطق التي كان مكلفاً بها وهي مناطق القدس والخليل وبيت لحم وأريحا، بالإضافة إلى مناطق نابلس وطولكرم وجنين حيث اتفق الجيش الأردني مع الجيش العراقي فتسلمها الجيش العراقي ودافع عنها في الوقت الذي تقدمت فيه القوات الأردنية إلى جبهة القدس لمواجهة العدو الصهيوني هناك.

احتلال اليهود لما تبقى من القدس وفلسطين سنة ١٩٦٧م

وبعد نكبة فلسطين الأولى من قبل اليهود سنة ١٩٤٨م حافظ الجيش الأردني على القسم الشرقي من مدينة القدس وبقيت هي والمناطق التي يتواجد فيها تحت سيطرته، وعين **أحمد حلمي** حاكماً عسكرياً على مدينة القدس حتى كانون الأول سنة ١٩٤٩م عندما رُبط متصرف القدس بوزارة الداخلية في عمان.

وظهر توجه من قبل أهل فلسطين للانضمام إلى الأردن بهدف الحفاظ على ما تبقى منها لأن اليهود كانوا يتربصون لدخولها، فجرت انتخابات برلمانية مع الضفتين، وعقد مجلس الأمة الأردني الذي أصبح يمثل الضفتين، وأعلن في نيسان سنة ١٩٥٠م في أول اجتماع له قيام الوحدة بين الضفتين تحت اسم المملكة الأردنية الهاشمية،وبارك جلالة الملك عبد الله المؤسس هذه الوحدة(2).

---

(١) محمد محاسنة: تاريخ الأردن، ص ٢٢٧.

(٢) جاسر العناني: القدس ص ١٢٣.

وفي ٢٠ تموز سنة ١٩٥١م استشهد الملك عبد الله الأول بن الحسين وهو يهم بدخول المسجد الأقصى المبارك لأداء صلاة الجمعة، فانتقلت مسؤولية الدفاع عن القدس وفلسطين إلى نجله الملك طلال بن عبد الله، ثم إلى حفيده الحسين بن طلال طيب الله ثراهم جميعاً، وتعهد الحسين مدينة القدس بالعناية والرعاية ودافع عن حق العرب والمسلمين في المحافل الدولية والعالمية.

وفي ٥ حزيران سنة ١٩٦٧م فاجأت الدولة الصهيونية العرب بهجوم كبير عندما قصفت مطارات مصر وسوريا وتمكنت من تدميرها، فكانت حرب حزيران التي دخلها العرب وقد فقدوا قدراتهم الجوية، وكانت القوّة المتوفرة لدى الجيش الأردني محدودة إذا قيست بما يمتلكه العدو الصهيوني من سلاح متطور فعال[1]، وكان الجيش الأردني هو المسؤول هذه المرّة عن الدفاع عن الأراضي الفلسطينية.

وبدأ الهجوم على الجبهة الأردنية في مدينة القدس في الوقت الذي بدأ فيه الجيش المصري بالتراجع على الجبهة المصرية وهذا يؤثر سلباً على معنويات الجيش الأردني، ومع ذلك فإن الجيش العربي الأردني خاض معارك بطولية وتمكن فيها من تحقيق بعض التقدم في الساعات الأولى من المعركة إلاّ أنه لم يتمكن من المحافظة على هذا التقدم بسبب الفارق الهائل في ميزان القوة العسكرية، فقد كان اليهود يحاربون على الأرض بقوة تفوق القوات الأردنية وبسلاح متطور لا يتوفر لدى الجيش الأردني وتدعمه الطائرات التي كانت تلقي بقنابلها على الجيش الأردني الذي كان مكشوفاً من الجو[2]، ومع ذلك فقد دافع دفاع الأبطال، إلاّ أن قدرته في الحفاظ على مواقعه كانت تضعف بسبب شدّة القصف من الجو والهجمات المتتالية على الأرض وفقدانه الكثير من رجاله وأسلحته، هذا علاوة على تناقض الأوامر التي كانت تصل إليه بالانسحاب مرّة والعودة إلى المواقع مرّة أخرى، والمعلومات الكاذبة عن الجبهة المصرية[3].

---

(١) سعد جمعة المؤامرة ومعركة المصير، مكتبة المختار، القاهرة، ص ١٩١-١٩٢.

(٢) محمد محاسنة: تاريخ الأردن، ص٢٣٨.

(٣) سليمان الصمادي: الرعاية الهاشمية للمقدسات الإسلامية، عمان ١٩٩٧م، ص ٣٠٣.

وقاتل الجيش الأردني قتالاً عنيفاً على جميع المحاور وكبَّد العدو خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وفي مدينة القدس أبلى الأردنيون بلاءً حسناً، إلاّ أنه لم يكن بمقدورهم مواصلة القتال مع مرور الوقت ومع ذلك فقد كانت أكثر وحدات الجيش الأردني مصممة على الدفاع حتى آخر طلقة حتى وجدوا أنفسهم في كثير من المواقع وجهاً لوجه أمام اليهود فالتحم الفريقان بالقنابل اليدوية والحراب[1]، فكانت النتيجة أن تمكن اليهود من الإجهاز على ما تبقى من فلسطين ودخلوا القسم الشرقي من مدينة القدس فكانت الكارثة الثانية التي حلت بالعرب أمام العدو الصهيوني، أما على الجبهة المصرية فقد تقدم العدو في صحراء سيناء حتى قناة السويس، وعلى الجبهة السورية تمكنوا من احتلال مرتفعات الجولان[2].

وقابلت الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية سقوط فلسطين تحت السيطرة الصهيونية بمظاهر الفرح والابتهاج حتى أن كبير المرْاقبين الدوليين في الشرق الأوسط عبَّر عن مظاهر الارتياح والنشوة التي يشعر بها الغرب قائلا: (**انتهت الحرب وحققت إسرائيل انتصاراً كبيراً، وكان هناك ابتهاج في الغرب،وجمعت ملايين الدولارات والجنيهات تقديراً للمنتصرين وكانت قصة داؤد وجوليات على شفتي كل إنسان**)[3].

هذه هي المشاعر الحقيقية للغرب، وهذا هو دورهم إنّهم الداعم للصهيونية والمنفذ لبرامجها، إنه يعبر أصحَّ تعبير عن الهمجية الغربية عند احتلال الصهيونية للأرض العربية، وهذا لا يتغير إلاّ كلاماً أمام العرب، وحقيقة الحال تقول أن الغرب هو الأب الروحي للصهيونية المغتصبة للقدس وجميع الحقوق العربية.

---

(١) سليمان الصمادي: الرعاية الهاشمية، ص٣٠١.

(٢) محمد محاسنة، تاريخ الأردن، ص ٢٣٩.

(٣) أود بول: الحرب والسلام في الشرق الأوسط، عمان ١٩٨٤م، ص ١٢١.

انتفاضة القدس المباركة

أ-انتفاضة ١٩٨٧م:

طال انتظار الجماهير العربية من أبناء فلسطين للفرج وخروج الاستعمار الصهيوني من الأرض العربية، وفشلت محاولات الحل التي كانت تصدرها الأمم المتحدة ولم تنجح في إخراج الصهيونية من فلسطين أو على الأقل الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧م، بموجب قرار ٢٤٢، ٣٣٨ الصادرين عن الأمم المتحدة.

وكذلك فشلت الحركات الجهادية وأعمال التحرير التي كان يقودها الفلسطينيون من خارج فلسطين وأصبح الأمر يحتم عليهمْ الانطلاق من داخل أرضهم ومن وطنهم لعل ذلك يقدم لهم بصيص أمل في تحرير أرضهم أو جزءاً منها على الأقل.

وزاد هذا ما كانت تقوم به الصهيونية من أعمال وحشية ومجازر مفجعة بين حين وآخر فتقتل وتشرد وتطرد أهل البلاد وتعتقل بلا رحمة بسبب وبغير سبب[١]، جعلت أهل فلسطين يشعرون بالقهر والظلم والجور فولدت عندهم حالة من الانفجار وعدم القدرة على الصبر أمام الأعمال الهمجية التي تقوم بها الصهيونية، وبدأت أول المواجهات في مدينة القدس في كانون الأول سنة ١٩٨٦م[٢]، ثم تلتها انتفاضة أخرى في شباط سنة ١٩٨٧م، حتى كانت الانتفاضة الكبرى التي بدأت في ٨ كانون الأول سنة ١٩٨٧م[٣].

بدأت الانتفاضة في قطاع غزَّة على شكل احتجاجات نظمها مجلس الطلبة في الجامعة الإسلامية بغزّة في تشرين الأول سنة ١٩٨٧م، وانطلقت فعلياً كحركة في كانون

---

(١) انظر تيسير جبارة: دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، دار الفرقان: اربد ١٩٩٢م، ص ٢٩، اللجنة الوطنية للدفاع عن القدس: وقائع فسلطينية (١)، عمان ٢٠٠٠م، ص ١٧٧-١٧٨، خالد عايد: الانتفاضة الثورية في فلسطين، دار الشروق، عمان ١٩٨٨م، ص ١٥-١٧.

(٢) خالد عايد: الانتفاضة الثورية، ص ١٧.

(٣) انتفاضة الأقصى: مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠١م، ص ٣٨.

الأول سنة ١٩٨٧م، وسرعان ما انتقلت إلى مناطق الضفة الغربية[١].

بدأت الانتفاضة بشكل عفوي حيث اندفعت مئات الآلاف من الفلسطينيين من المخيمات والأحياء الشعبية إلى الشوارع في تظاهرات عنيفة، وكان بين المتظاهرين كوادر منظمة ومتمرسة في مواجهة الاحتلال الصهيوني[٢].

اتخذت هذه الانتفاضة من الحجر سلاحاً فعالاً لأنها لا تملك السلاح فكان لابد من مواجهة التحدي وإيجاد وسيلة لمقاومة العدو الصهيوني الذي يمتلك أحدث وسائل القتال العالمية،ومع ذلك فقد وجدوا في الحجر سلاحاً قادراً على رفع شعار التحرير والموت دون الأرض والعرض.

ثم ابتكر رجال الانتفاضة وسائل نضالية متعددة، فصنعوا محلياً بعض الأسلحة البسيطة التي كانت تساعدهم على مواجهة الصهيونية، فصنعوا قنابل المالتوف والزجاجات الحارقة إضافة إلى الحجر، واستخدموا الحرائق في بعض الأحيان، وقاموا بإحراق بعض الغابات والمزارع والمعامل الصهيونية[٣]، واستمرت هذه الانتفاضة قرابة الست سنوات.

وكان للمرأة الفلسطينية دور كبير في هذه الانتفاضة، إذ شاركت النساء فيها مشاركة فاعلة وكانت النساء تهيء الجو المناسب لرجال الانتفاضة،وتشجع النساء الأبناء على أن يكونوا مجاهدين، فكانت المرأة تكسر الحجارة وتعبئها في أكياس وتعطيها لابنها كي يواصل النضال وهذه أقصى درجات التضحية والسمو، فهي تقوم بهذا وهي تعلم أن ابنها معرض لخطر الموت في أيّة لحظة[٤].

---

(١) انتفاضة الأقصى: ص ٣٨ وما بعدها.

(٢) خالد عايد: الانتفاضة الثورية، ص ٣٣.

(٣) ن. م، ص ٤٣-٤٤.

(٤) علي سعود عطية: الانتفاضة المسيرة وآفاق المستقبل، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩١م، ص ٩.

ب-انتفاضة النفق سنة ١٩٩٦م

ورغم أن الانتفاضة توقفت بعض الوقت على أمل نجاح مساعي السلام التي حاولت أمريكا إيهام العالم بأنها تسعى إلى تحقيقها مع الصهيونية، إلاّ أن ملّة الكفر واحدة ولا تختلف سياستها إلاّ بمقدار ما يحقق أهدافها ومصالحها، ولذلك تجددت الانتفاضة المباركة في مدينة القدس سنة ١٩٩٦م.

وتعود أسباب تجدد الانتفاضة فيما عرف بانتفاضة النفق إلى الحفريات الأثرية التي كانت تقوم بها الصهيونية تحت الأماكن المقدسة وبدأت هذه الحفريات سنة ١٩٧٠م، وتوقفت سنة ١٩٧٤م، ثم باشرت أعمالها من جديد سنة ١٩٧٥م واستمرت هذه الأعمال حتى سنة ١٩٨٨م، ورغم القرارات الصادرة عن منظمة اليونسكو بوقف هذه الحفريات إلاّ أن العدو الصهيوني استمر في أعمال الحفر وعمل نفقاً كبيراً تحت الحرم القدسي ومرَّ النفق أسفل خمسة أبواب من أبواب الحرم الشريف هي: باب السلسلة وباب المطهرة وباب القطانين وباب الحديد وباب علاء الدين البصيري المسمى بباب المجلس الإسلامي، كما مرّ تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية منها أربعة مساجد ومئذنة قايتباي وسوق القطانين وعدد من المدارس والمساكن[1].

وأدى حفر النفق إلى تصدّع عدد من الأبنية في مدينة القدس منها الجامع العثماني ورباط كرد والمدرسة الجوهرية والمدرسة المنجكية والزاوية الوفائية وبيت الشهابي.

وفي تموز سنة ١٩٨٨م جدّد الصهاينة القيام بأعمال الحفر تحت حماية الجيش الصهيوني وكانت الحفريات هذه المرَّة عند ملتقى طريق باب الغوانمة مع طريق المجاهدين (طريق الألام)، فتصدى المسلمون من أهل فلسطين للصهاينة ومنعوهم من القيام بأعمال الحفر فاضطرت سلطات الاحتلال إلى وقف العمل.

وفي ٢٤ ايلول سنة ١٩٩٦م قام الصهاينة بفتح باب ثانٍ للنفق لإعادة الحفريات في المنطقة مما أدى إلى قيام الانتفاضة التي عرفت بانتفاضة النفق، وامتدت هذه الانتفاضة إلى مدن فلسطين وقراها ولم تتوقف حتى أوقفت الحكومة الصهيونية المدخل الثاني للنفق[2].

---

(١) رائف نجم/ انتفاضة النفق/ ضمن كتاب وقائع فلسطينية (١)، عمان ٢٠٠٠م، ص ١٦٩.

(٢) رائف نجم/ انتفاضة النفق/ ضمن كتاب وقائع فلسطينية، ص ١٧١-١٧٤.

ج-انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠م

وهي من اكبر المواجهات ضد الكيان الصهيوني في فلسطين ومن أعنف وأقوى حركات المواجهة مع العدو، وتعتبر هذه الانتفاضة امتداداً للحركات الجهادية والعمل من أجل تحرير فلسطين ولا تزال هذه الحركة قائمة إلى اليوم حيث ضرب رجالها أروع أمثلة البطولة والتضحية في مواجهة العدو الصهيوني.

قامت هذه الانتفاضة في ٢٨ أيلول سنة ٢٠٠٠م، بسبب استمرار اسرائيل في رفض تطبيق القرارات الشرعية، والتحايل على مشروع السلام وعدم قدرة السلطة الفلسطينية على عمل شيء أمام التعنّت الصهيوني.

ومن أسباب هذه الانتفاضة الاستمرار في الاعتداء على المقدسات الإسلامية، وسياسة الاستيطان المستمرة والإعتداء على الأرض العربية ومصادرتها بالقوة، ومن العوامل المباشرة للانتفاضة هو قيام زعيم حزب الليكود المتطرّف الملعون أرئيل شارون بزيارة إلى الحرم القدسي الشريف محاطاً بالجنود المسلحين (ثلاثة آلاف جندي صهيوني) مدّعياً أن هدف زيارته هو رفض أي تشكيك بسيادة الصهيونية على هذا المكان المقدس(١).

وانتفاضة الأقصى أقوى من الانتفاضة الكبرى التي حدثت عام ١٩٨٧م، وذلك نتيجة الخبرة التي اكتسبتها الجماهير العربية والقوى السياسية والشعبية من خلال كفاحها الطويل ضد الصهيونية،وتكون وعي جديد ومعرفة كاملة بمجريات الأحداث وبالمصالح الحيوية التي يجب المحافظة عليها(٢).

واستخدم أهل فلسطين الحجارة في هذه الانتفاضة، كما استخدموا القنابل التي كانوا يصنعونها لهذه الغاية (قنابل المولوتوف)، كما استخدموا عمليات الهجوم الليلي

---

(١) انتفاضة الأقصى: ص ٤٣.

(٢) ماجد أبو دياك: انتفاضة الأقصى بين جبلين واستراتيجيتين، فلسطين المسلمة، العدد ١١/ ٢٠٠٠م، انتفاضة الأقصى، ص ٤٦.

المفاجيء ونصب الكمائن على الطرق[1]، فكان نجاحها كبيراً حتى ارعبت المحتل الصهيوني الذي واجه الانتفاضة بكل وسائل القوة والعنف المتاحة عند الدول المسلحة، فاستخدم طائرات الأباتشي والدبابات والجنزرات والمدافع الرشاشة والصواريخ، ومع هذا فقد كان الأهل في فلسطين صامدون أمام كل القوة والآلة الصهيونية فواجهوا الدبابات بصدورهم ليبثوا الرعب في قلوب العدو ويدفعوا المقاتلين إلى الصبر والصمود واشترك الأطفال كما اشتركت النساء في الأعمال الجهادية على نطاق واسع.

---

(١) انتفاضة الأقصى، ص ٤٨.

الاعمار الهاشمي لمدينة القدس

العلاقة بين الهاشميين والقدس:

توجد بين مدينة القدس وفلسطين من جهة وبين الهاشميين من جهة ثانية علاقة قوية جداً منذ زمن بعيد، فكان هاشم بن عبد مناف يتجه بأسفاره إلى فلسطين، وانتهى به الأمر إلى مدينة غزَّة التي كان يتردد عليها كثيراً فسميت بغزَّة هاشم.

وجاءت رحلة الإسراء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لتزيد من قوة العلاقة بين الطرفين، فأصبحت القدس مسرى محمد عليه الصلاة والسلام وقبلته هو وأصحابه الأولى التي يتوجه إليها في صلاته، وتوثقت هذه العلاقة في العصر الحديث فصارت المدينة محل عناية بني هاشم ورعايتهم.

وتجدد الاهتمام بمدينة القدس عندما تولى الحسين بن علي طيب الله ثراه ملك العرب في الحجاز في أوائل القرن العشرين، وبعد أن دخل الحرب إلى جانب الحلفاء بهدف تحقيق استقلال العرب، فعندما أصدرت بريطانيا وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧م، أرسل الحسين إلى بريطانيا يؤكد أن فلسطين ودرتها مدينة القدس عربية منذ نشوئها، ولا يجوز لأحد أيًا كان أن يتصرف بها غير أهلها الشرعيين من العرب.

وفي سنة ١٩٢١م عرضت بريطانيا على الحسين بن علي مشروع معاهدة حملها لورنس، فلما رأى الحسين أنها لا تحقق أهداف العرب في استقلال فلسطين رفضها من أساسها، ورد على بريطانيا بأن استقلال فلسطين هو جزءٌ من وحدة الأمة العربية.

وحدثت محاولات لتطويع الحسين بن علي ودفعه لتوقيع المعاهدة التي تستثني فلسطين من الدول العربية إلاّ أنه كان صارماً في ردّه ورفض كل المحاولات التي من شأنها الانتقاص من الحقوق العربية في فلسطين، وأكّد ذلك لأهل فلسطين في موسوم الحج سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م حيث التقى بوجهاء فلسطين وقال لهم: كونوا على ثقة أننا نحافظ على اصغر قرية في فلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام، ونُريق في سبيل ذلك آخر قطرة

من دمائنا[1]، ولشدّة تعلق الحسين بن علي بمدينة القدس، فقد أوصى أن يدفن في جوار المسجد الأقصى[2].

وفي حرب سنة ١٩٤٨م أُسندت قيادة الجيوش العربية التي دخلت لمواجهة اليهود إلى الملك عبد الله الأول بن الحسين، وتمكن الجيش الأردني من الحفاظ على الجزء الموكل إليه من القدس، ودافع دفاعاً مستميتاً، وفي سنة ١٩٥١م قضى الملك عبد الله الأول بن الحسين شهيداً في قلب مدينة القدس على باب المسجد الأقصى[3]، وكان يرافقه آنذاك حفيده الحسين بن طلال الذي كانت القدس عينه التي ينظر فيها وقلبه النابض بالحياة، فأولاها جُلَّ عنايته، وكانت قضيتها بالنسبة له الحياة التي يعيشها فكانت القدس بالنسبة للحسين بن طلال تمثل ما يلي:

١- أنها مسرى جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها كان معراجه إلى السماء.

٢- أنها تضم المسجد الأقصى وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين.

٣- إلى هذه المدينة تشدُّ الرحال لوجود المسجد الأقصى المبارك.

٤- عاصمة الأردن الروحية.

٥- مهوى أفئدة المسلمين والنصارى وفيها القبر المقدس.

٦- أنها رمز الإسلام والسلام منذ فتحها المسلمون على يد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٧- أنها رمز الكرامة العربية والإسلامية والتفريط فيها تفريط بكل شيء.

٨- أن أرض القدس جبلت بدم الشهداء على مدى التاريخ.

وكان الحسين بن طلال يتحدث عن القدس في كل المحافل والمناسبات، فبعد نكبة فلسطين سنة ١٩٦٧م، تحدث عنها والألم يعتصر قلبه على فقد فلسطين والقدس فقال:

---

(١) جريدة القبلة/ العدد ٤٣٢- ١٠ذي الحجة ١٣٤٢هـ/ ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣م.

(٢) سليمان الصمادي: الرعاية الهاشمية، ص ١٧٦.

(٣) محمد محاسنة: تاريخ الأردن، ص ٢٠٥.

(لقد كنّا سدنة القدس وحماتها عبر قرون وقرون ولن نبخل ببذل أرواحنا رخيصة من أجل الحفاظ على حقنا في البقاء، ولن يخبوا أملنا في أن يستيقظ في العالم ضميره الذي مات، فتعود لنا ولأمتنا أولاً وقبل كا شيء أرضنا العربية كلها والقدس دُرّتها)[1].

وتعتبر فترة الاستعمار البريطاني والاستعمار الصهيوني للأراضي المقدسة في فلسطين أصعب الفترات التي تعرّضت لها هذه البلاد المباركة، وأقسى النكبات التي حلت بها بعد الاحتلال الصليبي، إلاّ أنه وبالرغم من هذا الزمن العصيب وويلاته فإن بني هاشم لم يتركوا القدس وفلسطين ولم يتخلوا عنها حتى وهي تحت نير الإستعمار، فكانت رعايتهم لها دائمة، وقيامهم بترميم المقدسات أو تجديد بنائها مستمزاً كلما لزم الأمر.

الإعمار الهاشمي الأول

بدأ الإعمار الهاشمي في مدينة القدس سنة ١٩٢٣م أيام الانتداب البريطاني على فلسطين، وتولى تنفيذ هذا الاعمار ورعايته والانفاق عليه الشريف الهاشمي الحسين بن علي طيب الله ثراه، فقد تعهد الحسين ملك العرب والحجاز برعاية المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة.

كانت البلاد العربية في هذه الآونة تتعرض لهجمة استعمارية غاشمة، فجعل اهتمامه بالقدس في المقام الأول، لأنه يعلم من خلال مواقف الحلفاء ما يراد بهذه المقدسات، فرغم الضائقة والظروف التي كانت تعيشها البلاد، فقد تبرّع بمبلغ (٣٠,٠٠٠) دينار من الذهب[2] من ماله الخاص ليتم انفاقها على إصلاح المقدسات في مدينة القدس، وإعمار الحرم القدسي، فزاد هذا من قوّة العلاقة التي تربط الهاشميين بالبلاد الطاهرة المقدسة في فلسطين[3].

---

(١) عدنان الزبن: القدس في عيون الهاشميين، ص١١٥، محمد محاسنة: تاريخ الأردن ص٢٤٢.

(٢) عبدالسلام العبادي: الرعاية الأردنية الهاشمية للقدس والمقدسات الإسلامية في القدس الشريف، وزارة الشباب، عمان ١٩٩٥م، ص٧٣.

(٣) سليمان الصمادي: الرعاية الهاشمية، ص ١٧٦.

وأرسل الحسين بن علي المبلغ الذي تبرَّع به إلى ولـده الأمـير عبـد الله أمـير شـرقي الأردن ليحمله إلى الحاج أمين الحسيني مفتي القـدس الـشريف ورئـيس المجلس الأعلـى ولجنة إعمار الحرم القدسي، وتمَّ صرف المبلغ على تجديـد عمـارة مـسجد قبـة الـصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك[1]، حيث أشرف الأمير عبد الله على عملية الاعمار.

واستمر العمل بهذا الاعمار حوالي ست سنوات على يد المهندس المعماري كمال التركي، واستهدف المشروع بالدرجة الأساسية تغيير الأركان التي كانت تحمل القبة بأركان جديدة من الاسمنت المسلح، وبعد الانتهاء من عملية الاعمار تمّ الاحتفال بإنهاء المشروع في مهرجان إسلامي كبير في مدينة القدس حضرته وفود كثيرة من الدول العربية والإسلامية[2].

الاعمار الهاشمي الثاني

كان الاعمار الهاشمي الثاني لمدينة القدس في عهد المغفـور لـه الحـسين بـن طـلال، حيث أمر سنة ١٩٥٤م بتشكيل لجنة تكون مهمتهـا القيـام بأعمـال الإصـلاح والترمـيم وإعمـار المقدسـات الإسـلامية في الحـرم القدسـي الـشريف تحـت الرعايـة الهاشميـة[3]، وتكونت هذه اللجنة من قاضي القضاة وسبعة من الأعضاء[4].

رتب الحسين بن طلال لهذا الاعمار بالاتصال مع ملـوك ورؤسـاء الـدول العربيـة، فتبرَّع الرئيس المصري جمال عبد الناصر بأن يتولى المهندسون المـصريون وضـع التـصاميم اللازمة لعملية الإعمار.

كانت قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة في حالة سيئة وأخـذت في التآكـل بسبب عامل الزمن، فقرَّر المكتب المعماري الهندسـي إزالـة صـفائح الرصـاص المهترئـة، وتركيب صفائح جديدة من الألمنيوم الفضي لقبـة المـسجد الأقـصى المبـارك، والألمنيـوم

---

(١) رائف نجم: الاعمار الهاشمي في القدس، دار البيرق، عمان ١٩٩٤م، ص ٧٣.

(٢) عبد السلام العبادي: الرعاية الأردنية، ص٧٥.

(٣) رائف نجم: الاعمار الهاشمي، ص ٧٤.

(٤) عبد السلام العبادي: الرعاية الأردنية، ص ٧٨-٧٩.

المذهب لقبة الصخرة المشرفة، وتولى تنفيذ المشروع المقاول السعودي (ابن لادن)، وتمّ إنجاز المشروع سنة ١٩٦٤م، وتضمن المشروع القيام بما يلي[1]:

أ. في المسجد الأقصى:

١- ترميم الجدران الخارجية والداخلية.

٢- تركيب النوافذ من الزجاج الملون والجبس.

٣- تركيب أعمدة الرخام لأربعة من أروقة المسجد في الجهة الشرقية.

٤- تركيب السقوف الخشبية المزخرفة والقبة الداخلية.

٥- زخرفة جدران البناء الداخلية وكتابة الآيات القرآنية الكريمة.

ب. مسجد قبة الصخرة المشرفة:

١- تركيب القبة الخارجية من الألمنيوم المذهب والداخلية من الخشب.

٢- ترميم الجدران الخارجية ورقبة القبة بالقاشاني.

٣- تركيب رخام الجدران الخارجية.

٤- تركيب الأعمدة الرخامية من الداخل.

٥- زخرفة البناء بالآيات القرآنية والأشكال النباتية والهندسية.

٦- عمل تمديدات كهربائية للإنارة.

وفي ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٤هـ/ ٦ تموز سنة ١٩٦٤م أقيم احتفال كبير في الحرم القدسي الشريف برعاية الحسين بن طلال بمناسبة الانتهاء من عملية الاعمار للأماكن المقدسة وحضر الاحتفال الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، ومندوبون عن ملوك ورؤساء الدول العربية[2].

---

(١) رائف نجم: الاعمار الهاشمي، ص ٧٥-٧٦، كامل العسلي: مكانة القدس ص ٥٨-٥٩.

(٢) كامل العسلي: مكانة القدس ص ٥٩.

حريق المسجد الأقصى

وفي يوم ٢١ آب سنة ١٩٦٩م امتدت يد الاثم والعدوان البغيض إلى المسجد الأقصى المبارك، فأعلنت الدولة الصهيونية عن حريق المسجد الأقصى وزعمت كعادتها في التضليل أن شخصاً مختل العقل قام بذلك هو (دنس روهان)، والحقيقة أن عملية الاحراق تمت بتدبير محكم وتخطيط مسبق قامت به الدولة الصهيونية وكلّفت (دنس روهان) ومجموعته الحاقدة بتنفيذ عملية الإحراق، لأن الحريق اشتعل في المسجد في ثلاث مناطق متباعدة في وقت واحد ولا يستطيع رجل واحد بمفرده ولا حتى اثنين القيام بذلك وإنما بحاجة إلى مجموعة لتنفيذ المهمة[(١)].

ومما يدل على أن الحريق كان مدَّبراً وخطط له مسبقاً أن بلدية القدس اليهودية قطعت الماء عن الحرم الشريف في نفس اليوم الذي حدث فيه الحريق حتى لا يستعمل في إطفاء الحريق، ولم تحضر سيارات الاطفاء الصهيونية إلاّ بعد الانتهاء من إخماد النيران، وأن الذين قاموا بإخماد النيران هم السكان العرب الذين يقيمون حول الحرم الشريف وبمساعدة سيارات الاطفاء العربية التي قدمت من المدن المجاورة[(٢)]، ودمّر الحريق حوالي ثلث المسجد أي ما يقارب (١٥٠٠ م^{٢}) من مساحة المسجد البالغة ٤٤٠٠م^{٢} تقريباً.

الاعمار الهاشمي الثالث

وبدأت المرحلة الثالثة من الاعمار الهاشمي بعد حريق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م، حيث تم تشكيل جهاز من العلماء والمهندسين والفنانين المختصين لوضع التصاميم اللازمة لإعادة إعمار المسجد الأقصى والمعالم الدينية والتاريخية الموجودة في ساحة الحرم القدسي الشريف، وتمّ ذلك بأمر من جلالة المغفور له الحسين بن طلال طيب الله ثراه[(٣)].

---

(١) رائف نجم: الاعمار الهاشمي، ص ٧٩، كامل العسلي: مكانة القدس ص ٦٠.

(٢) رائف نجم: الاعمار الهاشمي، ص ٧٩.

(٣) كامل العسلي: مكانة القدس ص ٦١.

وشمل الإعمار بالدرجة الأساسية المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة، وتضمن القيام بعدد من الأعمال الرئيسية أهمها[1]:

١- إعادة بناء الجزء المتهدم من المسجد الأقصى وتلبيس الأعمدة والجدران بالرخام الملون.

٢- إعادة بناء منبر صلاح الدين الذي أتى عليه الحريق[2].

٣- تركيب جهاز الإنذار والإطفاء بالمواصفات الحديثة.

٤- ترميم القبة الداخلية المزخرفة بالجبص.

٥- إعادة بناء مسجد عمر ومحراب زكريا وزخارفها.

٦- كتابة جميع الآيات القرنية كما كانت قبل الحريق.

٧- ترميم قبة الصخرة المشرفة، وكان أعظم ترميم حدث لهذه القبة بعد تسرب مياه المطر من فواصل الألمنيوم إلى الداخل.

وجاءت عملية الإعمار بتبرع من جلالة المغفور له الحسين بن طلال بمبلغ (٨,٢٥) مليون دولار في ١١ شباط سنة ١٩٩٢م[3]، وتم انجاز المشروع سنة ١٩٩٤م، حيث افتتح المسجد، وتم فرشه بالسجاد على نفقة جلالة المغفور له الحسين بن طلال أيضاً، فجاءت هذه الأعمال لتضيف مأثرة من المآثر العظيمة في سجل المغفور له الحسين بن طلال.

عمليات الترميم الأخرى في مدينة القدس

لم تتوقف عمليات الترميم في مدينة القدس على المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة، وإنما تعدى ذلك إلى عدد من المباني الأخرى، نذكر منها:

١- ترميم قبة السلسلة إلى الشرق قليلاً من مسجد قبة الصخرة المشرفة.

٢- ترميم سبيل قايتباي الذي أنشيء في عهد المماليك سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م[4].

---

(١) رائف نجم: الاعمار الهاشمي، ص ٨٥.

(٢) عبد السلام العبادي: الرعاية الأردنية، ص١٠٦، سليمان الصمادي: الرعاية الهاشمية، ص ١٩٣.

(٣) رائف نجم: الاعمار الهاشمي، ص ٩٥، ١٠١، ١٠٢.

(٤) كامل العسلي: مكانة القدس، ص ٦٥.

٣- ترميم باب الرحمة وهو من أبواب الحرم المغلقة على السور من جهة الشرق[١].

٤- ترميم سوق القطانين وهي سوق تاريخية مشهورة تبدأ من باب القطانين من أبواب الحرم وبطول (١٠٠) متر.

٥- ترميم جامع المدرسة الأرغونية في الجهة الشمالية من الحرم القدسي الشريف.

٦- ترميم مكتبة المسجد الأقصى وكانت تشكل جزءاً من المدرسة السلطانية[٢].

٧- ترميم بعض المآذن مثل مئذنة باب الغوانمة ومئذنة باب السلسلة.

٨- ترميم البوابات الرئيسية للحرم الشريف.

---

(١) رائف نجم: الاعمار الهاشمي، ص ١٠٣.

(٢) ن. م، ص١٠٤.

الخاتمة

حقيقة القدس

هل هي قدس بني كنعان الذين بنوا وعمَّروا، وأشادوا حضارة شهد لها العالم فكانوا أول من استوطنها وأقام فيها، فجعلوها أرض الحضارة والعمران، ونشروا فيها الأمن والسلام والعدل والوئام فكانت مدينة السلام؟

أم هي قدس اليهود العبرانيين الذي خرجوا مع موسى عليه السلام فعصوه وخالفوا أمره وأمر الله؟ وهل هي قدس اليهود الذين نجاهم الله من فرعون ثم كفروا وطالبوا موسى بعبادة الأصنام؟ أم هي قدس اليهود الذين دخلوا إليها غاصبين فأفسدوا وخرّبوا وقتلوا وشردوا واستولوا على حقوق أهلها، فأنزل الله إليهم الأنبياء والمرسلين فلم يستجيبوا لهم وإنما جعلوا لهم آلهة من غير الله يعبدون؟

وهل هي قدس الجماعات والأمم الغازية؟ هل هي قدس الفرس المشركين أم قدس اليونان والروم الكافرين الذين دخلوها بغير حق مبين؟

فأين هي القدس من هؤلاء أجمعين؟

إنها القدس العربية الكنعانية باسمها وأهلها وتاريخها وعمرانها، بوجودها، هم أول من سكنها وعمَّرها، وهم أهلها على مدى التاريخ، نشروا فيها الأمن والسلام وسموها مدينة السلام (أوروسالم)، وهم الذين عبدوا الله فيها ووحدوه فكانت المدينة المقدسة ومدينة الله أو الرب.

أما القدس بالنسبة لليهود، فإنها مدينة قاموا بغزوها فدخلوها غاصبين، وظلوا سنوات طويلة وهم ينتظرون حتى تمكنوا من دخولها محتلين، فلم يتمكنوا من جعلها مدينة للسلام، فهي ليست أرضهم ولا وطنهم ولكنهم إليها قادمون لأنهم ملاحقون، فهم مطرودون من فرعون مشتتون في الأرض، فهي محطة من محطات الطرد والخروج فكانوا إليها عابرين.

والقدس بالنسبة لهم مكان أفسدوا فيه وخرّبوا وقتلوا وشردوا فلم تقبلهم ولم يعيشوا فيها آمنين فكانوا دائماً للطرد منها معرضين، طردهم الآشوريون والبابليون، وحاول اليونان طردهم، ثم شرَّدهم الرومان فولوا مدبرين.

وهي بالنسبة لليونان والفرس والرومان بلاد دخلوها مستعمرين، ينتفعون فيها ويسكنوها، ولكنهم ليسوا دائمين وإنما منها خارجين، ثم هي مكاناً لرسالة عيسى عليه السلام إلى الحواريين وعبادة الله وتوحيده، فنشر فيها السلام ودعا إلى العدل والحق حتى رفعه الله سبحانه وتعالى وجعله من المقربين.

وجاء الإسلام فصارت القدس أرض الإسراء والمعراج، فيها أم المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء والمرسلين، فصارت قبلة المسلمين، قدس المسجد الأقصى والأرض المباركة التي نشر الله فيها الخير وجعلها أرض المحشر والمنشر، أرض الحشد والرباط إلى يوم الدين.

وتولى المسلمون نشر الإسلام، فصارت القدس أرض الفتح المبين، قدس العهدة العمرية أمان المؤمنين، فهي قدس الجهاد والتضحية في سبيل الله، قدس التحرير والسلام، والمحبة والأمان، قدس التسامح مع الأديان.

وهي بالنسبة لبني أمية تأكيد لقدسية القدس وإعلاء كلمة الحق، بناءٌ للمسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة، ربط للمسلمين بالمدينة ربطاً دينياً متيناً، وتنبيه إلى أهميتها ومكانتها ليشدوا إليها الرحال، إنها قدس البناء والعمران، قدس العلماء وقرّاء القرآن وطريقهم إلى جنة الرحمن.

وهي بالنسبة للصليبيين مناطق يبحثون فيها عن مركز أو منصب عن مال وجاه، قدسهم أمراء وملوك يتصارعون تحركهم المصالح، إنها قتل وتعذيب وتشريد للأبرياء والعجزة من النساء والأطفال، انتهاك لحرمات الله تعالى، وإساءة لأماكن العبادة، إنها حقد وكراهية وتعصب مأفون.

أما قدس صلاح الدين فإنها إعادة للتحرير والتطهير، ونشر للحق والعدل، بناء للمدارس والمساجد، رعاية للعلم والعلماء، رفع شعار الإسلام والسلام من جديد، أمان واطمئنان ومحبة وسلام، وقدس المماليك حماية ورعاية، وتجديد البناء والعمارة.

والقدس عند بني عثمان مكان مقدس طاهر تقوم الدولة برعايته وحمايته، إنها أرض المسلمين، فيأبى السلاطين أن يسمحوا لليهود بتدنيسه وتنجيسه، ويحرّم عبد الحميد الثاني على الصهيونية تنفيذ مخططاتها، وتحقيق أطماعها، فيرعى مقدساتها ويجدّد عمارتها، ويحفظ ذمتها.

والقدس بالنسبة لبريطانيا، بلدٌ مُستعْمرَ تنفذ فيه مخططاتها الاستعمارية وعدوان على الشعب الآمن الأعزل، تطرد أهله وتأتي بغيرهم ليسكنها مكانهم، إنها مكان لإقامة الوطن اليهودي، مكان لإرضاء اليهود وتجميعهم من أرض الشتات ليأخذوا حق غيرهم، فالقدس هنا سايكس بيكو ووعد بلفور وسان ريمو ولجان التحقيق العنصرية، وحرب وحرمان لأبناء البلاد من الحقوق، محاربة للعلم ونشر الجهل، تمييز وسلب للحقوق والثروات واعتداء على المقدسات.

والقدس للصهيونية أرض الميعاد فيها يغتصبون ويقتلون، ينهبون ويسرقون ويشردون، إنها اعتداء على الأعراض والأموال والحقوق، إنها سجن وملاحقة وقتل للأبرياء، إنها مجازر للأهالي، مذابح للأطفال والنساء، إنها عند الصهيونية مذبحة دير ياسين، مذبحة صبرا وشاتيلا، مجزرة قانا، مجزرة الحرم الإبراهيمي، مجزرة مخيم جنين، إنها أشلاء الضحايا وجثث المظلومين ملقاة على الطرقات، إنها صواريخ تلقى على رؤوس الأبرياء، إنّها قنابل تلقى على الأهالي بلا رحمة.

إنها انتهاك لحقوق الإنسان، اعتداء على الروح البشرية بغير حق، إحراق للمسجد الأقصى المبارك، ومساجد المسلمين وكنائس النصارى، تدنيس للحرمات قتل حتى في بيوت الله، دماء تسيل، بطون تبقر، جرحى يموتون دون أن يسمح لأحد بإسعافهم،

اعتداء على المستشفيات، إغلاق للمدارس، قطع للطريق، حصار وتجويع وغدر وذبح وسلخ، وكثير أسوأ من هذا، همجية لم يعرفها التاريخ البشري، ومجلس الحرب الدولي يتفرج على هذا كله.

وأما قدس المسلمين فجهاد وصلاة في المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة، صمود، ثبات، عزم وعزيمة، إيمان وصبر على الشدائد والمحن، شهداء إلى جنة الرضوان كل يوم، أبطال يواجهون الدبابات بصدورهم وهاماتهم مرفوعة، شعب يحارب بلا سلاح، أطفال سلاحهم الحجارة، وشعب سلاحه الصبر وقوة الإيمان، قدس المسلمين انتفاضة الأقصى، أطفال الحجارة أعمال استشهادية تفوق حدّ التصور.

إن قدس المسلمين هي قدس عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، قدس عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، إنها قدس نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، إنها قدس محمد جمجوم وفؤاد حجازي وعطا الزير، ومحمد الدرَّة وشهداء الأمة البررة، وانتظار لنصر الله القريب إن شاء الله.

قائمة المصادر والمراجع

أ)المصادر:

١-ابن الأثير (ت ٦٣٠/ ١٢٣٣م):

الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م.

٢-ابن الأثير:

النهاية في غريب الحديث، دار الفكر، بيروت.

٣-ابن بطوطة: (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

رحلة ابن بطوطة (تحفة النظّار في غرائب الأسفار وعجائب الأمصار)، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م.

٤-ابن الجوزي: (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م):

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٥-ابن خرداذبة: (٣٠٠هـ/ ٩١٢م):

المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

٦-ابن خلدون: (٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م):

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٧-ابن خلكان (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.

٨-ابن سعد (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):

الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

٩-ابن شداد (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م):

الاعلاق الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة، دمشق ١٩٦٥م.

١٠-ابن عبد ربه (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م):

العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧م.

١١-ابن العبري (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):
تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٠م.
١٢-ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م):
تاريخ مدينة دمشق الكبير، دار الفكر ١٩٩٥م.
١٣-ابن الفقيه (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م):
مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي الإسلامي، بيروت ١٩٨٨م.
١٤-ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):
الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الاضواء، بيروت ١٩٩٠م.
١٥-ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):
البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦م.
١٦-ابن كثير:
تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٨م.
١٧-ابن كثير:
قصص الأنبياء، دار التراث، القاهرة، ١٩٨١م.
١٨-ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م):
لسان العرب، دار صادر، بيروت ٢٠٠٠م.
١٩-ابن هشام (ت ١٤١هـ/ ٧٦٠م):
السيرة النبوية، دار الجليل، بيروت.
٢٠-ابن واصل (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م):
مفرج الكروب عن أخبار دولة بني أيوب، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧م؟
٢١-أبو شامة: (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م):
الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجليل، بيروت.

٢٢-أبو شامة:
عيون الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية)، تحقيق أحمد البسيومي، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٢م.
٢٣-أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):
المختصر في أخبار البشر، طبعة بيروت.
٢٤-أبو المحاسن، ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٩م):
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٢٥-أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م):
الخراج، دار المعرفة، بيروت ١٣٤٧هـ.
٢٦-الإنطاكي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٧م):
تاريخ الانطاكي (صلة تاريخ أوتيخا)، جروس برس، طرابلس ١٩٩٠م.
٢٧-أوليا جلبي: سيا حتنامة، ترجمة كامل العسلي/ ضمن كتاب بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان ١٩٩٢م.
٢٨-البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٢م):
الجامع الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٩٩٨م.
٢٩-البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):
فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٧٨م.
٣٠-جريدة القبلة: مكة المكرمة، العدد الأول ١٩١٦م.
٣١-سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م):
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٥١م.
٣٢-السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):
تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٢م.

٣٣-السيوطي، شمس الدين (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٦م):
إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٨٨٢م.
٣٤-الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):
الرسل والملوك، تحقيق محمد أو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.
٣٥-الظاهري، غرس الدين أبو شاهين (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م):
زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس ١٨٩٤م.
٣٦-عبد الله بن الحسين (ت ١٣٦٩هـ/ ١٩٥١م):
مذكرات الملك عبد الله بن الحسين، المطبعة الهاشمية، عمان، ١٩٧٠م.
٣٧-العليمي مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م):
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان أبو تبانه، مكتبة دنديس، عمان ١٩٩٩م.
٣٨-العماد الكاتب، الأصفهاني (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٦م):
الفتح القسي في الفتح القدسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.
٣٩-الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م):
سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٤٨م.
٤٠-القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):
صبح لأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م.
٤١-اللّقيمي: موانح الأنس برحلتي لوادي القدس.
٤٢-مجهول (ت قرن ٥هـ/ ١١م):
أعمال الفرنجةوحجاج بيت المقدس، دار الفكر العربي، مصر ١٩٥٨م.
٤٣-المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):
مروج الذهب ومعادن الجوهر،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩١م.

٤٤-المقدسي، ألبشاري (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م):
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م.
٤٥-المقدسي، ابن طاهر (ت ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م):
البدء والتاريخ، باريز ١٨٩٩م، دار صادر، بيروت.
٤٦-المقدسي، أحمد بن محمد:
مثير الغرام بفضائل القدس والشام، المطبعة العصرية، يافا ١٩٤٦م.
٤٧-المقريزي: (ت ٨٤٥هت/ ١٤٤١م):
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٩٦م.
٤٨-المقريزي:
السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٦م.
٤٩-النابلسي:
الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية.
٥٠-ناصر خسرو (ت القرن ٥هـ/ ١١م):
سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، مطبوعات البنك الدولي للمعلومات.
٥١-نوفل نعمة الله نوفل:
كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام، جروس برس، طرابلس ١٩٩٠م.
٥٢-النويري (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م):
نهاية الأرب في فنون الأدب، المطبعة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.
٥٣-وليم الصوري (ت القرن ٥هـ/ ١١م):
تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ١٩٩٠م.

٥٤-ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):
معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٥-اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م):
البلدان، طبعة ليدن ١٨٩١م.
٥٦-اليعقوبي:
تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩٣م.
٥٧-يوسيفوس (القرن الأول الميلادي):
التاريخ، المكتبة العمومية، بيروت.

ب)المراجع العربية والمترجمة:

٥٨-إبراهيم الشريقي: إسرائيل وأرض كنعان، حوار مع أنبياء وملوك بني إسرائيل، الشرق الأوسط للطباعة، عمان ١٩٨٥م.
٥٩-أبكار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، عالم الكتب، القاهرة.
٦٠-أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٨١م.
٦١-أرنست باركر: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت ١٩٦٧م.
٦٢-أرنست رامزو: تركيا الفتاة ١٩٠٨م، ترجمة صالح أحمد العلي، دار الحياة، بيروت ١٩٦٠م.
٦٣-أسماء عبد الهادي فاعور: فلسطين والمزاعم اليهودية، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٥م.
٦٤-أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية.
٦٥- أمينة البيطار: تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق ١٩٨٢م.

٦٦-انتفاضة الأقصى تعيد النظر بمستقبل الكيان الصهيوني، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠١م.
٦٧-أود بول: الحرب والسلام في الشرق الأوسط، عمان ١٩٨٤م.
٦٨-برشيم وسولانج: القدس في أعمال فان برشيم، دار الشام، دمشق ١٩٩٤م.
٦٩-تيسير جبارة:دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، دار الفرقان، إربد ١٩٩٢م.
٧٠-جاسر العناني: دراسات قانونية، عمان ٢٠٠١م.
٧١-جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت.
٧٢-جوناثان ريلي سميث: ما الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، دار الأمين. القاهرة ١٩٩٩م.
٧٣-حسان علي علاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، الدار الجامعية ١٩٨٦م.
٧٤-حسن حبشي: الحروب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٨م.
٧٥-حسني أدهم جرار: من أجل فلسطين، مؤسسة الزيتونة، عمان ١٩٩٨م.
٧٦-حسين حمادة: آثار فلسطين بين الهياكل التوراتية ووثائق الاستكشافات الأثرية العلمية، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٣م.
٧٧-حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨١م.
٧٨-حلمي محروس إسماعيل: تاريخ العرب الحديث، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٧م.
٧٩-حمد أحمد عبد الله يوسف: بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية.
٨٠-خاشع المعاضيدي وآخرون: تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، دار الكتب، بغداد ١٩٨١م.

٨١-خالد عايد: الانتفاضة الثورية في فلسطين/ الأبعاد الداخلية، دار الشروق، عمان ١٩٨٨م.
٨٢-خالد عبد الرحمن العك: تاريخ القدس العربي القديم، مؤسسة النوري، دمشق ١٩٨٦م.
٨٣-خالد محمد غازي: القدس، سيرة مدينة، دراسات وشهادات، دار الهدى ١٩٩٨م.
٨٤-خليل طوطح: تاريخ القدس، عمان ١٩٧٩م.
٨٥-خليل عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٠م،
٧٦-خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨م، مركز الأبحاث.
٨٧-رائف نجم: الاعمار الهاشمي في القدس، دار البيرق، عمان ١٩٩٤م
٨٨-رائف نجم: انتفاضة النفق، ضمن كتاب وقائع فلسطينية(١)/ اللجنة الأردنية للدفاع عن القدس، عمان ٢٠٠٠م.
٨٩-رائف نجم: كنوز القدس، عمان ١٩٨٣م.
٩٠-رشاد الإمام:مدينة القدس في العصر الوسيط، تونس ١٩٧٦م.
٩١-رفيق شاكر النتشة: السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٠م.
٩٢- رفيق شاكر النتشة وآخرون: تاريخ مدينة القدس، دار الكرمل، عمان ١٩٨٤م.
٩٣-رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٦م.
٩٤-زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥م.
٩٥-زيدان كفافي وآخرون: القدس عبر العصور، جامعة اليرموك ٢٠٠١م.
٩٦-سامي سعيد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد ١٩٧٩م.

٩٧-سعد جمعة: المؤامرة ومعركة المصير، مكتبة المختار، القاهرة.
٩٨-سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦م.
٩٩-سليمان الصمادي: الرعاية الهاشمية للمقدسات الإسلامية، عمان ١٩٩٧م.
١٠٠-سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت ١٩٩٦م.
١٠١-شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين، القاهرة، ١٩٠٤م.
١٠٢-شفيق جاسر أحمد: تاريخ القدس، مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٩٨٩م.
١٠٣-شوقي شعث: القدس الشريف.
١٠٤-ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، دار النفائس، بيروت ١٩٨٤م.
١٠٥-عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، مصر ١٩٥١م.
١٠٦- عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مكتبة الأندلس، القدس ١٩٦١م.
١٠٧- عارف العارف: تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك، مكتبة الأندلس، القدس ١٩٥٥م.
١٠٨- عارف العارف: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٥-١٩٥٢م مكتبة وهبة.
١٠٩-عبد الرحمن حبنكة الميداني: مكائد يهودية عبر التاريخ.
١١٠-عبد السلام العبادي: الرعاية الأردنية الهاشمية للقدس والمقدسات الإسلامية في القدس الشريف، وزارة الشباب، عمان ١٩٩٥م.
١١١-عبد العزيز الدوري: القدس في الفكر الإسلامي.
١١٢-عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، المكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٠م.
١١٣-عبد العزيز عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٩٦٤-١٩١٤م (متصرفية القدس)، القاهرة ١٩٦٩م.
١١٤-عبد الكريم رافق: مظاهر التنظيم الحرفي في بلاد الشام في العهد العثماني.

١١٥ -عبد اللطيف الطيباوي: القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، عمان ١٩٨١م.
١١٦ -عبد الله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط للنشر، بغداد.
١١٧ -عبلة الزيدة: القدس، تاريخ وحضارة، ٣٠٠٠ق. م- ١٩١٧م، دار نعمة، بيروت ١٩٩٨م.
١١٨ -عدنان الزين: القدس في عيون الهاشميين، عمان.
١١٩ -عزمي أبو عيان: القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة، مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، الزرقاء – الأردن ١٩٩٣م.
١٢٠ -عفيف البهنسي: الشام الحضارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٦م.
١٢١ -علي حسون:تاريخ الدولة العثمانية، وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي بيروت ١٩٩٤م.
١٢٢ -علي حسين خلف: الحضارة الكنعانية والتوارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٩م.
١٢٣ -علي أبو نوار: حين تلاشت العرب.
١٢٤ -علي سعود عطية: الانتفاضة/ المسيرة وآفاق المستقبل، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩١م.
١٢٥ -علي سعود عطية: الفلسطينيون بين المنفى والدولة، شركة كاظمة للنشر ١٩٨٦م.
١٢٦ -علي محافظة: العلاقات الألمانية الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥م، بيروت ١٩٨١م.
١٢٧ -عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، بيروت ١٩٧٥م.
١٢٨ -غازي ربابعة: القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، دار الكرمل، عمان ١٩٨٧م.
١٢٩ -فاروق عمر فوزي ومحسن محمد حسين: الوسيط في تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان ١٩٩٩م.

١٣٠-فاضل بيات: شرق الأردن في النظام الاداري العثماني في ضوء الوثائق العثمانية.
١٣١-فايز جابر: القدس: ماضيها وحاضرها ومستقبلها، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٤م.
١٣٢-فرانكس: القدس في العصر البرونزي، ضمن كتاب القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية ١٩٩٢م.
١٣٣-فلها وزن يوليوس: تاريخ الدولة العربية، تعريب محمد أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٨م.
١٣٤-فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت.
١٣٥-فيليب حتي: لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩م.
١٣٦-قاسم محمد صالح: الجيش العربي ودوره في الحروب العربية الإسرائيلية، والطبعة الأولى ١٩٨٨م.
١٣٧-كامل العسلي: مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، وزارة الشباب، عمان ١٩٨٨م.
١٣٨-كامل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، عمان ١٩٨٣، ١٩٨٥م.
١٣٩-الكتاب المقدسي: التوارة والانجيل.
١٤٠-كرزول: الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق.
١٤١-كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥م.
١٤٢-كما الدين سامح: العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م.
١٤٣-اللجنة الوطنية الأردنية للدفاع عن القدس: وقائع فلسطينية(١)، عمان.
١٤٤-لي سترانج: فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمايرة، عمان ١٩٧٠م.

١٤٥-ماجد أبو دياك، انتفاضة الأقصى بين جيلين واستراتيجيتين/ فلسطين المسلمة، العدد ١١/ ٢٠٠٠م.
١٤٦-مجيد خدوري: الصلات الدبلوماطيقية بين الرشيد وشارلمان، بغداد ١٩٣٩م.
١٤٧-محسن محمد صالح: الطريق إلى القدس ١٩٩٥م.
١٤٨-محمد أبو فارس: في ظلال السيرة النبوية/ الإسراء والمعراج، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
١٤٩-محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة، العربية، بيروت ١٩٨٧م.
١٥٠-محمد أبو محمود: المسجد الأقصى في الكتب المقدسة.
١٥١-محمد أديب العامري: عروبة فلسطين في التاريخ، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٧٢م.
١٥٢-محمد تيسير التميمي: حقيقة القدس التي يدعون، المركز القومي للنشر ١٩٩٧م.
١٥٣-محمد حسين هيكل: الامبراطورية الإسلامية.
١٥٤-محمد حسين محاسنة: صفحات من تاريخ الأردن وحضارته، دار البهجة، إربد ٢٠٠٠م.
١٥٥-محمد حسين محاسنة: معركة حطين، المجلة العربية للثقافة، تونس/ العدد ٢٦/ ١٩٩٤م.
١٥٦-محمد سلامة النحال: فلسطين أرض وتاريخ، دار الجليل للنشر، عمان ١٩٨٤م.
١٥٧-محمد عثمان شبير: بيت المقدس وما حولها، مكتبة الفلاح، بيروت ١٩٨٩م.
١٥٨-محمد العمروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢م.
١٥٩-محمود إبراهيم: فضائل بيت المقدس، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٩٨٥م.

١٦٠-محمود العابدي: قدسنا، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ١٩٧٢م.
١٦١-محمود عطا الله: وثائق الطوائف الحرفية في بلاد الشام في العهد العثماني.
١٦٢-مصطفى الحياري: صلاح الدين، القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م.
١٦٣-مصطفى الحياري: القدس تحت حكم الصليبيين، ضمن كتاب القدس في التاريخ، ترجمة كامل العسلي، عمان ١٩٩٢م.
١٦٤-مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، رابطة الجامعيين، الخليل ١٩٧٥م.
١٦٥-مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢م.
١٦٦-مقبولة حسن: مدينة القدس في العهد الأيوبي / رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ١٩٩١م.
١٦٧-الموسوعة الفلسطينية، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
١٦٨-نبيه عاقل: تاريخ خلافة بني أمية، دار الفكر، بيروت ١٩٧٥م.
١٦٩-نجدة خماش: الشام في صدر الإسلام، دار طلاس، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
١٧٠-مارثي بورتر: موسوعة التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م.
١٧١-هنري كتن: القدس الشريف، ترجمة نور الدين كتانة، مكتبة الأقصى، عمان-الأردن.
١٧٢-وصفي التل: دور الخلق والعقل في معركة التحرير، دار الأبحاث للنشر، بيروت.
١٧٣-وليد الخالدي وآخرون: القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، جامعة الموصل ١٩٨٣م.
١٧٤-وليم ألبرايت: آثار فلسطين، ترجمة زكي اسكندر ومحمد عبد القادر محمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٧١م.

١٧٥-يعقوب كامل الدجاني ولينا يعقوب الدجاني: فلسطين واليهود، جريمة الـصهيونية والعالم ١٩٩٣م.
١٧٦-يوسف درويش غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية، عمان ١٩٨٠م.
١٧٧-يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.
١٧٨-يوسف هيكل: فلسطين قبل وبعد، بيروت ١٩٧١م.

٤-المراجع الأجنبية:

179- A Sali,Kamel Jamil: Jerusalem in History, Buckhurst, 1989.

180- Bakhit: The Ottoman Province of Damscus.

181- Cohen and Lewes: Population and Revenue.

182- Creswell: Early Muslim Architecture, new york 1979.

183- Drapper: The Intellectual Development of Europe.

184- Encyclopaedia of Britannica, London 1963.

185- Evliya Tschelebi: Travels in Palestine.

186- Heyd: Ottoman Documents.

187- Lane-Poole, stanely: Saladin and the fall of the king dome of Jerusalem, Bierut 1964.

188- Runciman, Steven: A History of the crusades.

منشورات للمؤلف

١- بناء الدولة العربية الإسلامية، مطبعة البهجة / إربد.

٢- كفرخل / تاريخ وحضارة، نشر جامعة مؤتة.

٣- مدرسة السلط (سيرة ومسيرة) مجلدان/نشر جامعة مؤتة.

٤- صفحات من تاريخ آل البيت، مطبعة البهجة / إربد.

٥- دراسات في تاريخ أوروبا الحديث / مطبعة البهجة / إربد.

٦- النظم الإسلامية، مكتبة الكتاني / إربد.

٧- صفحات من تاريخ الأردن وحضارته / نشر بدعم من وزارة الثقافة/عمان - الأردن.

٨- تاريخ الحضارة والنظم الإسلامية، مطبعة البهجة، إربد.

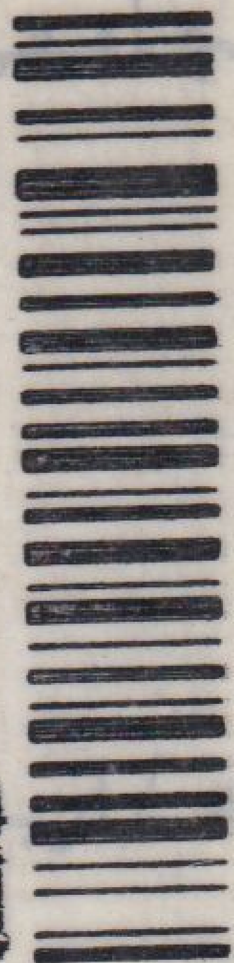
٩- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، دار الأوائل، دمشق.

١٠-أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب ... العين.

١١-الحضارة الإسلامية (مدخل معمق) مركز يزيد/ م...

١٢-تاريخ مدينة القدس، دار حنين، عمان.

١٣-تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، مطبعة الب...





الشركة الجديدة للطباعة والتجليد
The New Printing & Binding Co.
تلفون، ٥٣٣٤٣٩٦ - ٥٣٤٥١٦٣
ص. ب ٩٢٨٠٥٨ عمان ١١١٩٠ الأردن